الصياغة اللغوية

للخطاب الاعلامـــي

د. عبد الرزاق أحمد الشرقاوي



الصياغة اللغوية

للخطاب الإعلامـــــي

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية
(2019/9/4653)

الشرقاوي، عبد الرزاق أحمد

الصياغة اللغوية للخطاب الإعلامي/ عبد الرزاق أحمد الشرقاوي.- عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع 2019

(   ) ص.

ر. أ. : (2019/9/4653)

الواصفات: / الإعلام العربي/ / وسائل الأعلام/ / اللغة العربية/ / التحليل اللغوي/

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN 978-9957-96-765-9

دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
تلفاكس: +962 6 5353402
ص.ب: 520946 عمان 11162 الأردن
www.darghaidaa.com

مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
خلوي: +962 7 95667143
E-mail: darghidaa@gmail.com
E-mail: info@darghaidaa.com

الصياغة اللغوية

للخطاب الإعلامـي

د. عبد الرزاق أحمد الشرقاوي

الطبعة الأولى

2020 م

الفهرس

الفصل العاشر

المقدمة

يعد الخطاب الإعلامى اللغوي من أكثر الخطابات تأثيراً في نفوس الناس بعد الخطاب اللغوي الديني، وذلك لانشغال الناس بأمور أخرى، وأثر ذلك على مختلف نواحي الحياة، وتتسابق وسائل الإعلام المختلفة في صياغة الخطاب اللغوي وإعداده بهدف التأثير على المتلقي العربي، الذي يتعامل مع هذه الخطابات باستسلام تام، ويخضع لتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة. وإذا كانت وسائل الإعلام تتحدث بشكل واضح وصريح عن الغزو الاستعماري للأرض، فان وسائل الإعلام تتجاهل الاستعمار اللغوي الذي أصبح أكثر خطراً من استعمار الأرض، لأن استعمار الأرض يمكن أن يزول، وتنمحي آثاره طال الزمن أو قصر، أما الاحتلال اللغوي فلا يمكن إزالته، بل يزداد عمقاً وتأثيراً مع مرور الزمن وتعاقب الأجيال، ولا أحد يشعر بخطره. ولهذا يقول ابن حزم: " إن اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليها ". وبمراجعة بسيطة لمحركات التغيير المعاصرة في الوطن العربي، نجد الاستعمار اللغوي حاضرا في وسائل الإعلام للسيطرة على حركات التغيير أولاً، والأمن القومي والوطني ثانياً، ولهذا نجد المصطلحات الجديدة ذات الدلالات المبطنة التي تحمل في طياتها معاني الإحباط مرة، والتخويف مرة أخرى. مثل: المحكمة الدولية، جرائم حرب، ممرات آمنة، الجيش الحر، انتفاضة شعبية، النظام القديم والبائد، الخطر القومي،الارهاب،التطرف،الجماعات المنظمة، الجماعات الارهابية،إلى غير ذلك من المصطلحات التي يحاول البحث رصدها، وتحليل أثرها على الامن القومي،والتغيير لذا واجب علينا أن نستخدم الأسلوب الأمثل فى أختيار صياغة اللغة وتفاعلها داخل الخطاب الإعلامى حتى نواكب كل ما هو جديد بالمعطيات العصرية.

الفصل الأول

اللغة العربية في الإعلام واقعاً وتطويراً

الفصل الأول

اللغة العربية فى الإعلام واقعاً وتطويراً

لاشك أن اللغة العربية تتبؤأ مكانة عالية بين اللغات العالمية، لأنها لغة القرآن الكريم، والسنة الشريفة، فهي تجمع بين أبناء الأمة العربية في وعاء لغوي واحد، كذلك تعد - برأي- جميع اللغويين بمن فيهم الأجانب أنها تمتلك كل مقومات اللغة القادرة على استيعاب العلوم والفنون والآداب كافة، أي أنها لغة الحضارة العالمية؛ لهذا لابد من وضع آلية لغوية عربية شاملة تقوم على الاهتمام باستخدام العربية الفصحى المبسطة التي تستعمل في مجالات الحياة العلمية والعملية في أنحاء الوطن العربي، والالتزام بسياسة لغوية واحدة؛ خشية من عزوف أبناء اللغة العربية عنها إلى محاكاة لغة اللهجات العامية، واللغات الأجنبية، وذلك حفاظاً على هويتنا القومية.

وهكذا نجد أن اللغة العربية اليوم تشهد تحديات عربية وعالمية في العصر الحالي من خصومها، بسبب الظروف الراهنة التي تحيط بها، منها إطلاق الدعوات إلى تهميشها،أو تغيير سماتها، أو الانتقاص من وظيفتها، هذه الظروف تفرض علينا إعادة حيوية اللغة العربية من جديد بأسلوب جذاب عن طريق تعليمها وظيفياً في ميادين العلم والمعرفة، وخلق ذائقة فنية لدى المتعلمين الصغار؛ للإقبال على تعلم اللغة العربية من خلال الإحساس بقيمتها، وكنوزها الثمينة، بحيث يتمكنون من استعمالها في المواقف اللغوية كافة.

من هنا يحاول البحث إلقاء الضوء على الآلية التي تسهم في ازدهار اللغة العربية الفصحى والارتقاء بها عن طريق تخديم اللغة العربية في المدارس والمعاهد والجامعات، واعتماد اللغة العربية الفصحى أساس الخطاب في قاعات الدروس، والمؤتمرات، وتعريب التعليم الجامعي، وسن قوانين للحدّ من استعمال اللغة العامية في فضائيات الإعلام المرئية والمسموعة، باعتبار أن وسائل الإعلام هي المسؤولة بالدرجة الأولى عن تفشي

اللغة العامية، وميل المتعلمين إلى التحدث باللغة الأجنبيـة، بسـبب تزايـد نسـب قضـاء معظـم أوقات الفراغ عند المجتمع الأسري أمام التلفاز بالقيـاس إلى مـا يحصـله كـلّ مـتعلم مـن رصـيد لغوي في المجتمع المدرسي أو في المعاهد والجامعات.

ولاشك أن اللغة العربية تتبوأ مكانة عالية بين اللغات العالمية، لأنها لغة القرآن الكريم، والسنة الشريفة، فهي تجمع بين أبناء الأمة العربية في وعاء لغوي واحـد، كـذلك تعـد – بـرأي- جميع اللغويين بمن فيهم الأجانب أنها تمتلك كل مقومات اللغة القادرة عـلى اسـتيعاب العلـوم والفنون والآداب كافة، أي أنها لغة الحضارة العالمية؛ لهـذا لابـد مـن وضـع آليـة لغويـة عربيـة شاملة تقوم على الاهتمام باستخدام العربية الفصحى المبسطة التي تستعمل في مجالات الحياة العلمية والعملية في أنحاء الوطن العربي، والالتزام بسياسة لغويـة واحـدة؛ خشـية مـن عـزوف أبناء اللغة العربية عنها إلى محاكاة لغة الـلـهجات العامية، واللغات الأجنبية، وذلك حفاظاً على هويتنا القومية.

وهكذا نجد أن اللغة العربية اليوم تشهد تحديات عربية وعالمية في الـعصر الحـالي مـن خصومها، بسبب الظروف الراهنة التي تحيط بها، منها إطلاق الـدعوات إلى تهميشـها،أو تغيـير سماتها، أو الانتقاص من وظيفتها، هذه الظروف تفرض علينا إعادة حيويـة اللغـة العربيـة مـن جديد بأسلوب جذاب عن طريق تعليمها وظيفياً في ميادين العلم والمعرفة، وخلق ذائقـة فنيـة لدى المتعلمين الصغار؛ للإقبال على تعلم اللغة العربية من خـلال الإحسـاس بقيمتهـا، وكنوزهـا الثمينة، بحيث يتمكنون من استعمالها في المواقف اللغوية كافة.

كذلك تواجـه اللغـة العربيـة هجمـة شرسـة مـن قبـل أعـدائها متهمـين إياهـا بـالعجز، والتقصير عن مواكبة متطلبات الحياة المعاصرة، هذا الواقع يفرض على أبناء الأمة العربية إثبات خصائصها ووظائفها في المجالات كافة، فهي لم تعجز عن اسـتيعاب العلـوم المحدثـة، لأنهـا ذات قدرة توليدية. وهذا يدعونا إلى نشر تعليم اللغة العربية في المراكز الثقافية، لأنها مركز حضـاري للثقافة اللغوية المجتمعية.

من هنا يحاول البحث إلقاء الضوء على الآلية التي تسهم في ازدهار اللغة العربية الفصحى والارتقاء بها عن طريق تخديم اللغة العربية في المدارس والمعاهد والجامعات، واعتماد اللغة العربية الفصحى أساس الخطاب في قاعات الدروس، والمؤتمرات، وتعريب التعليم الجامعي، وسن قوانين للحدّ من استعمال اللغة العامية في فضائيات الإعلام المرئية والمسموعة، باعتبار أن وسائل الإعلام هي المسؤولة بالدرجة الأولى عن تفشي اللغة العامية، وميل المتعلمين إلى التحدث باللغة الأجنبية، بسبب تزايد نسبة قضاء معظم أوقات الفراغ عند المجتمع الأسري أمام التلفاز بالقياس إلى ما يحصله كلّ متعلم من رصيد لغوي في المجتمع المدرسي أو في المعاهد والجامعات.

فيجب ألا ننسى حقيقة مهمة هي أن اللغة العربية لغة التواصل والتعبير مع الآخرين، إذ علينا أن نحبب المتعلمين باللغة الأم عن طريق تخديمها تربوياً ولغوياً في مجالات الحياة العلمية والعملية، مما يحقق الأمن اللغوي لأبنائنا، فيتجهون إلى اختيار تعلّم لغات أخرى من منطلق التمازج الثقافي، ومواكبة المستجدات الطارئة في مجالات العلوم والمعارف، والفنون التطبيقية، من دون الإقلال من مكانة لغتنا العربية الفصحى في حياة المتعلمين .

فضلاً عن اهتمام وانشغال الكثيرين من الأجانب بالثقافة العربية والرغبة في الإلمام بها، إضافة إلى الجهود التي تبذلها الدول الأخرى، لمزاحمة اللغة العربية ونشر لغاتها كالإنكليزية والألمانية والفرنسية وغيرها.

من خلال الكشف عن مواطن العجز والقصور في استعمال اللغة العربية الفصحى تربوياً ولغوياً في العلوم والآداب والفنون، وذلك لتأكيد المحافظة على اللغة الأم، والهوية القومية لأبناء الأمة العربية، وتعزيز مكانة اللغة العربية عالمياً، عن طريق تسهيل طرائق تعلمها، وتوضيح وظائفها، وسماتها التي يمكن أن تشكل خطراً على أبنائنا إذا لم نقم بتطوير أساليب تعليم اللغة العربية الفصحى تقنياً.

كذلك يلقي البحث الضوء على كيفية عودة اللغة العربية إلى سابق قوتها ومجدها، وذلك من خلال الاهتمام بطرائق توصيل هذه اللغة إلى المتعلمين بأسلوب عملي يعتمد على المحاكاة، والتكرار، والتطبيق في المجالات المختلفة.

الفائدة من استعمال اللغة العربية الفصحى تربوياً ولغوياً:

- القائمون على إعداد برامج لحماية اللغة العربية على الصعيد العربي .
- القائمون على وضع المناهج الدراسية في وزارة التربية.
- القائمون على تخطيط مناهج تدريس اللغة العربية في كليات اللغة العربية وكليات التربية.
- المسؤولون في القنوات الفضائية، لتطبيق اللغة العربية الفصحى عن طريق تنويع البرامج التي تمكّن من استعمالها استعمالاً سليماً.

حدود استعمال اللغة العربية الفصحى تربوياً ولغوياً:

- الجدود الزمانية : طبقت الاسنبانة في 1 / 3 / حتى 14 / 3 / 2011
- الحدود المكانية : في المدارس الرسمية في مدينة حلب لتعرف آراء بعض الموجهين في مديريات التربية وآراء بعض المشرفين على إعداد المعلم في كلية التربية بجامعة حلب.

مفهوم اللغة:

هي تلك الأصوات التي يصدرها جهاز النطق الإنساني وتصل إلى الأذن ,فيتم إدراك دلالاتها وإصدار الاستجابة المناسبة لها.

كذلك هي أداة الاتصال الرئيسية في المجتمع الإنساني وذلك لأنها الوسيلة الأكثر فاعلية في تمكين الفرد من التفاعل مع الآخرين من خلال العلاقات الاجتماعية المختلفة وهي الأداة الرئيسية في عملية التكامل والتكيف مع الثقافة والبيئة (عبد الغني, هلال,1999,ص6)، وقد اعتمدته الباحثة إجرائياً.

استخدام التكنولوجيا في التعليم :

تعني وجود عنصر التكنولوجيا في العملية التعليمية تطويراً أو إثراءً لها وتيسيراً لعمليتي التعليم والتعلّم، ويقصد بذلك استخدام الوسائل التكنولوجية في العملية التعليمية من وسائل صوتية وضوئية وفيديو وشرائح وحاسبات وغيرها (اللقاني، 1996، ص 14)، وقد اعتمدته الباحثة إجرائياً.

البحث الوصفي:

" هو البحث الذي يركز على وصف ظاهرة معينة موجودة في الموقف الراهن، ثم القيام بتحليل خصائص تلك الظاهرة والعوامل المؤثرة فيها. (البوهي، 2000، ص 107)، وقد اعتمدته الباحثة تعريفاً إجرائياً.

التكامل بين اللغة والتقنية إجرائياً:

استخدام مظاهر التقنية المختلفة في بعديه الفكري والمادي في تدريس اللغة لتنمية مهاراتها المختلفة سواء كانت هذه التقنية في شكلها البسيط كالسبورات والصور والرسوم أو المتطور كالأجهزة التعليمية مثل: التلفاز التعليمي والحاسب الآلي والإنترنت.

الوحدة المختارة المقررة على طلاب الصف الثاني الثانوي ليتمّ تدريسها باستخدام الكمبيوتر، وإعداد البرنامج لتعليم الوحدة النحوية المختارة، وقد تمّ التأكد من صحته وسلامته عن طريق عرضه على مجموعة المحكمين المتخصصين، ثم قامت بإجراء تجربتين استطلاعيتين، وفي كلّ تجربة كانت تجرى بعض التعديلات وفقاً لنتائج التقويم المستمر. ثم قامت الباحثة بإعداد أدوات الدراسة، وتشمل :

- اختباراً تحصيليّاً وذلك بهدف قياس تحصيل الطلاب في الوحدة المختارة، وقياس قدرتهم على استخدام هذه الأساليب في التعبير الكتابي استخداماً سليماً.
- اختبار كتابة (تعبير تحريري)، وذلك عن طريق مطالبة الطلاب بالكتابة في أحد الموضوعات الآتية باستخدام الأساليب النحوية التي تمّت دراستها، (أهمية

استخدام الإنسان لعقله ليحقق الخير لنفسه ولأمته، التلوث وأخطاره، قصة موضوعها النجاة من رفاق السوء والوصول إلى أعلى المناصب).

أظهرت الدراسة مجموعة من النتائج الهامة، وهي ما يأتي :

- وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.01) بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في الاختبار التحصيلي البعدي للقواعد النحوية لصالح المجموعة التجريبية.
- وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.01) بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في التطبيق البعدي لاختبار الكتابة لصالح المجموعة التجريبية.
- وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.01) بين متوسطي درجت المجموعة التجريبية في التطبيقين القبلي والبعدي في الاختبار التحصيلي في القواعد النحوية لصالح التطبيق البعدي.
- وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.01) بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية في التطبيقين القبلي والبعدي للتعبير الكتابي لصالح التطبيق البعدي.

فعّالية استخدام التعلم بمساعدة الكمبيوتر عن الطريقة التقليدية في التعلم. (البسيوني، 1994، نقلاً عن السليطي، 2002، من ص 79، إلى 82)

كشفت هذه الدراسة عن أهمية استخدام الحاسوب في تدريس قواعد اللغة العربية، فهي تعطي نتائج أفضل من التعليم التقليدي الحالي.

1- دراسة (محمد طوالبة 2001) بعنوان : "أثر استخدام برمجية تعليمية من نمط التدريس الخصوصي في تحصيل قواعد اللغة العربية لدى طلبة الصف العاشر الأساسي في الأردن".

هدفت الدراسة : "الكشف عن أثر استخدام نمط التدريس الخصوصي المعـزز بالحاسـوب في تحصيل طلبة الصف العاشر الأساسي في الأردن لقواعد اللغة العربية، وبناءً على ذلك حاولت الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيسي الآتي :

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تحصيل طلبـة الصـف العـاشر الأسـاسي في الأردن لقواعد المفعـول المطلـق تعـزى لطريقـة التـدريس والجـنس والمسـتوى التحصـيلي، والتفاعل بين كلّ من الطريقة، والجنس، والمستوى التحصيلي ؟
- تكوّنت أفراد الدراسة من مئة وأربعة (104) من طلاب وطالبات الصف العاشر الأساسي في إحدى المدارس الخاصة في العاصمة عمان، بطريقة العينـة القصـدية، بسـبب تـوافر مختبرات حاسوب خاصة بالذكور وأخرى خاصة بالإناث، فضلاً عن توافر ست شعب من طلبة الصف العاشر يسمح بتطبيقات إجـراءات الدراسـة، واختـير أفـراد العينـة (أربع شـعب) بطريقـة عشـوائية، وتـم التحقـق مـن الصـدق والثبـات عـن طريـق المحكمين ومعامل الارتباط.

لتحقيق هدف الدراسـة تـم اسـتخدام أداتـين رئيسـتين : إحـداهما برمجيـة تعليميـة في موضوع المفعـول المطلـق مـن مقـرر اللغـة العربيـة للصـف العـاشر الأسـاسي، والثانيـة اختبـار تحصيلي اشتمل على خمسة أسئلة غطت جوانب محتوى الوحدة الدراسية جميعها.

أشارت نتائج الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عنـد مسـتوى (a= 0.05) تعـزى إلى كلّ من طريقة التدريس المعتمدة على نمط التدريس الخصوصي المعـزز بالحاسـوب، والمسـتوى التحصيلي المرتفع، والتفاعل بين الطريقة والجنس، والتفاعل بين الجنس والمستوى التحصيلي، فضـلاً عن ذلك أظهرت النتائج عدم وجود دلالـة إحصـائية عنـد مسـتوى (a= 0.05) تعـزى إلى كـلّ مـن الجنس، والتفاعل بين الطريقة والجنس والمستوى التحصيلي، وبينت النتائج أنّ أكثر النتائج تـأثيراً في التحصيل بحسب الدلالة العملية (إيتا2) هو متغير المستوى التحصيلي، وكان أبرز ما أوصت به هذه الدراسة إجراء دراسات حـول الـتعلم المـتمازج (blended learning) (الكلـمات المفتاحيـة : نمـط

التدريس الخصوصي المعزز بالحاسوب، قواعد اللغة العربية، مستوى التحصيل ".) (طوالبة، 2001، ص 87)

بينّت هذه الدراسة أهمية استخدام البرمجيات في مجال القواعد النحوية، لأنها تسهل عملية اكتساب المهارات النحوية الضرورية لأنه طريقة عملية تثير في المتعلمين ألواناً من التفكير الموضوعي.

أن الصور والرسوم من أفضل الوسائل التي يمكن استخدامها لتحقيق أهداف تعليمية لرخص ثمنها إذا ما قورنت بوسائل أخرى، إضافة إلى ما تتسم به من فاعلية وبساطة في الإعداد، فالصور هي كل ما يتم تصويره بآلة التصوير (الكاميرا)،أو ما يرسم باستخدام القلم بدقة شديدة، أما الرسم ما يتم تصويره دائما باستخدام القلم، وتشكل الصور المتحركة والثابتة الأساس الحسي في عملية التدريس، فهي تعطي المتعلمين إمكانية تعرف مضامين اللغة على نحو ملموس، وإدراك المعاني الحسية للألفاظ ومدلولاتها، وهذا يمنح المتعلم القدرة على استخدام اللغة بجودة عالية، لذلك كان من الضروري الالتفات إلى أهمية الأساس الحسي عند تدريس اللغة العربية، لأنها تساعد في وضع التصورات وتشكيلها عند إدراك الظواهر المدروسة في وظيفتها الاجتماعية، وطبيعة المتعلم تحتاج إلى الإيضاح، فإذا حاولت تعليمه كلمة غير معروفة فإنه سيبقى متململا فترة طويلة محاولا معرفتها، ولكن إذا قرنت تعليمك بالصورة، وعلمته عشرين كلمة فسيتعلمه بسهولة، ذلك لأنه يربط بين التصوير والكلمة، فالصور تعد مصدرا لمعارف المتعلمين، وتنمية لغتهم ولاسيما إذا تفاعل المتعلم والمعلم والصورة في كل واحد ,فتعلم الكلمات والجمل والمفاهيم يتم على نحو أسرع حين تقترن بالصور، هذا يؤكد جودة المواد البصرية في عملية التعليم وتفوقها على التعليم الذي يعتمد على التلقين اللفظي، لهذا يجب أن يعمل مدرس اللغة العربية على تكوين مكتبة كبيرة ومتميزة من الصور والرسوم بجهد قليل ومن دون تكلفة مادية تذكر، ويجب أن يستثمرها الاستثمار الأمثل في تنمية مهارات المتعلمين اللغوية، وعليه مراعاة اشتمال هذه الصور والرسوم على الألوان الزاهية لأن

ذلك يسهم في جعل المادة المقروءة أكثر جاذبية وسهولة ويضاعف من حماس المتعلمين ودافعيتهم للتعلم.

أن الصور والرسوم تؤثر إيجابيا في إكساب مهارات اللغة وتعلمها للأطفال الصغار، ومن الأهداف التي تحققها في هذا المجال ما يأتي : إمداد المتعلمين بثروة لفظية ولغوية، وإكساب الصغار المفاهيم ,والحقائق ,والقيم، والعمل على تنمية المعاني وتوسيع مدارك المتعلمين، وترجمة معاني الكلمات وتوضيحها، بحيث تسهم في تربية الذوق الفني والأدبي اللازمين لمواقف الحياة المختلفة، كذلك تعد الأساس لتعليم القراءة والكتابة والحديث في المراحل التعليمية الأولى.(لافي ,ص265ص268).

وهكذا تبيّن هذه الدراسة أهمية استخدام الوسائل التقنية المعاصرة في تدريس اللغة العربية، لأنها تجعل المتعلمين يقبلون على تعلّم اللغة العربية، الأمر الذي يجعل المفاهيم واضحة في الأذهان، كذلك تسهم في تحبيب المتعلمين باللغة العربية، فيتمكنون من استعمالها في المواقف اللغوية المختلفة.

تناولت واقع اللغة العربية وتطويرها، لكنها تختلف عنها في أنها تسلط الضوء على واقع تعليم اللغة العربية وتعلّمها، لتبيّن العوامل التي تعمل على تطويرها، وذلك بتجاوز المشكلات والصعوبات التي قد تحدّ من ازدهارها، كذلك تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها ميدانية، تعمل على سبر الواقع التعليمي، والتوصل إلى التوصيات والمقترحات التي تسهم في تطوير اللغة العربية.

- **عدم امتلاك الحاسوب قد يؤخر عملية التعلّم الذاتي.**

أي وسيلة تعليمية من الوسائل الآتية تفضل في مجال تعليم اللغة العربية؟

أ- الحاسوب لأنه الوسيلة التي تحتوي كل الخيارات الأخرى، (الصور – المسجلات الصوتية)، فهي أشمل، ووسيلة جامعة أستطيع من خلاله وضع ومقاطع صوتية، إضافة إلى اختصار كل الوسائل المذكورة، كذلك تعد تطبيقاته متعددة تصل إلى عدد كبير من المتعلمين.

ب-المسجلات الصوتية : لأن هذه الوسائل تساعد المتعلم على خلق تصور حول اللغة، ويربط ذلك في ذهنه مع صوت وصورة وكل ما يحتاج ليعزز تعلم اللغة العربية، ويجذب أذهان المتعلمين إلى استخدام هذه التقنيات.

ج- الصور:- استخدام الحاسب والمسجلات تشغل الطالب بالتقنيات ويلغي عمل الطالب وذلك على حساب اللغة وجمالها.

- تقرّب خيال الأطفال، وتجمع بين الصوت والصورة.

- دمج الصورة مع الكلمة يساعد على تعلم اللغة العربية بسرعة وإتقان.

- تقريب المجردات إلى المحسوسات.

الفصل الثاني

أثر اللغة العربية الإعلامية

في اللغات الحية، الانجليزية والاسبانية مثالا

الفصل الثاني

أثر اللغة العربية الإعلامية

في اللغات الحية، الانجليزية والاسبانية مثالا

إن اللغة العربية ركن أساس من أركان وحدة امتنا العربية والإسلامية, وعمود محوري من أعمدة قوتها, إنها دعامة بقاء وعنصر تفوق لهذه الأمة, ومن هنا فأن كل لبنة تضاف إلى لبنات هذه الأمة تزيد في شموخها هي قوة دافعة لروح الأمة وشعاع يضاف إلى حزمة ضيائها فعندما أوحى الله(جل وعلى) رسالة إلى رسوله محمد(صلى الله عليه وسلم) انزلها قرآنا عربيا والله يقول لنبيه (صلى الله عليه وسلم): { **فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا**} (مريم - 97) وما من لغة تستطيع أن تطاول اللغة العربية في شرفها فهي الوسيلة التي اختيرت لتحمل رسالة الله النهائية وليست منزلتها الروحية هي وحدها التي تسمو على ما أودع الله في سائر اللغات من قوة وبيان إما السعة فالأمر فيها واضح, ومن يتتبع جميع اللغات لا يجد فيها على ما هو معروف لغة تضاهي اللغة العربية, ويضاف جمال الصوت إلى ثروتها المدهشة في المترادفات, وتزّين الدقة ووجازة التعبير لغة العرب.

وتمتاز العربية بما ليس له مثيل من اليسر في استعمال المجاز, وإنما بها من كنايات ومجازات واستعارات ليرفعها كثيراً فوق كل لغة بشرية أخرى وللغة خصائص جمة في الأسلوب والنحو ليس من المستطاع أن يكتشف له نظائر في أي لغة أخرى, وهي مع هذه السعة والكثرة أفضل اللغات في إيصال المعاني وفي النقل إليها, يبيّن ذاك أن الصورة العربية لأي مثل أجنبي اقصر في جميع الحالات وقد قال الخفاجي عن ابن داود المطران – وهو عارف باللغتين العربية والسريانية- انه إذا نقلت الألفاظ الحسنة إلى السريانية قبحت وخست, وإذا نقل الكلام المختار من السريانية إلى العربية ازداد طلاوة وحسنا, وان

الفارابي على حق حين يبرر مدحه العربية لأنها من كلام أهل الجنة وهذه الكلام منزه بين الألسنة من قل نقيصة ومعلى عن كل خسيسة, ولسان العرب أوسط الألسنة مذهبا وأكثرها ألفاظا.

وإيمانا منا بأهمية اللغة العربية وخطورة ما تواجهها من تحديات قدمنا على كتابة هذه السطور علها توجه أذهان باحثينا إلى أهمية الأمر وخطورته ولعل هناك من الباحثين من يوفق لفتح باب البحث في هذا المسلك وإتمامه.

إما البحث فقد انقسم على مقدمة, وتمهيد, وفقرات, حاولنا فيها تتبع بعض أسباب حياة اللغات العامة وبعضاً مما اختصت العربية بوجوده فيها ثم أوردنا نماذج من الكلمات العربية في اللغتين الانجليزية والاسبانية بعد أن نوهنا على أن من أهم أسباب حياة اللغات امتدادها في اللغات الأخرى وخصوصا إذا كانت تلك اللغات حية معتد بها عالمياً ثم اختتم البحث بخاتمة حَوت على أهم نتائجه.

أثر المفردات العربية في اللغات العالمية وكيفية انتقالها إليها

كان التكلم باللغة العربية قبل الفتح الإسلامي لا يتجاوز سكان الجزيرة العربية, فضلا عن أجزاء يسيرة من العراق والشام ولكن ما أن امتد الفتح الإسلامي واتسع مداه حتى حلت اللغة العربية محل اللغات السائدة آنئذ, فلقد حلت محل الفارسية في العراق وبلاد فارس والرومية بالشام, والقبطية بمصر, واللاتينية بالشمالي الأفريقي يقول المستشرف رنان في كتابه (تاريخ اللغات السامية).

إن انتشار اللغة العربية ليعتبر من اغرب ما وقع في تاريخ البشر كما يعتبر من أصعب الأمور التي استعصى حلها فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ ذي بدء فبدت فجأة على غاية الكمال سلسلة أية سلاسة غنية أي غني كاملة بحيث ل يدخل عليها منذ ذلك العهد إلى يومنا هذا أدنى تعديل معم فليس لها طفولة ولا شيخوخة ظهرت لأول أمرها تامة مستحكمة ولا ادري هل وقع مثل ذلك للغة من لغات الأرض قبل أن تدخل في ادوار مختلفة فإنها العربية ولا جدال قد عمت أجزاء كبرى من العالم.

كما ذكر المستشرقان انجلمان و دوزي ان الكلمات العربية الموجودة باللغة الاسبانية تعادل ربع اللغة الاسبانية وان باللغة البرتغالية ما يربوا على ثلاثة الآلف كلمة عربية كما أبان المستشرق لامانس بان ما يربوا على سبعمائة كلمة عربية دخلت اللغة الفرنسية عن طريق التجارة وغيرها وقدم الأستاذ تيلور بحثا عنوانه (الكلمات العربية في اللغة الانجليزية) ذاكرا فيه ما يزيد على ألف كلمة عربية في الطب والكيمياء والفلك والبيولوجيا والجراحة دخلت اللغة الانجليزية.

أما عن تأثير اللغة العربية في اللغة الايطالية (لقد ترك المسلمون عدداً عظيماً من كلماتهم في اللغة الصقلية والايطالية, وانتقلت كثير من الكلمات الصقلية التي من أصل عربي إلى اللغة الايطالية ولا يزال الجزء الأعظم من الكلمات العربية باقية في لغتنا الايطالية التي تفوق الحصر دخل اللغة بطريق المدنية لا بطريق الاستعمار).

إن وجود هذه الكلمات في اللغة الايطالية يشهد بما كان للمدنية العربية من نفوذ عظيم في العالم المسيحي ولعل امتداد اللغة العربية في اللغات الحية من أهم أسباب الحياة فيها إذ تفتقد لهذه المزية اغلب لغات العالم التي تعد اليوم من اللغات الميتة ومنها على سبيل المثال اللغة العبرية إذ تنبه إلى قضية موتها اغلب علمائها مما أدى بهم إلى أن يكثفوا الدراسات ليجعلوا لها امتدادا في اللغة الانكليزية وتمكنوا وبعد تسعين سنة من الجهود المتواصلة والحثيثة المدعومة من أكثر من طرف من إضافة كلمتين هما (خزبا) بمعنى وقاحة و (شوا) بمعنى (مذبحة) أملا منهم بإعادة الحياة إلى لغتهم المندثرة.

طرق انتقال الكلمات العربية

1. التجارة: فقد بدأت الاستعارة المباشرة من اللغة العربية في نهاية القرن السادس عشر عندما اتصل التجار والرحالة من الأجانب اتصالاً مباشراً بالشعوب الناطقة بالعربية. وخلال هذه الفترة انعكس تزايد العلاقات المباشرة بين العالم الجديد وأجزاء عديدة من العالم العربي في الكلمات المستعارة من العربية والتي تتناول الشخصيات والرتب، والسلع والمصطلحات التجارية، وأسماء الحيوانات والطيور.

2. انتشار العربية في أوروبا: ومن بين قنوات الاتصال الأخرى التي انتقلت عن طريقها كلمات عربية إلى الغرب، اهتمام العلماء والمثقفين الأوروبيين بدراسة اللغة العربية التي كانت لغة العلم والحضارة في ذلك الوقت، فكان ويليام بدويل (1561-1632م) أول من أدخل الدراسات العربية إلى إنجلترا، كما كانت اللغة العربية تدرس في جامعة أكسفورد كبرى جامعات إنجلترا، وكانت دراستها إجبارية لجميع الطلاب.

3. الأندلس : على مدى ما يقرب من سبعمائة سنة (فيما بين القرنين الثامن والخامس عشر الميلاديين) كانت إسبانيا موطن الحضارة الإسلامية. وقد نشرت الأندلس هذه الحضارة في جميع أرجاء أوروبا، وذلك عن طريق التجارة والجامعات والأدب، وكان كثير من العلماء العرب في إسبانيا يقرأون اللاتينية ويكتبونها، كما كان الأسبان المسيحيون أو (المستعربون) Mozarabs الذين يعيشون تحت الحكم العربي للأندلس يعرفون العربية.

4. حركة الترجمة : خلال العصر العباسي، وعلى مدى قرن كامل (حوالي 750-850) تمت ترجمة كتب كثيرة في الرياضيات والفلك والطب والفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية. وكان مركز حركة الترجمة هذه هو (بيت الحكمة) الذي أنشأه الخليفة المأمون في بغداد، ووقف عليه الأموال للذين يريدون أن ينقطعوا إلى نقل الكتب الفلسفية إلى اللغة العربية. وكان (بيت الحكمة) يضم إلى جانب المكتبة والأكاديمية، مكتباً للترجمة إلى العربية التي أصبحت لغة البحث بين العلماء والمسلمين والأوروبيين على حد سواء.

وفي نهاية القرن الحادي عشر الميلادي بدأت أوربا في الترجمة من العربية إلى اللاتينية، وتمت في هذه المرحلة ترجمة العديد من الأعمال التي كتبت أصلاً باللغة العربية جنباً إلى جنب مع الترجمات العربية للأعمال اليونانية القديمة. وقد تأسست لهذا الغرض لجنة من المترجمين في مدينة (طليطلة) Toledo الإسبانية في عام 1130 م برئاسة كبير

الأساقفة (ريمون) Raymond. وكان لهذه اللجنة الفضل في نقل العلم والمعرفة اللذين توصلت إليهما الحضارة الإسلامية إلى الأمم المسيحية في أوروبا.

كما تمت ترجمة الكثير من الأعمال سواء من العربية أو اللاتينية أو اليونانية إلى لغات أخرى عديدة من بينها الفرنسية والإسبانية والإيطالية والبرتغالية والعبرية والألمانية. وهكذا تخللت العلوم والثقافة العربيتين أوروبا الغربية عن طريق الترجمة.

عناصر حياة اللغات (العناصر الداخلية)

أما الأول فهو بناء اللغة على قاعدة الاشتقاق والقياس فهذا في اللغة العربية في أجلى مظاهره وهو سر من أسرار تفوقها على جميع اللغات قديمها وحديثها(11) وبه كانت أحق لغة بالبقاء كما قال بعض علماء الأميركان النحارير إن باب الاشتقاق والقياس فيها واسع جدا من غير حجر ولا عائق لا يضيق عن تفكرات العقل واختراعاته مهما اتسع مجال تصوره وخياله وغير خفي أن القياس يزيد في غنى اللغة ويفسح المجال للشعراء والكتاب ويهون عليهم تجسيد ثمرات عقولهم، وإيداعها في أحسن قوالب النظم والنثر.

وأما العنصر الثاني من عناصر الحياة هو قبول اللغة للتطور من الأغراض والمعاني فهو في اللغة العربية بحيث لا يستطاع إنكاره كانت اللغة العربية في أغراض بسيطة تناسب الحياة البدوية من وصف المشاهدات وإثارة المنازعات والحل والترحال والحث على إدراك الثأر ثم إنها تطورت بتطور الحالة الاجتماعية واستعملت في أغراض متنوعة استدعاها الانغماس في الترف والإمعان في الحضارة من وصف القصور وما فيها من النفائس والرياش والقيان والبساتين ذوات الأفنان، وما فيها من الأزهار والثمار إلى غير ذلك مما يتناسب مع أساليب نظام الملك والتطور الفكري والاجتماعي.

وأما العنصر الثالث من عناصر الحياة هو مرونة أسلوب اللغة بقبول الابتكار والاختراع في صوغ المعاني فللغة العربية فيه المحل الأول والمكان الذي لا يجهل، فبعد أن كانت اللغة في مهدها الأول بسيطة في ألفاظها وأساليبها كبساطة معانيها وأغراضها قل

أن يخـرج بـاللفظ عـن حقيقتـه إلى مجـازه يرسـل المـتكلم كلامـه حسـب مقتضـيات الأحـوال والأساليب البلاغية بدون تكلف المحسنات البديعية الـلـهم إلا ما جاء عفوا أو قصد على قلة.

فإذا هي في صدر الإسلام وما يليه من العصور في طور جديد من التأنق في صـوغ الكـلام والتفنن في أساليبه والارتقـاء ببلاغتـه إلى غايـة مـا يصـل إليـه طـوق الـبشر والتوسـع في المجـاز والتشبيه وضرب المثل وإرسال الحكمة ولا ينكر أن للقرآن الكريم تأثيرا وأي تأثير في هذا التطور العظيم.

يظهر أثر ذلك في الأسلوب الذي انتحاه الخطباء والشعراء والكتاب الإسلاميون في البيـان وجودة الأسلوب وانتقاء الألفاظ السـهلة والتـأنق في الـربط بـين أجـزاء الكـلام والتعمـل لأنـواع البديع، والإكثار مما يظهر به الفرق جليـا بـين حالـة الـتكلم ببسـاطة حسـب الفطـرة والـتكلم حسب الأساليب الصناعية المستفادة من الدرس والتلقين، ثم إن الابتكار في اللغة لم يـزل في نمـو واتساع، وقـد سـاعد عليـه كـثرة الأغـراض وتجـددها كـلما [جـد] حـدث مهـم يـدعو للخطابـة والتحرير.

ولم يقف هذا التوسع عند حد بل لم يزل إلى الآن في عنفوانه ولم يزل الكتاب العصريـون يأتوننا كل حين بأسلوب من الابتكار جديد وهو شاهد عدل على حياة اللغة وبقائها كما كانـت أداة تفكير وتحرير ثابتة كما هي من الأول إلى الأخير. وهناك من الشـواهد مـن يؤكـد عـلى أن أقرانها من اللغات السامية قد باد ولم يبق لها غير خبر يعاد.

وأما العنصر الرابع وهو غناء اللغـة مـن حيـث وفـرة مفرداتهـا فهـذا في اللغـة العربيـة مشاهد معلوم فهي من هذا الجانب لا تشتكي فقـرا ولا ضـعفا بـل ربمـا شـكا أهلهـا مـن كـثرة مفرداتها وصعوبة الإحاطة بها. فهذا لسان العرب لابـن منظـور الإفريقـي قـد حـوى مـا ينـاهز الستين ألف مادة، وإذا نظرنا إلى أن كـل مـادة يـدخلها مـن الاشـتقاقات والزيـادات وفـروعهما الشيء الكثير نعلم أن جملة مفردات اللغة لا تدخل تحت الحصر أو تكاد، وبذلك استطاعت أن تكون قائمة بنفسها مستقلة عن غيرها مع بسطة الثروة وسعة المدى مـما تحسـدها عليـه كثـير من اللغات الحية اليوم.

قد يقال إن اللغة العربية فيها كثير من الدخيل من اللغات الأخرى كالفارسية والروسية والهندية والحبشية والعبرية والقبطية، فهل يكون وجودها في ضمن اللغة قادحا في استقلالها؟ الجواب: أن لا تأثير لذلك الدخيل على قيامها بنفسها واستقلالها فإن لكل مقومات وأصولا جوهرية من الكلمات التي تفقد اللغة هويتها بفقدها ويضعف جانبها بعدم وجودها ضمن أصولها، وهي الألفاظ الأولية المكونة لجهاز اللغة، وهذا النوع في اللغة تام الأصول مستوفي الفروع سليم من الدخيل.

وأما العنصر الخامس من عناصر الحياة هو صلوحية اللغة لتأدية ما يراد منها إفادته من الأفكار فاللغة العربية لها من ذلك الحظ الأوفر والمقام الذي لا ينكر، فهي أجمل اللغات صدرا، وأجلها أثرا، وأوفرها كلما. كانت اللغة قبل الإسلام لغة تخاطب ونشر الوقائع والعواطف وخطب الثارات والمواقف، فقامت بما طلب منها في ذلك أحسن قيام، ثم جاء الإسلام فكانت لغة دين فلم تضق به ذرعا ناهيك أنها لغة القرآن الكريم وما فيه من أحكام وحكم وقصص ومواعظ واحتجاجات وأساليب لا عهد للعرب بها.

ثم كانت بعد الصدر الأول لغة ملك ودواوين ورسائل سلطانية، ثم هي لغة علم أيضا فترجمت إليها الكتب من اليونانية والفارسية والهندية فلم تقصر عن القيام بما طلب منها من الألفاظ الاصطلاحية في الطب والصيدلة والحكمة والمنطق والفلسفة والطبيعيات والرياضيات والإلهيات، ثم هي لغة تأليف وأدب وأخلاق وسياسة إلى غير ذلك من الأغراض.

وأما العنصر السادس من عناصر حياة اللغة وهو فصاحة اللفظ وسلاسته، وجمال الأسلوب وبلاغة التركيب فحدث عنه في اللغة العربية ولا حرج إذ هي في البلاغة والفصاحة المثل الكامل، والبحر الذي ليس له ساحل(25)، لا تدانيها لغة من اللغات في فصاحة لفظها، وتناسق حروفها، وجمال تراكيبها، ومبلغ تأثيرها وروعة أساليبها، وتجمعت تلك الحسنات كلها في لغة مضر وانحصرت في قريش وتلخصت وتَصفَّت في نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، كما قال -لما قالت له أصحابه: ما رأينا الذي هو أفصح منك-: ((وما يمنعني وإنما نزل القرآن بلساني لسان عربي مبين))، وقال

عليه الصلاة والسلام: ((أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني مـن قـريش ونشـأت في بنـي سـعد)). ومن فصاحته عليه السلام أنه تكلم بألفـاظ اقتضـبها لم تسـمع مـن العـرب قبلـه ولم توجـد في متقدم كلامها كقوله: ((مات حتف أنفه))، ((وحمي الوطيس))، ((ولا يلـدغ المـؤمن مـن جحـر مرتين)). في ألفاظ عديدة تجري مجرى الأمثال.

العوامل الخارجية

أما العناصر التي تدخل في إطالة عمر اللغة ونموها وحيويتها وهي خارجـة عنهـا فأهمهـا: توارث اللغة ما بين الأجيال.وهذا العنصر هو، في نظر الاختصاصـيين، أهـم مـن كـثرة عـدد الـذين يحكون اللغة. العنصر الثاني يتكون من مجالات استخدام اللغة. العنصر الثالث يتكـون مـن مـدى استخدام اللغة في وسائل الإعلام المختلفة. العنصر الرابع يتكـون مـن تـوفر الأدوات التربويـة التـي تساعد اللغة على النمو والانتشار والتجدد، ووجود إنتـاج أدبي يسـتخدم تلـك اللغـة. أمـا العامـل الأخير فيتكون من موقف السلطات الرسـمية حيـال اللغـة، أي السياسـة التربويـة والثقافيـة التـي تنتهجها تلك السلطات، وكذلك موقف الجماعة من اللغة التي تستخدمها. وهنا يجب التنويـه إلى أن بعض الجماعات تحتقر لغتها، أو اقله لا تعتز بها، بينما نجد جماعات أخـرى لا تتمسـك فقـط بلغتها وتعتز بها بل أيضاً تجعل من تطوير لغتها والعناية بها ونشرها رسالة تأخذها على عاتقها.

كما ويتأثر انتشار الصيغ اللغوية والتراكيب بعوامل كثيرة، أهمها في العـالم المعـاصر العامل الحضاري. فإذا كانت مكانة أية لغة من اللغات الكـبرى المعـاصرة تتحـدد في المقـام الأول بما تحمله من تـراث حضـاري ومـا تقدمـه مـن نتـاج حضـاري حـديث فـإن للعلـماء والمثقفين ووسائل الإعلام أثرًا كبيراً في البيئة اللغويـة. وفي المجـال الصـوتي تعـد الإذاعـة مـن العوامل الحاسمة، فالنطق الذي يرتضيه مذيعو الإذاعة يؤثر في آلاف المستمعين، ولذا تهـتم دول كثيرة في العالم المعاصر بكيفية نطـق المـذيعين وتـدربهم تـدريبًا صـوتيًا دقيقًـا. ويـؤثر المحاضرون في الجامعات في الحياة اللغوية مـن ناحيـة المصـطلحات، فهـم يـدخلون بصـفة مطـردة مصـطلحات علميـة جديـدة للتعبـير عـن المعـاني الجديـدة أو العلـوم الحديثـة.

فتستخدم هذه المصطلحات عند طلابهم وقرائهم ثـم في دوائـر أوسـع إلى أن تسـتقر في العـرف اللغوي. وبذلك تصبح من المشاع اللغـوي العـام. فـإن اختلـف واضـعو الاصـطلاحات وتعـددت معهم اصطلاحاتهم للشيء الواحد حدث ارتباك في استخدام المصطلحات وربمـا تعـذر التفـاهم. ويؤثر كبار الكتاب والأدباء في الحياة اللغوية من ناحية التراكيب بصفة خاصة، ولكـن أي نطـق جديد أو اصطلاح جديد أو تركيب أسلوبي جديـد- يظـل ظـاهرة فرديـة إلى أن يقبـل اجتماعيًّـا ويصبح من العرف اللغوي. وكثير مما يستحدث في الإذاعة ووسائل الإعلام وفي الجامعات وعنـد كبار الأدباء يقبل اجتماعيًّا، ولذا تعد هذه الدوائر الحاكمة لغويًّا أهم ما يؤثر في الحياة اللغوية المعاصرة.

وقد تأثرت اللغـات عـلى مـدى التـاريخ ومـا زالـت تتـأثر بعوامـل أخـرى غـير العامـل الحضاري المذكور. فالعامل الديني أبقى اللغة العربيـة مقـروءة أكـثر مـن عشريـن قرنًـا، فكـان اليهود يتعلمون قدرًا من العبرية لأنها لغة العهد القديم، وهـو كتـاب اليهـود المقـدس. والتقـاء العرب حول الفصحى وعدم نجاح الدعوى إلى الكتابة بالعامية يرجـع إلى عوامـل منهـا الالتقـاء حول لغة القرآن الكريم، وقـد مهـد العامـل الـديني لـدخول عـدد كبـير مـن الألفـاظ العربيـة المتعلقة بالدين والحضارة إلى لغات العالم الإسلامي في إفريقيا وآسيا وجنوب أوربا، ففي اللغات السواحلية والتركيـة والفلبينيـة وأيضـا في اللغـة الصربـو كرواسـية نجـد المسـلمين يسـتخدمون الألفاظ الخاصة بالعبادات وبالسلوك اليومي مستعارة من اللغة العربية. وارتباط الخط العـربي بالدين الإسلامي جعل المتحدثين بالحبشية في هرر، وكلهم من المسلمين يكتبون الحبشية بالخط العربي، وقد دخلت في الهررية ألفاظ عربية كثيرة وكأنهم أرادوا بذلك أن يثبتوا ارتباطهم بالعالم الإسلامي وتميزهم عن الأحباش المسيحيين حولهم.

والعامل السـياسي ذو أثـر كبـير في حيـاة اللغـات، وقـد ظهـرت اللغـات الرومانيـة المختلفة من فرنسية وإسبانية وإيطالية ورومانية في فترة واحدة كانت الوحـدة السياسـية لهذه المناطق قد تمزقت نهائيًّا، وكـان الـوعي القـومي آخـذًا في الظهـور. وقـد أدى النفـوذ الاستعماري في الهند إلى انتشار اللغة الإنجليزية حتى أصـبحت أكـثر اللغـات اسـتخدامًا في

الهند، وقد حدد تقسيم القارة الإفريقية إلى مناطق للنفوذ الاستعماري مسار انتشار لغات المستعمرين فيها، فالدول التي أعلنت الفرنسية لغة رسمية فيها أو التي تتعامل في المجالات الثقافية والسياسية والتجارية بالفرنسية قد احتفظت بذلك باللغة التي دخلت هذه المناطق مع الاستعمار، وهناك دول إفريقية كثيرة تتعامل في هذه المجالات بالفرنسية وأخرى تتعامل بالإنجليزية. وعندما تقسم الدول الإفريقية إلى الدول الناطقة بالفرنسية والدول الناطقة بالإنجليزية، ففي هذا -رغم الاستقلال- أثر للسيطرة الاستعمارية الفرنسية والإنجليزية واليوم يتعلم التلاميذ في أوزبكستان "التركستان سابقًا" اللغة الروسية لأن أوزبكستان تابعة للاتحاد السوفيتي وهكذا يؤثر العامل السياسي في الحياة اللغوية، ولكنه تأثير يتفاوت طبقًا لطبيعة العلاقات السائدة في البيئة اللغوية.

أما العامل الاجتماعي فهو من أهم العوامل في حياة اللغات، فانتقال مجموعة بشرية معينة من مكان لآخر واختلاط المجموعة الوافدة مع السكان الأصليين كفيل بخلق علاقات لغوية جديدة. ومن المعروف أن هجرة القبائل العربية عقب الفتح الإسلامي وفي القرون التالية للشام والعراق ومصر والمغرب كانت من أهم العوامل في انتشار اللغة العربية، وبذلك لم تعد اللغة العربية لغة شمال الجزيرة العربية فحسب بل أصبحت بمضي الوقت لغة الحديث والعلم والأدب في الدول الإسلامية الكبرى، وفوق هذا فالطبقة العليا في المجتمع الواحد ذي الطبقات المتعددة تؤثر تأثيرًا حاسمًا في الاستخدام اللغوي لدى الطبقات الأخرى، ومحاكاة الطبقة العليا أو الفئة الحاكمة أمر معروف في دول العالم المختلفة.

كلمات عربية وإسلامية في اللغة الانجليزية

تحفل لغات أوربية كثيرة بكلمات وعبارات استعارتها من لغتنا العربية, وبما أن الأفكار والمفاهيم تتخذ شكلها في صورة كلمات, فان الدين الثقافي الذي يدين به الغربيون للحضارة العربية الإسلامية ينعكس في الكلمات المستعارة من اللغة العربية والتي يستخدمها المثقفون والمتعلمون من الغربيين في لغاتهم حتى يومنا هذا ونضرب مثلا لفضل اللغة العربية في هذا المجال باللغة الانجليزية فنستعرض بعض الكلمات الانجليزية

ذات الأصل العربي وبصفة خاصة تلك الكلمات التي تتناول الإسلام وتشهد شاهدة من أهل اللغة الانجليزية على مدى تأثير اللغة العربية في اللغة الانجليزية وتقول الباحثة [ميري سيرجينتسون] (من اللغة العربية استعارة اللغة الانجليزية اكبر عدد من الكلمات المستعارة من الشرق فمن هذه الكلمات.

mameluke	مملوك
sultan	سلطان
sheikh	شيخ
muezzin	مؤذن
Mufti	مُفْتٍ
Cadi	قاضٍ
Carat	قيراط
Tarrif	التعريفة الجمركية
artichoke	خرشوف
Tamarind	تمر هندي
alcohol	الكحول
Carob	خروب
shash أو sash	شاش
saker	صقر
roc	طائر الرُّخ
giraffe	زرافة
Mozarabs	(المستعربون)

Guess = خمن، وأصلها من الفعل (جسّ) العربي = House مأخوذة من كلمة (الحوش) العربية وقد دخلت لغتهم في سنة 1715م

Castle = القصر، وينطقها الفرنسيون مع أل التعريف فيقولون Alcazar

Jar = من الجرة بالعربية، والفرنسوين يقولون Jarre

Down + أسفل، مأخوذة من الكلمة العربية (دون

Cut = قطع واللفظ واضح الصلة مع التحريف بما يناسب الإنجليزية

Canon = من القانون العربية

Candel = الشمعة.. من القنديل العربية

Tail = من كلمة ذيل العربية

Guide = دليل.... من كلمة القائد العربية

Cotton = واضحة جدا أنها (قطن)

Lemon = وهذه كسابقتها وقد دخلت الانجليزية سنة 1400

وغيرها الكثير

صك	Cheque ...
القهوه	Coffe ...
الصفر	Cipher ...
قرمزي	Crimson ...
قطن	Cotton ...
الأكسير	Elixir...
ترجمان	Dragoman ...
زرافه	Giraff ...
غزال	Gazelle ...
ياسمين	Jasmine ...
جره	Jar ...
ليمون	Lemon ...
مسخره	Maquerade ...
مجله	Magazine ...

مسك	Musk ...
موميا	Mummy ...
صندل خشب	Sardal ...
زعفران	Saffron ...
سمسم	Sesam ...
شاش	Sash ...
سكر	Sugar ...
طلسم	Talisman ...
شروب	Surp ...
طنبور.	Tambourine ..
تمر هندي	Tamarind ...
طاس	Tass ...
تعريفه	Tariff ...
قميص	Camise ...
عطار	Attar ...
ليفه	Loofa ...

أما الألفاظ الإسلامية التي دخلت في اللغة الانجليزية فهي:

Alcoran القرآن، وقد دخلت هذه الكلمة اللغة الإنجليزية عن طريق اللغة الفرنسية في القرن الرابع عشر الميلادي (سنة 1366 م).

Allah الله، وقد بدأ استخدام لفظ الجلالة في اللغة الإنجليزية في بداية القرن الثامن عشر الميلادي (سنة 1702 م وبشكل هجائي مختلف هو Alha).

Bismillah بسم الله، وبدأ استخدامها في اللغة الإنجليزية في القرن التاسع عشر الميلادي (سنة 1813 م).

Caliph خليفة، ودخلت الإنجليزية عـن طريـق اللاتينيـة الوسـيطة ثـم الفرنسـية، ثـم انتقلت إلى الإنجليزية الوسيطة فكانت فيها califfe، calipe. وقد بدأ استخدام هـذه الكلمـة في الإنجليزية في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي (سنة 1393 م).

Hadj الحج، وبدأ استخدامها في اللغة الإنجليزية في أوائل القـرن الثـامن عشر المـيلادي (سنة 1704 م)، واستعيرت من العربية مباشرة.

Hadji أو hajji الحاج، وبدأ استخدامها في أواخـر القـرن السـادس عشر المـيلادي (سـنة 1585 م)، أي قبل استخدام كلمة hadj؛ الحج، بنحو قرن من الزمـان، وهـي أيضـا مـن الكلـمات المستعارة مباشرة من العربية.

Hegira أو hejira الهجرة، ودخلت الإنجليزية عن طريق اللاتينيـة الوسـيطة في أواخـر القرن السادس عشر الميلادي (سنة 1590 م).

كما يورد معجم أكسفورد كلمـة hijra أو hijrah بهـذين الهجـائين باعتبـارهما الشـكلين الأكـثر صـحة للكلمــة، والمــأخوذين مبــاشرة مــن العربيــة في القــرن التاســع عشر المــيلادي (سنة 1839 م).

Imam أو Imaun إمام، وهي مستعارة من العربية مباشرة في بداية القرن السابع عشر الميلادي (سنة 1613 م).

Islam الإسلام، من العربية مباشرة في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي (سنة 1818 م).

Jihad أو Jehad الجهــاد، مــن العربيــة مبــاشرة في القــرن التاســع عشر المــيلادي (سنة 1869 م).

Kiblah القِبْلَة، من العربية مباشرة، في بداية القرن الثامن عشر الميلادي (سنة 1704 م).

Koran القرآن، من العربية مباشرة في القرن السابع عشر الميلادي (سـنة 1625م)([10]).

Mecca مكـة، مــن العربيــة مبــاشرة في القــرن التاســع عشر المــيلادي (سـنة 1850 م)، ولكــن

بمعناها المجازي وهو أي مكان يعتبره الإنسان مقدساً إلى أقصى درجة أو تكون أمنية حياته أن يزوره.

ويضيف معجم أكسفورد أن Mecca هو الاسم الذي يمثل الكلمة العربية، مكة، والذي يطلق على مسقط رأس سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

Minaret مئذنة، وهي مشتقة من العربية في أواخر القرن السابع عشر الميلادي (سنة 1682م) إما مباشرة أو عن طريق الفرنسية minarer. وأساس هذه الكلمة هو كلمة "منارات" أو "منارة"، والتي كانت في الأصل تعني المكان المرتفع يوضع عليه النور للاهتداء، ثم اتسع المعنى بحيث أصبح يطلق على كل بناء مرتفع ولو لم يكن عليه نور.

Mohammedan محمدي (نسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، بإضافة اللاحقة -an (التي تكون صفات من بعض الأسماء) إلى اسم الرسول. وقد دخلت الإنجليزية من العربية مباشرة في أواخر القرن السابع عشر الميلادي (سنة 1681م). أما كلمة Mohammed "محمد" نفسها فيُرجعها معجم أكسفورد إلى عام 1615م. Moharram شهر المحرم، أول الشهور العربية، وقد انتقلت من العربية مباشرة في أوائل القرن السابع عشر الميلادي (سنة 1615 م).

Moslem أو Muslim المسلم، من العربية مباشرة في بواكير القرن السابع عشر الميلادي (سنة 1615 م).

Mosque مسجد، عن طريق الإيطالية، ثم الفرنسية ثم الإنجليزية في أول القرن الخامس عشر الميلادي (سنة 1400 م).

كما نجد أيضا في اللغة الإنجليزية كلمة masjid، مسجد "المستعارة من العربية مباشرة دون أي تغيير حوالي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي (سنة 1845م).

Muessin مؤذن، من العربية مباشرة في أواخر القرن السادس عشر الميلادي (سنة 1585 م).

Mufti مُفْتٍ، من العربية مباشرة في وقت متأخر من القرن السادس عشر الميلادي (لسنة 1586 م).

Mussulman مسلم، عن طريق الكلمة الفارسية "مسلمان" (وهي أساساً صفة من كلمة "مسلم" الفارسية المأخوذة عن العربية). دخلت الإنجليزية في القرن السادس عشر الميلادي (1563-1583 م) باعتبارها اسما، وفي القرن السابع عشر باعتبارها صفة.

Ramadan شهر رمضان، وهي أيضا استعارة مباشرة في بداية القرن السابع عشر (سنة 1601 م).

Shia الشيعة، أو شيعي (اسماً وصفة)، من العربية مباشرة في القرن السابع عشر بالنسبة لمعنى "شيعي" (سنة 1626 م باعتبارها اسماً، وسنة 1698 م باعتبارها صفة). وهذه الكلمة، طبقاً لمعجم أكسفورد، نادرة الاستخدام في الإنجليزية بمعنى مذهب الشيعة.

Shiite شيعي (اسماً وصفة). ويقول معجم أكسفورد أنه يبدو أن هذه الكلمة دخلت الإنجليزية من العربية مباشرة حوالي الثلث الأول من القرن الثامن عشر الميلادي (سنة 1728 م).

Sufi الصوفي أو المتصوف، من العربية مباشرة في حوالي منتصف القرن السابع عشر الميلادي (سنة 1653 م).

Sunna السُّنَّة، من العربية مباشرة في أواخر القرن السابع عشر الميلادي (سنة 1687 م).

Sunni السُّنِّي، من العربية مباشرة في حوالي الثالث الأول من القرن السابع عشر الميلادي (سنة 1626 م).

Sunnite السُّنِّي أو سُنِّي (اسما وصفه)، في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي (سنة 1718 م).

Sura سورة، من العربية مباشرة في أوائل القرن السابع عشر الميلادي (سنة 1615م).

Ulema العلماء

Wahhab وهاب/الوهاب.

الفصل الثالث

الفصحى والعامية في وسائل الإعلام (*)

الفصل الثالث

الفصحى والعامية في وسائل الإعلام

دورة أخرى يخصصها مجمع اللغة العربية في جمهورية مصر العربية، من دورات مؤتمره السنوي لقضية الفصحى والعامية، مركزًا هذه المرة على وسائل الإعلام، ومتابعًا دوره المتميز في الحفاظ على اللسان العربي الفصيح، وفي تنمية لغتنا العربية والارتقاء بها. وينطلق المجمع في أداء دوره من إدراك عميق بمكان اللسان في هوية القوم وكونه أحد أركان هذه الهوية التي بالحفاظ عليها والتمسّك بها يتحقق نهوض الأمة وازدهارها الحضاري.

والحق أن جهود هذا المجمع والمجامع العربية الأخرى على هذا الصعيد تثمر وعيًا متزايدًا في أوساط الأمة بأهمية العناية بلسانها. وقد بدأ ما زرعته هذه الجهود يخرج شطأه ويستوي على سوقه ويثمر ثمارًا طيبة من خلال عمل طويل المدى. ومَثَلٌ على ذلك توقفتُ أمامه مؤخرًا حين شاركت في أعمال مؤتمر عربي قومي أهلي مشغول بتحقيق المشروع الحضاري العربي يناقش مختلف قضايا الأمة، فإذا بأوراق المؤتمر ومناقشاته تعتبر قضية الحفاظ على سلامة اللغة هي إحدى هذه القضايا بالغة الأهمية. وقد أشارت المناقشات إلى ما تتعرض له لغتنا من هجوم تشارك فيه قوى هيمنة دولية تضع نصْب أعينها التسلط على وطننا واستلاب هويتنا بهدف فرض تبعية لها علينا والحيلولة دون ازدهار إبداع الإنسان العربي. ذلك " لأن الإبداع لا يكون إلا بتوطين العلم، وتوطينه لا يكون إلا باللغة القومية " كما جاء في هذه المناقشات

عند بحث العلاقة بين " العلم والثقافة واللغة ". وجرى التأكيد على العناية بالمصطلح، والاهتمام بسلامة اللغة في وسائل الإعلام. وكان لافتًا أن يوصي الأعضاء بأن يتضمن تقرير المؤتمر السنوي عن "حال الأمة" بابًا عن وضع اللغة العربية في سائر أرجاء الوطن العربي وأن يجعل المؤتمر قضية اللغة العربية محورًا رئيسيًّا في أعماله، وأن يعمل أعضاؤه من أجل إيجاد وعي لغوي بين الجماهير العربية، مؤيدين ما طرحه الدكتور أنطون زحلان والدكتور عثمان السعدي.

إن تركيز النظر على قضية الفصحى والعامية في وسائل الإعلام يأخذ في الاعتبار ما للإعلام اليوم من سطوة ونفوذ في عصر ثورة الاتصال، ومن تأثير على الإنسان في عصرنا. والحق أن مكانة الإعلام هذه تحمل في طياتها فرصًا لأن يكون التأثير إيجابيًّا لصالح الإنسان ورقيّه وفصاحة لسانه إذا أَحسنا توظيف الوسائل الإعلامية في تقديم ما هو مفيد. كما تحمل في طياتها مخاطر أن يكون التأثير سلبيًّا إذا وظّفت قوى الهيمنة الإعلام لاستلاب الهوية ونشر رطانة اللسان وتعميم قيم هابطة. وإسهامنا في هذا النظر هو في طرح انطباعات تكونت من خلال متابعة فردية وحوارات حول الموضوع، وفي بلورة اقتراحات.

نستذكر بين يدي طرح هذه الانطباعات ما خرجنا به من نظرنا المجمعي في الفصحى والعامية في دورتنا السابقة، ومن تأملاتنا، بشأن دلالة كل من هذين المصطلحين، " وحقيقة أن أهم الفوارق بينهما هي ما يحدث في العامية من تحريف النطق ببعض حروف اللغة وتغييره كليًّا في بعض الأحيان وإهمال تحريك أواخر الكلمات وإعرابها وتغيير حركات حروف الكلمة. وتؤدي هذه الفوارق إلى تعدد العاميات العربية بتعدد أنحاء الوطن العربي الكبير واختلاف لهجاته، في وقت يحافظ " الفصيح " على وحدانيته، فيبقى نموذج اللسان الراقي الحريص على النطق الصحيح للحروف وعلى الإعراب وعلى سلامة الكلمة ". وقد أوصلتنا تأملاتنا أيضًا إلى أن ظاهرة وجود الفصحى والعامية جنبًا إلى جنب ظاهرة قديمة مستمرة تتضمن تعايشهما في تفاهم أساسه التسليم بمكانة الفصحى العالية ومرتبتها الرفيعة، وفي تكامل يتجلى في أداء كل منهما دوره في

ضوء حقيقة أن الاجتماع الإنساني منذ كـان فيـه عامـة وخاصـة ويشـهد نـزوع أفـراده للارتقـاء باللسان. كما كان من بين ما وصلنا إليه أن للكلام الفصيح درجاته وأفصحه هـو الفصـحى، وأن للعامية درجاتها تبعًا لقربها أو بعدها عن الفصحى، وأن قوى النهوض في الأمة دائبة عـلى التمسـك بهويتها تذود عن اللسان العربي وقد دخلت معركتها للحفاظ على سـلامة مرحلـة جديـدة اليـوم في ظل هجمة قوى الهيمنة الدولية" بالعولمة " وتوظيفهـا في الـتحكم في الإعـلام والتـدخل في المنـاهج التربوية لفرض مخططاتها التي منها تعميم عامية هابطة والقضاء على الفصحى.

نستذكر أيضًا أن وسـائل الاتصـال الجديـدة في عالمنـا مـن صـحافة وإذاعـة مسـموعة وأخرى مرئية اكتسبت شعبية متزايـدة في النصـف الثـاني مـن القـرن العشريـن، فاسـتحقت أن توصف بأنها " جماهيرية " وإذا كانت الصحافة المعتمدة على الكلمة المكتوبة قد جذبت إليهـا قطاعًا واسعًا ممن يحسنون القراءة من أبناء الأمة، فإن الإذاعة بنوعيها جذبت إليها فضلاً عنهم قطاعًا أوسعَ من العامة مستمعين بعد انتشار المذياع (الراديو) الصغير، ومشاهدين بعد انتشـار الرائي (التلفاز) وصُحونه التـي تسـتقبل العديـد مـن قنـوات البـث الفضـائية. وجـاءت وسـائل الاتصال الجديدة هذه لتتابع بكفاءة أعظم ما كانت تقوم به وسائل الاتصال القديمة من خطبة ونداء وانضم إليها فن السينما وتطوير المسرح استمرارًا للمسرح القديم والرواية المغنـاة للسـير على الربابة وخيال الظل. وكانت الفصحى معتمدة في تلك الوسـائل الإعلاميـة منـذ القـدم مـع مزجها بالعامية أحيانًا.

ونستذكر أن الصلة بين حال التربيـة والتعلـيم في المجتمـع وحـال الإعـلام فيـه وثيقـة. فالتربية والتعليم يهيئان الذي يقـوم بـالإعلام والـذي يتلقـاه، فهـما فـاعلان مـؤثران في الإعـلام. والإعلام هنا تابع لهما. ولكنه بدوره يصبح مؤثرًا عليهما لقوة تأثيره عـلى المتلقـي. وهـذا يعنـي تبادل التأثير بين التعليم والإعلام.

إن الصلة الوثيقة بين التعلـيم والإعـلام تـدعونا حـين ننظـر في " الفصـحى والعاميـة في وسـائل الإعـلام" إلى النظـر في حـال الفصـحى والعاميـة في التعلـيم. وهنـاك انطبـاع بـأن المدرسـة في غالـب الأقطـار العربيـة لا تـولي العنايـة الكافيـة لفصـاحة اللسـان، وأن منـاهج

التعليم لم توفق في تعليم اللغة العربية السليمة، وأن موجة تعليم لغات أجنبية اقترنت بإهمال تعليم اللغة الأم. والأسباب وراء هذا الحال كثيرة تتعلق بقيادات التعليم وواقع المدرس داخليًا وبمؤثرات خارجية. ولذا فإننا نشهد عند كثيرين من الطلاب "تلوثًا لغويًا" على حد وصف الأستاذ الدكتور كمال بشر للرطانة الشائعة بينهم.

والحق أن المؤثرات الخارجية لتغليب العامية على الفصحى وجدت مع قيام قوى الهيمنة في الغرب بالتمهيد لغزوهم الاستعماري للوطن العربي ودائرته الحضارية الإسلامية، وقويت هذه المؤثرات حين تمكن المستعمر الغربي من التحكم في وضع مناهج التعليم. وقد كتب كثير عن هذا الموضوع، تجلى من خلاله ما قصدته قوى الهيمنة من هجومها على اللسان العربي الفصيح من هزّ الهوية، كي تتمكن من نشر لغاتها وفرض التبعية لها على من اهتزت هويتهم تحقيقًا لتسلطها عليهم ثقافيًا واقتصاديًا وسياسيًا. وآخر ما سمعناه عن استهداف الفصحى ما طرحه الدكتور عثمان السعدي في المؤتمر القومي الغربي العاشر في مطلع أبريل نيسان 2000 حول ما جرى مؤخرًا في "فرنسا" التي كانت تدرس العربية منذ قرون بالحروف العربية وتعاملها في المدارس الثانوية في مستوى واحد مع الإنجليزية والإسبانية " ففي يوم 2000/1/7 أصدرت وزارة التربية الفرنسية قرارًا يطبق في امتحانات البكالوريا في حزيران – يونيو المقبل، يقضى بأن تمتحن العربية بالحروف الفرنسية التي تستخدم في ورقة الامتحانات وفي الأجوبة على الأسئلة. ويشمل هذا القرار الغريب على حد وصف عثمان السعدي: " التوقف عن تدريس العربية الفصحى التي يعتبرها الداعون للقرار لغة تعاهدية غير حية، واستبدال اللهجات العربية بها، مع اعتماد اللهجة المغاربية واللهجة الشامية واللهجة البربرية القبايلية " وقد صدرت ردود فعل على هذا القرار في أوساط فرنسية اعتبرته انحرافًا بالثقافة العربية. ومن الذين احتجوا على هذا القرار رئيس الجمعية الفرنسية لأساتذة اللغة العربية الذي اعتبره " موقفًا أيديولوجيًا ينطلق من الاستعمار الجديد الذي يفرنس حتى العربية، وذلك بكتابتها بالفرنسية وحذرت الجمعية الفرنسية لأساتذة اللغات الحية " بأنه بدون تكوين الشاب بالعربية الفصحى فإن الذين يتخرجون سيكونون أميين لا يستطيعون قراءة أبسط جريدة ".

يذكرني هذا التحذير بما قلناه لطلاب عرب يحاولون تعلم لسانهم العربي لأنهم حرموا من تعلمه صغارًا، فيقصدون معاهد أجنبية في بعض عواصمنا العربية تنظم دورات لتعلم العربية للأجانب، وتخصص جزءًا كبيرًا من المنهج لتعليم العامية، " إن تعلّم الفصحى هو السبيل لتعلم العربية، وهو أيضًا السبيل لفهم كل اللهجات العربية. والعكس غير صحيح، أي أن تعلم لهجة عربية محلية لا يوصل إلى تعلم الفصحى العربية".

تجدر الإشارة هنا إلى أن الدول التي تنتمي إليها هذه المعاهد الأجنبية، حريصة على تعليم شعوبها لغاتها الفصيحة دون اللهجات المحلية أو لغات أقوام فيها. وهذا ما تعمد إليه في جهودها لنشر لغاتها وثقافاتها في العالم. فبريطانيا مثلاً تعلم اللغة الإنجليزية في الحالين، وليس اللغة الويلشية أو اللغة الاسكتلندية. وهذا شأن فرنسا وبقية دول أوربا. ومعلوم أن لكل من الدول الكبرى في عالمنا سياسة معتمدة في نشر لغتها يجري تنفيذها من خلال مجالس مختصة لها مكاتب وفروع في أقطار كثيرة وتخصص لها ميزانيات كبيرة. ومعلوم أيضًا أن مردود هذه السياسة كبير جدًّا على الصعيد المعنوي وعلى الصعيد المادي أيضًا.

لقد حرصت هذه الدول في عصر ثورة الاتصال على توظيف مختلف وسائل الإعلام لنشر لغاتها. وهكذا أصبحنا نرى اليوم في الإذاعة المرئية بخاصة قنوات فضائية تذيع كل منها بلغة الدولة التي تمتلكها. كما نرى انتشارًا واسعًا للصحافة الناطقة بلغات الدول الكبرى تعود بمردود كبير معنوي ومادي.

ماذا عن الفصحى والعامية في وسائل إعلامنا العربي؟

نبدأ بالصحافة، ونستحضر تاريخها في القرنين الأخيرين منذ ظهورها مرورًا بتطورها وصولاً إلى واقعها القائم، حيث أصبحت تحتل مركزًا مرموقًا في إعلامنا بصحفها اليومية ومجلاتها الأسبوعية ودورياتها الشهرية والفصلية. ويمكننا أن نخرج من هذا الاستحضار بمجموعة انطباعات.

الانطباع الأول هو أن الصحافة العربية اليوم تعتمد في التعبير لغة عربية فصيحة في كثير من أبوابها. وتتميز هذه اللغة بالسهولة والبساطة والنمو. وقد تطورت مع تطور

الصحافة وغدت سائدة في تحرير الخبر وفي إجراء التحقيق الصحفي وفي كتابة التحليل والتعليق في الأعمدة وفي بريد القراء. واشتهرت هذه اللغة باسم لغة الصحافة الذي بات يشير إلى ما تتميز به.

الانطباع الثاني هو أن الصحف اليومية الكبيرة ومثلها المجلات تولي عناية متزايدة بالفصحى الأدبية وبالنقد الأدبي الذي تزدهر به اللغة وترتقي، وذلك من خلال نشرها مقالات للأدباء والكتاب المرموقين. ونحن نرى اليوم تنافسًا بين هذه الصحف والمجلات على دعوة الأقلام المعروفة للكتابة فيها. كما نرى ارتباط دائرة من القراء بمتابعة مقالات هؤلاء، وهي دائرة تتسع باستمرار، الأمر الذي جعل كبار الأدباء والكتاب حريصين على النشر في الصحف.

الانطباع الثالث هو أن هناك مكانًا في أكثر هذه الصحف والمجلات لعامية راقية، وبخاصة في التعبير الشعري. فهي تنشر أزجالاً وشعرًا نبطيًّا مزدهرًا في جزيرتنا العربية وشعر الملحون المعروف بالمغرب. وقد تنشر قصصًا وروايات تتضمن حوارات بالعامية في حدود ما أقره النقد الأدبي. والغالب على العامية المنشورة أنها عامية راقية حافلة بالصور الجميلة قريبة من الفصحى.

النتيجة التي نصل إليها من خلال هذه الانطباعات أن الغلبة في الصحافة هي للفصحى، وأن مستقبل الفصحى في الصحافة زاهر إذا أولى النقد الأدبي عناية لما ينشر في الصحافة، وتابعت مجامع اللغة اهتمامها بالنظر في لغة الصحافة والتفاعل معها. ويحمد لمجمع اللغة العربية بمصر. هذه المتابعة وحرصه على تخصيص لجنة للنظر في الألفاظ والأساليب ومناقشة ما تتوصل إليه في مؤتمره السنوي.

نأتي إلى الإذاعة بنوعيها المسموعة والمرئية. ونستحضر تاريخ الأولى الذي يعود للربع الثاني من القرن العشرين، وتاريخ الثانية الذي يعود للنصف الثاني منه. ونستذكر كيف أصبحت الإذاعة المسموعة " جماهيرية " واسعة الانتشار بعد اختراع المذياع الصغير "الترانستور"، وكذلك كيف دخلت الإذاعة المرئية مرحلة جديدة باستخدام " الصحن الهوائي " الذي يستقبل " الفضائيات " من القنوات المتصلة بالأقمار الصناعية. ونلاحظ

أمورًا تشترك فيها نوعا الإذاعة وأمورًا تخص كلاً منهما. والأمور المشتركة التي تخرج من انطباعاتنا هي:

1- أن الفصحى هي المعتمدة في الإذاعتين المسموعة والمرئية في قراءة نشرات الأخبار وفي إعداد الأحاديث العلمية والأدبية والفكرية في غالب الأحيان.

2- أن هناك توزعًا في الحوارات المذاعة بين الفصحى والعامية. وتختلف نسبة الأولى إلى الثانية بحسب نوعية الحوار ومستوى فصاحة كل من المذيع ومحاوره. وتعاني بعض هذه الحوارات من تلوث لغوي، وبخاصة في نطق بعض الحروف، مثل: الثاء التي تنطق سينًا والذال التي تنطق زايًا، والظاء التي تنطق زايًا مفخمة أو ضادًا، والضاد التي تنطق دالاً، والطاء التي تنطق تاءً.

3- أن التمثيليات المسلسلات تعتمد الفصحى غالبًا إذا كانت تعالج موضوعات تاريخية، وأنها تعتمد العامية غالبًا إذا كانت تعالج موضوعات معاصرة. وتتعدد العاميات فيها بحسب المكان، في قطر واحد أو في عدة أقطار. كما تتراوح هذه العاميات بين عامية راقية وأخرى هابطة.

4- أن الأغاني المذاعة في المذياع والتلفاز (الرائي) تغلب العامية عليها، مع وجود للقصيدة المغناة يزيد أو ينقص حسب المناخ الثقافي المحيط الذي يتفاعل فيه المؤلف والملحن والمغني والقيادة الإعلامية والنقد. ويمكن تمييز عامية راقية في بعض الأغاني تكفل للأغنية إذا حسن تلحين كلماتها الانتشار والبقاء، كما يمكن تمييز الكلام العامي الهابط في أغانٍ كثيرة قد تنتشر مؤقتًا إذا حسن تلحين كلماتها ولكنها لا تبقى.

يطيب لنا هنا أن نستذكر أمثلة على انتشار القصيدة الفصيحة المغناة وبقائها حية عقودًا من السنين. فهذه الموشحات باقية. وقد بقيت القصائد التي ترنم بها مغنون كبار بعد أن عهدوا بتلحينها إلى كبار الملحنين. وهذا شأن ما لحنَه وغناه محمد عبد الوهاب من شعر أحمد شوقي وغيره من الشعراء المحدثين، مثل: بشارة الخوري، وعزيز أباظة، وكامل الشناوي، ونزار قباني ومحمود حسن إسماعيل. وهذا شأن ما لحنَهُ رياض السنباطي من

شعر أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وعزيز أباظة، ونزار قباني، وجورج جرداق، وأحمد آدم وغنته أم كلثوم. وقد بقيت قصيدتا " رسالة من تحت الماء " و " قارئة الفنجان " اللتان ألفهما نزار قباني ولحنهما محمد الموجي وغناهما عبد الحليم حافظ على الألسنة عقودًا ثلاثة وغدتا من الأعمال الفنية العظيمة. وهكذا.

كما يطيب أن نستذكر أيضًا الأغاني التي تنتسب كلماتها إلى العامية الراقية وحظيت بملحنين مرموقين وبمغنين كبار. ولا يتسع المجال هنا لإثبات ما يدعوه الخاطر منها. ولذا يكفي أن نشير إلى ما ألفه بيرم التونسي وصلاح جاهين وأمثالهما، وإلى أغنية " الليلة الكبيرة " التي لحنها سيد مكاوي من كلمات صلاح جاهين. ولافت هنا أن الأغاني التي اشتهرت في العقدين الأخيرين وبقيت، كانت كلماتها تتميز بأنها عامية راقية تنتمي إلى عدة أقطار عربية. ومن أمثلتها " بعاد كنتم ولاَّ قريبين " التي غناها محمد عبده، و"ليلة لو باقي عمري ليلة" التي غناها عبد الرب إدريس، و " أنا مار مريت جنب أبواب البيت " التي غناها عاصي حلاني، و " برد ورعد " التي غناها وائل كفوري، و " قالوا لي " التونسية، وقبل ذلك أغنيات وديع الصافي.

النتيجة التي نصل إليها من خلال هذه الانطباعات عن الفصحى والعامية في الإذاعتين المسموعة والمرئية هي أن للفصحى مكانتها في التعبير عما هو جادٌّ ومفيد، وأن للعامية مكانًا في برامج الترويح، وأن هناك عامية راقية يتجاوب المستمع والمشاهد معها. ويسجل للفضائيات في الإذاعة المرئية بخاصة أنها أتاحت للمشاهد التعرف على مختلف اللهجات العامية العربية بصورة لم تحدث من قبل من خلال التمثيليات والأغاني. ولافت ما يقترن بهذا التعرف من انسجام في أغلب الأحيان، ومن سعادة بهذا التنوع. وقد اكتسبت بعض التمثيليات التي كانت متقنة فنيًّا في موضوعها وتمثيلها وإخراجها شعبية واسعة، وكان للحوار بالعامية الراقية رونقه فيها. ومثل عليها نذكره هو مسلسل " أيام شامية " السوري " ليالي الحلمية " المصري.

لما كانت الإذاعتان المسموعة والمرئية تقومان بإذاعة " الأفلام السينمائية "، فإن من المناسب التعرف على حال الفصحى والعامية في هذه الأفلام التي تجذب إليها مستمعين

كثيرين من جيل الحداثة بخاصة ومشاهدين أكثر من متابعي "التلفاز". والانطباع عما تعرضه الشاشة الصغيرة هو أن العامية هي المسيطرة في الأفلام العربية. وهي عامية تتفاوت من فيلم لآخر في درجة رقيها أو هبوطها. ونلاحظ أن نسبة الهبوط زادت مع زعم " الواقعية "، بينما كانت العامية الراقية هي الغالبة في أعمال الفنانين الكبار وفي مقدمتهم يوسف وهبة. وما يصدق على السينما يصدق على المسرحيات التي تعرضها الشاشة الصغيرة.

يبقى أن نشير إلى أن بعض ما تعرضه الشاشة الصغيرة من المسلسلات الأجنبية ومن أفلام الرسوم المتحركة تقوم بعض المحطات بجعل النطق فيه بالعربية الفصيحة في عملية ما يعرف " بالدبلجة " وهي كلمة معربة. كما تقوم بترجمة الكلام في بعض المسلسلات الأجنبية والأفلام بلغة عربية فصيحة تطبع في أسفل الصورة. وهكذا نجد الفصحى هي الغالبة على هذا الصعيد. وغير خافٍ أن اعتمادها في هذه الأحوال يعود إلى أنها المفهومة في كل الأقطار.

إذا كان لنا في ختام هذا الحديث عن الفصحى والعامية في وسائل الإعلام أن نبلور اقتراحات للارتقاء باللغة في ضوء ما أوردناه من انطباعات، فإن اقتراحنا الأول هو أن

يكون من مواصفات من يتولون القيادة في وسائل الإعلام إدراكهم لمكان اللغة في الحفاظ على الهوية واحترامهم للفصحى وتطلعهم للارتقاء باللسان وتجاوبهم مع العامية الراقية ونفورهم من العامية الهابطة. واقتراحنا الثاني هو العناية بتدريب الصحفيين والمذيعين الجدد، على النطق السليم والكتابة العربية الصحيحة. واقتراحنا الثالث هو العناية بالنقد الأدبي لما ينشر ويذاع، سواء بالعامية الراقية أو الفصحى، ومتابعة رصد الأخطاء وتصحيحها بهَدف الارتقاء باللغة. واقتراحنا الرابع هو تعزيز العلاقة القائمة بين مجامع اللغة العربية ووسائل الإعلام، بحيث تسارع المجامع إلى تزويد وسائل الإعلام بما تعتمد من مصطلحات، وما تقوم به من ترجمة أو تعريب، وتقوم وسائل الإعلام باستخدامها وتعميمها.

فـإن للفصـحى مكانًـا في وسـائل الإعـلام لا تسـتطيع العاميـة أن تحتلـه. ويمكننـا حـين نستحضر ما كانت عليه لغتنا العربية في واقع الحياة اليوميـة قبـل ثـورة الاتصـال وبعـدها، أن نقرر أن حال الفصحى هو اليوم أفضل، وأن الآفاق أمامها أرحب. وقـد حدث ذلك

على الرغم من كل مخططات قوى الهيمنة التي استهدفتها بالعداء وسعت إلى أن تحـل محلها عاميات عربية. ولا شك في أن ما قامت به المجامع من جهود للحفاظ على اللسان العربي والارتقـاء باسـتخدامه كـان لـه فضـل خـاص في احـترام الفصـحى والالتـزام بهـا في التعبـير في الموضوعات الحيوية في وسائل الإعلام. وهـا نحـن نـرى مـا زرعتـه هـذه الجهـود يخـرج شـطأه ويستوي على سوقه. ويبقى أن تنجح هذه الجهود في تطوير مناهج التربية والتعلـيم وأسـاليب تعلم اللسان الفصيح لتجاوز ما يعانيه الطـلاب مـن تلـوث لغـوي. وكـذلك في تعريـب العلـوم. وتحية طيبة مباركة عطرة لمجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية بمناسبة انعقـاد مـؤتمره السادس والستين.

الفصل الرابع

الاستعمار اللغوي في الإعلام وعلاقته بالتغيير والأمن

الفصل الرابع

الاستعمار اللغوي في الإعلام وعلاقته بالتغيير والأمن

تعد اللغة مقوماً أساسياً من مقومات ثقافة الشعوب، وأساساً مهماً للحفاظ على بقائها واستقرارها وتقدمها، وبقدر تقدم اللغة واستقرارها تتقدم الأمم والشعوب، وبقدر الحفاظ على اللغة، يتم الحفاظ على الهوية الوطنية، فلا يمكن الاعتماد على اللغات الأخرى لأسباب التقدم والرقي، لأن لغة الآخر، تعني ثقافة الآخر، وإذا سيطرت لغة الآخر سيطرت ثقافته، ولهذا بدأ الصراع حاداً وقوياً من أجل السيطرة على لغة الآخر، وهو صراع يعتمد على قوة الإعلام، والغزو الثقافي والفكري، والتقدم العلمي، بحيث تصبح اللغة المستهدفة عاجزة عن التعبير أو الإيفاء بالغرض الذي وجدت من أجله، ويتم السيطرة عليها وتوجيهها من قبل عناصر خارجية لأغراض سياسية وثقافية وسياسية واقتصادية، وينتهي الأمر بهيمنة لغوية مصاحبة لهيمنة العولمة، والهيمنة اللغوية من أخطر أشكال الهيمنة، لأنها تحمل في طياتها مرتكزات أساسية في حياة الأمم والشعوب، واللغة هي المحرك الأساسي للفكر.

وبسبب الاعتماد على لغة الآخر، تتولد لدى أصحاب اللغة عقدة النقص والشعور بالانهزام النفسي، وعدم الثقة باللغة الأم باعتبارها عاجزة عن الوفاء بالمتطلبات الأساسية للحياة، وغير قادرة على مواكبة التطورات الحاصلة في العالم من حولها.

ولغة الخطاب تحدد طبيعة التلقي، وتحدد سلوك الآخرين، وموقفهم من القضايا المختلفة التي يعرضها الخطاب، والخطاب اللغوي هو القادر على رسم صورة إيقاعية متناغمة بين المرسل والمتلقي، تكون الرموز والدلالات فيه هي القادرة على إنتاج علامات جديدة تفرض نفسها على السلوك الوقتي والمستقبلي للأفراد الذين يستقبلون هذا الخطاب، ولم تعد لغة الخطاب الإعلامي لغة تقليدية، وإنما استفادت من التقنيات الحديثة في تقديم المعلومات، وتوجيه سلوك الأفراد، والتأثير فيهم، وعن طريق التقنيات

الحديثة يمكن التواصل الإعلامي والمعرفي وإزالة الفوارق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين المجموعات والأفراد، فعن طريق التقنيات الحديثة يمكن للخطاب أن يقفز فوق المكان وينزع إلى فصل المكان عن الهوية، وذلك عن طريق تضخيم الحقائق أو تغييرها معتمداً في ذلك على الصور والرموز.

والخطورة في تقنية المعلومات الحديثة، تعود في المقام الأول إلى اختراق وسائل الإعلام، وتشكيل ما يسمى بالاستعمار الالكتروني أو المعرفي، وهنا لا يصبح الخطاب اللغوي ذا سيطرة قومية، وإنما تسيطر عليه عوامل خارجية تخترق منظومة القيم والمفاهيم السائدة، وتشكل في المقابل قيماً جديدة، تخترق الأمن القومي والإقليمي، وتشكل بؤرة معرفية خطرة، لأنها توجهه من مناطق بعيدة، وتتحكم بتقنية عالية في وسائل الإعلام ولغة الخطاب وكيفية تقديم الخبر، وهذا يفرض علينا وضع هذه التقنيات موضع الاختبار والمراجعة، لا بهدف الإلغاء وإنما بهدف التعامل الحذر معها، وهذا يتطلب تطوير وسال الاتصال المحلية حتى تنافس وسائل الاتصال الوافدة، وتتصدى لها على مستوى اللغة والمعلومة.

والعلاقة اللغوية بين المتكلم والمتلقي هي علاقة تفويض وإذعان " اذ ليست سلطة الكلام إلا السلطة الموكولة لمن فوض إليه أمر التكلم والنطق بلسان جهة معينة، والذي لا تكون كلماته، أي فحوى خطابه، إلا شهادة من شهادات أخرى على ضمان التفويض الذي وكل إلى المتكلم[1] وهذا التفويض يعني سيطرة المتكلم على المتلقي لغوياً وفكرياً، ويعني أيضاً استسلام المتلقي للغة التي يستخدمها المتكلم، بحيث تفرض هذه اللغة نفسها على فكره وأنماط سلوكه، فاللغة هي مقياس الثقة في النفس، والقدرة على التقدم، والاعتماد على الذات، وهذا يؤكد ما قاله الفيلسوف الألماني فيخته " أينما توجد لغة

(1) السنوسي، صالح: أزمة المصداقية في الخطاب السياسي العربي، كتاب تحليل الخطاب العربي، منشورات جامعة فيلادلفيا 1997، ص 192.

مستقلة توجد أمة مستقلة لها الحق في تسيير شؤونها وإدارة حكمها " [1] فاستقلالية اللغة والتحكم فيها يعني السيطرة على حاضر الأمة ومستقبلها، والسيطرة أيضاً على تفكير أبنائها، وحمايتهم من الأفكار الوافدة، لأن لغة الخطاب هي التي تحدد سلوك الأفراد، والخطاب اللغوي هو القادر على إحداث نوع من التأثر والتأثير، والمسألة التي تفرض نفسها على المتلقي، هي قدرة الخطاب اللغوي على الإقناع، وفرض نفسه على تفكيره، وتحويله من طرق ايجابي إلى طرف سلبي، يقع تحت تأثير ما يفرضه عليه الآخر من فكر وسلوك، وهذا كله بطبيعة الحال مرتبط ارتباطاً وثيقاً بوسائل الاتصال الحديثة، وهذا يتطلب منا أن نتعرف على موقعنا في خارطة العولمة الثقافية والسياسية، ومدى قدرتنا على التأقلم الصحيح معها، بحيث لا نترك المتلقي العربي مرهوناً بما يقدم إليه من وسائل خطاب حديثة ومتطورة، في مقابل عجزنا عن مخاطبته والتأثير فيه، فالغالبية العظمى منا " أصبحت تدرك بأننا مقبلون على مواجهة تحديات تقنية جديدة ستشكل على الأمة عبئاً جديداً خاصة في مجال الإعلام الذي سبق له وأن ذاق مرارة المعاناة الشديدة في حلبة التنافس والسباق التقني، فهو لا يكاد يستورد آلة حتى تأتيه الأخبار بولادة آلة أحدث. [2]

وكما يستورد المتلقي العربي الآلة الصناعية، ويستسلم للمسمى الوارد معها، فانه يستورد المفردات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ويستسلم لها أيضاً، وهذه المفردات قد تشكل صياغة جديدة للمنطقة ككل، أو صياغة جديدة لأفراد من المنطقة، حسب رغبة الجهة المعدة لهذه المصطلحات، فمن المصطلحات اللغوية التي أصبحت تفرض نفسها على المتلقي العربي " شرق أوسط جديد " أو " شرق أوسط كبير " ونعت الشرق الأوسط بالجديد أو الكبير فيه إغراء للمتلقي العربي، الذي يبحث عن الجديد في عالمه المهزوم، وعن الكبير في ظل سياسة الحدود المغلقة والإجراءات المعقدة في السفر

---

(1) الحصري، ساطع: ما هي القومية، دار العلم للملايين – بيروت، بدون تاريخ، ص 56.

(2) جودت، محمد علي: قراءة في الخطاب الإعلامي والسياسي المعاصر، ط1، مكتبة مدبولي 2005، ص 78، 79.

والتنقل، ووسائل الإعلام تردد هـذا المصـطلح عـن وعـي أو غـير وعـي منهـا، ويـردده أصـحاب السياسة وربمـا يروجـون لـه، والمتلقـي العـربي البسـيط يتـأقلم عـلى سـماع هـذه المصـطلحات الجديدة، وتصبح أمراً واقعاً في قاموس حياته اللغوي.

وربما لا يدرك أصحاب وسائل الإعلام أو يدركون أن هذا المصـطلح يريـد صـناعة شرق أوسط جديد على الطريقة الغربية فيه الجدة التي لا تعني الفائدة، وفيـه الكـبر الـذي لا يتـيح للمواطن العربي حرية الحركة والتنقـل، ولكنـه في المقابـل يسـمح بخلـق واقـع جغـرافي يسـمح بدخول عناصر جديدة إلى الشرق الكبير المفترض، وهذه الجده قد تبدأ بإسرائيل ولكن لا تنتهـي بها، فهنـاك كيانـات جديـدة بـدأت تتشـكل في المنطقـة لتشـكل منظومـة شرق أوسـط جديـد، وظهرت دول جديدة، مثل دولة جنوب السودان، وهنـاك دول جديـد عـلى خارطـة الطريـق في العراق وسوريا وليبيا ومصر، وغيرها من الدول.

وهذا بدوره يقودنا إلى المصطلح الآخر " خارطة الطريق " وهو مصطلح جديد، فرضـه الآخر علينا، واستسلم إعلامنا له، وأصبح واقعاً في تفكيرنا وتعاملنا مع القضايا التي تخصنا، دون وعي منا بالأبعاد السياسية والنفسية المصاحبة لهذا المصطلح اللغوي.

والمصطلح يحمل دلالتين لغـويتين (خارطـة وطريـق) والخارطـة مجهولـة المعـالم، فهي فكرة غير معرفة وغير محددة، والذي يرسم الخارطة غير معروف، أمـا الطريـق فهـي معرفة، ولكنها بالنسبة لنا فكرة لأننا لا نعرف ملامح الطريـق، أو أيـن تبـدأ وأيـن تنتهـي، والآخر هو الذي يحدد الخارطة والطريق، وعلينا نحن أن نسير فقط في الطريـق المرسـومة لنا، وفق الخارطة المجهولة التي يمكن إعادة تشكيلها حسب مصلحة الآخر، ومتطلبات كل مرحلة على حدة، وما يقال في هذين المصطلحين يقال في مصطلحات أخرى، مثـل : الصراع الطبقي، العدالة الاجتماعية، الديمقراطية وحقوق الإنسـان، الوسـطية الإسـلامية، الإرهـاب الديني، الأصولية، إلى غيرها من المصطلحات اللغويـة في شـبكة اسـتعمارية لغويـة تهـيمن على وسائل الإعلام، وتفـرض نفسـها عـلى ثقافـة المتلقـي العـربي، ومـنهج تفكـيره، وتـؤدي بالضرورة الى إذابة الشخصية الوطنية، وعزلهـا عـن موروثهـا الثقـافي والـديني والحضـاري، وتشكيل شخصية جديدة مستسلمة لكل ما هو جديـد، والأخطـر مـن ذلـك أنهـا مقتنعـة

بحالة الانهزام والتخلف والضعف، ولهذا تتقبل مصطلحات لغوية مثـل : " معونـات – دعـم – هبات – منح- قروض..." وهي كلهـا مصـطلحات لغويـة تـدل عـلى أن الشـعوب العربيـة رغـم ثرواتها الهائلة تعيش على فتات الآخرين، وأنها غير قادرة على الاعتماد على الذات، مـما يشـكل حالة من حالات النفور من الذات، وعدم الرضا عن الانتماء السياسي والفكري والديني، ويـؤدي هذا بالضرورة إلى حالة من التشكك في الثوابت، ورفض كل ما هو وطني، وتشكيل حالة جديدة من الاقتناع بأفضلية الآخر على الأنا، والاندماج غير الواعي بالمشروع الثقافي الكوني الذي تشكله العولمة الجيدة، بكل تداعياتها الفكرية والثقافية.

وهذه الحالة السلبية أمـام الاسـتعمار اللغـوي، وسـيطرة خطـاب العولمـة قـد تطـول، ولكنها لا تستمر، لأن الإفراط في التوجيه والهيمنة، قد يولد شعوراً عكسياً لدى الذات، كي تسترد شيئاً من ذاتها، وربما يكون ذلك مع نشوء جيل جديد مشبع بحالـة الانهـزام والخـوف والقلـق، مما يعني ولادة حالة جديدة رافضة لكل ما هو سـلبي عـلى مسـتوى الـذات والآخـر، ويحـاول إعادة شيء من كرامته المفقودة، وينتصر لتاريخه وتراثه، مما يعني مواجهة حتمية وأكيـدة مـع أسباب الانهزام والتخلف الداخلية والخارجية.

وهذه المواجهة قد تبدأ بحالات فردية، (وارهاصات) أولية، ولكنها تمتد وتتواصل لتصبح حالة رفض جماعي، وربمـا تخـرج مـن حالـة الخـوف المفـروض، وحالـة الإذعـان، إلى حالـة مـن المواجهة الجماعية المدعومة بالرفض والتحدي. مـما يعنـى مواجهـة أسـباب التخلـف والإذلال والقمـع، ورسـم خارطـة جديـدة قـد تكـون مغـايرة تمامـاً للخارطـة المعـدة سـلفاً، والطريقـة المفروضة أصلاً. وهذا يدخلنا في دائرة مصطلحات أخـرى لا نريـد تتبعهـا، ولكـن نأخـذ نموذجـاً منها، وهو مصطلح (الإرهاب)، قبل الوصول إلى مصطلح "الربيع العربي" الذي أصـبح مصـطلحاً متداولاً في وسائل الإعلام وعند رجال الفكر والسياسة.

فمصطلح " الإرهاب " ارتبط بكل تحرك ديني خارج عن إطار الخارطة والطريق. وهـو مصـطلح واسـع الفهـم متعـدد الـدلالات، يمكـن تفسـيره حسـب أهـواء المفسريـن وميـولهم

الدينية والسياسية، " هكذا يبقى الإرهاب كمصطلح ومفهوم عسير التفسير متفاوت الفهم، وتبقى أسبابة وعلاجه الغربي قاصرة على فهم الأسباب الحقيقية المبنية على القهر والظلم والطغيان والتواطؤ، وتظهر تفسيرات مختلفة تبتعد عن تحليل الأسباب والجذور، وتكتفي بمعالجات سببية ظاهرية [1].

وقد تتعدد مفاهيم الكلمة ودلالاتها الاصطلاحية بحسب البيئة التي تستخدم فيها، ففي المفهوم السياسي نجد عدة دلالات للكلمة تختلف باختلاف البيئة السياسية ومصالحها الخاصة، وعلاقاتها مع الآخرين، وكذلك بالنسبة لسياسة الدولة وعلاقتها بالخصوم والمعارضة السياسية والدينية، وعلاقتها مع الدول المجاورة، والخلافات القائمة بينها، ومثل هذا أيضاً في المفهوم القانوني، وأحكامه المتعلقة بالإرهاب، وفق المدلول المعاصر للكلمة، ومدى ملاءمة هذه القوانين لسياسة الدولة، وعلاقتها بالخصوم، وعلاقة ذلك كله بصياغة الأحكام والقوانين التي تنظم علاقة الأفراد بعضهم ببعض، وعلاقة الأفراد مع الدولة.

وهذه المفهوم قد يدخلنا في دائرة العلاقات المتشابكة بين لأنا والآخر، فالأنا ينظر دائما إلى الآخر على أنه النقيض أو الضد الذي ينازعه الحكم أو السيادة أو السلطان أو المال إلى غير ذلك من الأمور التي يحرص الأنا على ملكيتها وخصوصيتها بالنسبة له، ولهذا ترتبط صورة الآخر الذي يريد أن ينتزع من الأنا خصوصيته بالإرهاب، وما يقال عن الآخر من وجهة نظر الأنا، يقال عن الأنا من وجهة نظر الآخر، وتظل صفة الإرهاب متبادلة بين طرفين لا يمكن أن يلتقيا إلا إذا التقت المصالح والغايات المشتركة بينهما.

ويرتبط بمصطلح الإرهاب مصطلحان آخران هما التطرف والعنف ويركز الإعلام بشكل عام على هذه المصطلحات الثلاثة، باعتبارها متصلة بالدين وبشكل خاص (الإسلام) وقومية معينة هي (العرب) وبذلك يقترب مصطلح الإرهاب من المغالاة في

---

(1) الشايجي، عبد الله خليفة: إرهاب الدولة في النظام العالمي المعاصر، مجلة المستقبل، العدد 224-1997/10، ص 20.

عمل الشيء " فالتطرف في أبسط معانية هو الخروج عن الوسط أو البعد عن الاعتدال، أو اتباع طرق في التفكير والشعور غير معتادة لمعظم النـاس في المجتمـع، وهـذا التطـرف قـد يـؤدي إلى العنف، والعنف قد يؤدي إلى الإرهاب، وبذلك تتصـل الحلقـات بـين المصـطلحات الثلاثـة وقـد تتسع دائرتها لتدل كل كلمة منها على معنى الأخـرى، فالإرهـاب يعنـي العنـف، أو عـلى الأقـل التهديد به، أو استخدامه، والعنـف أو ممارسـته يـدل عـلى الإرهـاب، والتطـرف مصـطلح آخـر للإرهاب، أو هو الحلقة الواصلة بين الإرهاب والعنف " والتطرف بمعناه العام هو الخـروج عـن المألوف "، أو ما هو متفق عليه، ولقد ارتبط هذا المفهوم بكثير من المفاهيم الأخرى، فـالتطرف في رأي، يلحقه تعصـب لهـذا الـرأي، وعنـدما يتحـول التطـرف والتعصـب إلى سـلوك غالبـاً مـا يستخدم العنف كوسيلة لتحقيق أهدافه، وقد يستخدم العنف أيضاً وسيلة الإرهاب الفكري أو المادي لحمل الآخرين بالاتفاق مع أو الابتعاد عما تحاول الجماعة المتطرفة تحقيقه"([1])

وقد تلتقي وجهات النظر حول ردة فعل سلبية نحو كلمة (إرهاب) لأن الكلمـة بحـد ذاتها قد ضخمت في وسائل الإعلام، وأصبحت تتصل بأعمال قتل وترويـع، ولم نجـد مـن يحـاول دراسة الظاهرة دراسة جدية، والعمل على ربطها بأسبابها ودوافعها.

وغالباً ما نجد أن الكلمة ممزوجة بالدم في تصورات النـاس، ومـن يوصـف بالإرهـاب إنسان منبوذ في المجتمع؛ لأنه يشكل خطراً على الآخرين. والجماعات الإرهابيـة هـي جماعـات خارجة على القانون؛ لأنها تعمل ضد الدولة وضد المجتمع.

وهذه النظرية الأحادية الجانب، تجعل مفهوم الناس لمصلح الإرهاب مفهومـاً سـلبياً، لأن من يقاوم الظلم أو الاحتلال لا يجـد مـن يـدافع عنـه إعلاميـاً، ولا يجـد مـن يحـاول إقنـاع الآخرين بقضيتة العادلة، بيـنما تتسـارع وسـائل الإعـلام في تبريـر الظلـم والـدفاع عنـه، مقابـل مـن يحـاول رفـع الظلـم عـن نفسـه ولا يملـك مـن الوسـائل المتاحـة أمامـه إلا مهاجمـة

1- بيومي، محمد أحمد: ظاهرة التطرف (الأسباب والعـلاج) ط دار المعرفـة الجامعيـة – الإسـكندرية، 1999، ص 147

وسائل الظلم وتحديها، وهنا يأتي دور وسائل الإعلام التي لا يتاح لها رصد الظاهرة ومعالجتها بشكلٍ موضوعي.

وأنا لا أشك في أن من يمارس الإرهاب (مع تحفظنا على المعنى الذي يدور في أذهان الناس عن هذه الكلمة) لا يقصد الإرهاب كغاية، وإنما يتخذه وسيلة ربما تكون مشروعة (من وجهة نظره) لتحقيق أهداف مشروعة لا يمكن له أن يحققها دون أن يسلك هذا الطريق " والإرهاب ليس خالياً من البصيرة. إنه وسيلة واعية لتحقيق غاية. وللإرهاب جذوره وأسبابه وأهدافه، وهي النقطة التي يتم تجاهلها من جانب المراقب الذي يرى أن أعمال الإرهاب عشوائية وهادفة إلى قتل أناس لا يشكل موتهم أيَّ قيمة لخدمة قضية الإرهابي. ومن أجل فهم هذه المفارقة الظاهرة لا بد من تدقيق التكوين التاريخي للإرهاب الحديث، والإلمام بأطروحاته النظرية، وتحليل السبل التي تجعل الإرهاب المعاصر استمراراً لاتجاه تاريخي، وظاهرة فريدة من ظواهر عصرنا، في آن معاً [1].

والمنطق يفترض أنه طالما بقي ظلم وقتل وقهر، فستكون ردات فعل موازية، وطالما بقي خلل في الموازين التي توزن بها الأمور، بقي احتلال واعتداء على الآخرين، فسيكون هناك من يحاول الانتقام لنفسه وأرضه ووطنه، فالإرهاب مرتبط من وجهة نظر معتدلة (بالانتقام)، وغالباً ما يكون وصف الإرهاب للطرف الضعيف الذي يمارس ردة الفعل، بينما لا يوصف الطرف القوي الذي يمارس الفعل بهذه الصفة.

وقد تكون محاولة وصف الفعل السلبي من الطرف القوي بالإرهاب سبباً لإلصاق تهمة الإرهاب بمن يحاول هذه المحاولة، بينما تجد صفة الإرهاب للطرف الضعيف قبولاً وتشجيعاً عند الطرف القوي، وهذا سبب آخر من أسباب الخلل في تصوير الظاهرة تصويراً لا يعتمد على الموضوعية في رصدها، وتحديد علاقتها بالفعل وردات الفعل.

---

(1) وردلو، غرانت: الإرهاب قبل 11 أيلول وبعده، مجلة الكرمل، فلسطين العدد 69، خريف 2001، ص 8 .

وإذا كان الأمر كذلك، فان وسائل الأعلام قد استعمرت هذه الكلمات، و اتخذت منها منطلقاً لتشويه الحقائق، وإلصاق التهم بالطرف الضعيف الذي يحاول في بعض الأحيان رفع الظلم عن نفسه، أو الدفاع عن حقوقه، والأصعب من ذلك هو ربط هذه المصطلحات بالدين، وتشويهه، وتحويل الدين إلى دين إرهاب وعنف وتطرف، ولهذا نجد مصطلحات مثل " التطرف الديني – الإرهاب الفكري – الأصولية – اللاسامية، وفي مقابل ذلك نجد مصطلحات مثل : الاعتدال، الوسطية، التسامح، حوار الأديان، الديمقراطية، حقوق الإنسان........ وتعمل وسائل الإعلام على الترويج لهذه المصطلحات بهدف ترسيخها في اللاواعي وجعلها واقعاً في حياة الناس وتفكيرهم. وتصبح هذه المصطلحات استعماراً لغوياً تتحكم فيه وسائل إعلام عالمية ومحلية. ويتم تصدير هذه المصطلحات عبر قنوات فضائية، ومن خلال شبكات الانترنت ووسائل الإعلام المرئية والمكتوبة.

وهذا بطبيعة الحال ينعكس بشكل واضح على مجريات الأمور في الواقع، ويدفع نحو التغيير السلبي أو الايجابي، لأن مصطلحاً مثل (التطرف الديني) على سبيل المثال قد يؤدي إلى ردات فعل سلبية نحو الدين، ومحاولة مراجعة بعض المسلمات، بهدف البعد عن التطرف المزعوم، وفي مقابل ذلك قد تدفع هذه المصطلحات إلى ردات فعل عنيفة لمواجهة هذا المصطلح الذي يعد تعدياً على الدين، وقد يوضع هذا المصطلح مع غيره من المصطلحات الأخرى، لتشكل في مجموعها منظومة رفض لهذه المصطلحات التي تعد تعدياً على الدين وعلى الحقوق الشخصية، وقد يكون ذلك دافعاً قوياً للثورة والاحتجاج على صانعي القرار، الذين يستقبلون مثل هذه المصطلحات ويستسلمون لها.

وقد يأتي رفض هذه المصطلحات التي تمس الدين والكرامة الشخصية مع عوامل قهر أخرى، وممارسات غير مقبولة من مؤسسات الدولة التي تمارس إلى جانب القهر الفكري، تعديات على الحريات الشخصية، واستنزاف الثروات العامة والخاصة، الأمر الذي يدفع بهم إلى مواجهة الظلم بطرق سلمية، قد تجد ردات فعل عنيفة من قبل السلطة التي تمارس أساليب القهر والظلم. وقد يتحول الاحتجاج من مجرد ظاهرة فردية

إلى ظاهرة جماعية لا يمكن الوقوف في وجهها، تؤدي في النهاية إلى إحداث تغيير جذري على مستوى القاعدة والقمة، تماماً كما حدث في تونس ومصر وليبيا وسوريا والبحرين، حيث تتابعت الاحتجاجات والثورات.

وأمام هذا التحول الهائل في المواقف الصامتة تجاه ما يحدث وما سيحدث، توظف وسائل الإعلام نفسها لمواجهة هذه المتغيرات، وربما تكون موجهة لتشويه صورة هذه الانتفاضات الشعبية، فهي إما أن تقلل من شأنها أو تقلل من حجمها، فالذين يقومون بالاحتجاج هم فئة خارجة عن النظام، أو مجموعة من الأفراد الذين يريدون التخريب والفوضى، أو بعض العناصر، أو شردمة، أو شباب الفيس بوك، إلى غير ذلك من المصطلحات التي تحاول تحجيم هذه الثورات، وتقليل عددها.

وفي مقابل ذلك نجد مصطلحات أخرى تحاول تشويه هذه الثورات والتقليل من شأنها فهم مجموعة من الأفراد الذين يتعاطون المخدرات، أو حبوب الهلوسة، أو أنهم من الإرهابيين، أو السلفيين الذين يريدون إقامة إمارة إسلامية خاصة بهم، أو جماعة من المتشددين الذين يريدون تحويل حياة الناس إلى ظلام، أو أنهم أفراد من تنظيم القاعدة، أو أنهم مجموعة من المخربين الذين يريدون تخريب البلد، أو أنهم قطاع طرق ولصوص، يريدون أن ينهبوا الثروات ويعتدوا على الملكيات العامة والخاصة، إلى غير ذلك من مصطلحات التشويه التي تحاول وسائل إعلام السلطة ترسيخها في أذهان الناس عبر محطات وقنوات وإذاعات تملك السلطة وسائلها وأدواتها، وتتحكم بمدخلاتها ومخرجاتها، وهي وسائل إعلام تدور في فلك السلطة وتتبع سياسة الإقصاء للآخر، ولا تعترف بحرية الرأي، وتعتبر كل رأي مخالف عدواً لها وعدواً للشعب، لأنها تنظر إلى الآخر على أنه ينازعها السلطة، ويريد القضاء عليها. والسلطة هنا لا تعني مجرد الحاكم، وإنما تشمل كل النظام وأتباعه والمستفيدين منه.

" إن فضاء الخطاب الإعلامي هو الذي يحدد غالباً انتماء هذا الخطاب، بالرغم من حرص " الفاعل الخطابي" على طمس حقيقة هذا الانتماء ومراميه الحقيقية عن

الآخرين، وتقديم نفسه ممثلاً للشرعية، وإزالة التناقض ما بين السلطة الحاكمة والآخرين".[1]

ولأن النظام يملك وسائل الاعلام، ويوجهها كيفما شاء، فقد مارس من خلال مصطلحاته المدروسة سياسة التضليل والتشويه، وقلب الحقائق، الأمر الذي أفقد من يوجه هذا الاعلام مصداقية التعامل معه، أو الانسياق وراء مصطلحاته، فلم تعد مصطلحات مثل: " فئة - مجموعة - بعض الأفراد - إرهابيين - مخربة – خارجة عن القانون – تنظيم القاعدة... الى غير ذلك من المصطلحات، لم تعد تلقى اهتماماً، ولا تأثيراً في نفوس الناس الذين فقدوا أصلاً ثقتهم بوسائل الاعلام الموجهة اليهم من قبل السلطة الحاكمة أي انتباه لأن الأمر ببساطة يتعلق بأبنائهم الذين خرجوا للاحتجاج على مظاهر الفساد والظلم، فهؤلاء الذين تصفهم وسائل الاعلام بهذه الصفات هم ابناؤهم، وهم الذين يدعمونهم.

" كل هذا يجعل اللغة التي يستخدمها الاعلام العربي تتموضع خارج الزمان والمكان " [2]

ويسبب الخلل في استخدام وسائل الاعلام لهذه المصطلحات التي واكبت الحراك الشعبي، وعدم ثقة الناس بها، لأنها تتناقض مع حقائق الأمور وما يجري على أرض الواقع، فقدت السلطة أهم محرك لها (وهو الاعلام) ولم تعد قادرة على السيطرة على توجيه الناس من خلال وسائل إعلامها التي وقفت حائرة أمام استعمار لغوي محلي لا ينسجم مع ما يجري على أرض الواقع ولا يتناسب مع حقائق الأمور التي أصبحت تفرض نفسها بشكل واضح على الشارع أولاً، وفي فكر الناس وتوجهاتهم ثانياً.

---

(1) سميسم، حميدة: مفهوم الخطاب الإعلامي من كتاب تحليل الخطاب الإعلامي، منشورات جامعة فيلادلفيا، 1997، ص 115.

(2) مهنا، فريال: جدلية المضمون والشكل في اللغة الإعلامية العربية، المرجع السابق، ص 142.

الاستعمار اللغوي الخارجي:

قد لا تكون وسائل الإعلام المحلية هي من يقوم بصناعة المصطلحات التي ترددها وسائل الإعلام، وإنما توجد جهات خارجية تقوم بصناعة هذه المصطلحات وتصديرها إلى وسائل إعلامنا العربية، لتقوم بالترويج لها، وفرضها على المتلقي العربي، الذي يستسلم لها ويرددها، وتصبح أمراً واقعاً في قاموسه اللغوي.

وعند مراجعة المصطلحات التي استخدمت من صناع الثورات العربية، نجد مصطلحات عفوية نابعة من إحساس ذاتي بالظلم والقهر، مثل: ثورة انتفاضية – حراك شعبي – مليونية – جمعة الصمود – جمعة الوحدة – جمعة رفض الوصاية – جمعة الثبات... إلى غير ذلك، ومثل هذه المصطلحات لا تروق لصناع القرار في الداخل ولا في الخارج، ولهذا يأتي التفكير سريعاً في إيجاد مصطلحات بديلة، يكون لها تأثير أقوى وبريق أشد، في محاولة لاستعمار هذه المصطلحات وتوجيهها عبر وسائل إعلام خارجية بعد أن فقد المواطن العربي ثقته بوسائل الإعلام المحلية، وقد يكون مصطلح " الربيع العربي " من أكثر المصطلحات استخداماً في وسائل الإعلام، وبخاصة وسائل الإعلام الخارجية (عربية أو غير عربية)، وقد ظهر هذا المصطلح لأول مرة في وسائل الإعلام الغربية، وعلى لسان كبار صناع القرار السياسي الأمريكي، وجاء استخدام هذا المصطلح توصيفاً للحالة الثورية التي تشهدها معظم البلدان العربية، ثم درج استخدام هذا المصطلح في وسائل الإعلام العربية، وعلى لسان القائمين بالثورة، وأصحاب السياسة على اختلاف توجهاتهم.

والمصطلح الذي استخدمه الإعلام الغربي، جاء اختياره بذكاء وعن قصد، ويثير كثيراً من التساؤلات حوله، لعدة أسباب منها:

1- مصطلح " الربيع العربي " جاء بديلاً عن مصطلح الثورات العربية أو الحراك الشعبي أو الانتفاضة، فالثورة، على سبيل المثال، تعني التغيير الشامل، واستمرار هذا التغيير حتى الوصول إلى تحقيق كل الأهداف، وهي ثورة تخلو من قائد

بعينه، وإنما هي هبة شعبية جماهيرية، يدفعها وعي الناس بضرورة التغيير نحو الأفضل، ورفض كل ما هو قائم، فالثورة لا تعني مجرد حدث عابر وإنما هي حراك دائم ومستمر ومتواصل نحو تغيير جذري وجوهري يقلب الأمور رأساً على عقب.

2- محاولة توصيف ما يحدث على الساحات العربية من تغيير وثورات بأنه ربيع يدفع بأصحاب الثورة إلى الاستسلام للمصطلح، ولوسائل الإعلام التي تستخدمه، وبالتالي استعمار الفكر والشعور من خلال المصطلح البراق، والإذعان بعد ذلك للأخبار المتعلقة به، والتي ربما لا تكون لخدمة أهداف الثورة، ولكنها تأتي تحت عنوان براق يخدع في ظاهره، ولكنه يخفي وراءه أشياء أخرى.

3- الذين أطلقوا هذا المصطلح هم الذين كانوا يرون الربيع العربي قائماً أصلاً، من خلال الأنظمة الديكتاتورية التي كانت تقوم على خدمة مصالحهم، وكانت ترسم معهم ملامح الشرق الأوسط الجديد الذي يفتح الباب على مصراعيه لكل ما هو دخيل على قيم، وتعاليم، وتراث الشعوب العربية، وكانت تمارس دور القهر والظلم للشعوب العربية، حتى لا تفكر في أكثر من تحصيل قوتها اليومي. فالربيع الذي تحدثت عن وسائل الإعلام الغربية، هو الذي كان قائماً وليس الذي هو آت، لأن الآتي لا يشكل لهم ربيعاً، وإنما هو مصدر قلق وخوف من المجهول ينقض على الربيع الذي اعتادوا عليه.

4- مصطلح الربيع يستخدمه الغرب بانتقائية، ليصف الحالات التي توافق معاييره الخاصة، فهو يعلم أن الثورات العربية ستقود إلى التغيير حتماً، ولهذا فهو يريد أن يمتطي صهوة التغيير، ويصفه بالربيع، وكأنه كان يتمناه ويطلبه من الحكام العرب الذين كانوا يرفضون ذلك، ويصرون على بقاء الأمور كما هي، فالربيع إذن مطلب غربي قبل أن يكون مطلباً عربياً، والذين يتحدثون عن الربيع هم الذين كانوا يطلبونه من الحكام الذين سقطوا، ولم يعد لهم حساب في السياسة الغربية.

5- استخدام مصطلح الربيع العربي يرتبط تاريخياً بحالات مشابهة استخدم فيها المصطلح، وكانت نتائجه سلبية، تماماً كما حدث في حركة الإصلاح التي شهدتها تشيكوسلوفاكيا عام 1968 للتخلص من قبضة الاتحاد السوفييتي، والتخلص من النظام الشيوعي، وانتهت بإرسال موسكو دباباتها إلى العاصمة براج، وأجهضت الربيع، قبل أن يصل إلى تحقيق أهدافه. وقد يكون في استخدام المصطلح ما يشير إلى محاولة التخويف من نتائج الربيع العربي.

6- الربيع العربي يحمل في معناه الظاهر التجدد والشباب والتفاؤل والأمل، والذين استخدموا هذا المصطلح أرادوا من ورائه أن يبينوا أن أقصى ما يمكن تحقيقه قد تحقق، وبالتالي لا يوجد بعد الربيع شيء يمكن تحقيقه أو الوصول إليه، وكأن مجرد الثورة هو الربيع وليس ما وراء الثورة. فهذا المصطلح يقزم مطالب المنتفضين، ويجعل الثورة بحد ذاتها هدفاً وليست وسيلة للوصول إلى تحقيق أهداف وغايات أوسع وأبعد من مجرد إحداث تغيير شكلي على مستوى الشارع، وربما الحاكم أيضاً. فالربيع يعني نهاية المطاف لمخاض عسير انطلق، وتحقق.

7- الربيع العربي لا يحتاج إلى مراجعة، فهو ربيع بما تحمله كلمة ربيع من معان جميلة، وهذا بطبيعة الحال بخلاف مصطلح (الثورة) الذي يحتاج إلى مراجعة ونقد ذاتي أثناء الثورة، وبعد نجاحها فالثورة لا تنتهي إلا بتحقيق أهدافها، بينما الربيع لا يحتاج إلى مراجعة أو تقويم لأنه وصل إلى مرحلة التمام والكمال.

8- الربيع العربي يعني الوقوف عند مرحلة معينة، لا تتم فيها محاسبة أو مراجعة ما قبل الربيع، مما يعني تجاوز حالات التسيب والظلم والقتل والنهب... والاكتفاء بالمنجز الذي تم تحقيقه، لأن الربيع لا يحمل في معانيه محاسبة الآخرين أو ملاحقتهم، أما الثورة فهي بخلاف ذلك تماماً لأنها قامت أصلاً للتصحيح والمحاسبة والمحاكمة.

وقد يطول الأمر في المقارنة بين المصطلح المستعمر لدى وسائل الإعلام وهو

(الربيع العربي) والمصطلح المقابل الذي تحاول وسائل الإعلام اخفاءه وهو الثـورة أو الانتفاضـة، لأن وسائل الإعلام الغربية ومعها العربية، لا تريد لأصحاب الثورة أن يصنعوا مصـطلحاتهم كـما صنعوا إرادتهم، ولكنها تريد أن تجعل المصطلح ملكاً لها، تصف به الأحـداث التـي تجـري عـلى أرض الواقع من خلال مصالحها الخاصة واعتباراتهـا الذاتيـة، وبـذلك يكـون الفعـل لمـن يصـنع الفعل، ويكون المصطلح لمن يوجه هذا الفعل ويتحكم به من بعيد.

وقد يكون استعمار المصطلح أخطر بكثير من استعمار الفعـل، لأن الفعـل يتوقـف عنـد حدود المصطلح، فإذا أصبح واقعاً سيطر على فكر الناس وسلوكهم. وفرق بين الثورة والربيـع ن فالثورة لا يمكن تسميتها إلا بالثورة، ولا تحتاج إلى توصيفات أخرى، كتلك التـي يحـاول الحكـام وضعها (مؤامرة – إرهاب – خروج على القانون...) أو التي يحاول الغرب نعتها " بالربيع " الذي يعني مجرد مرحلة وصلت إلى تمامها، وليس بعدها إلا الخريف القاتل.

ولهذا ليس غريباً أن يكون الإعلام الغربي وحتى العربي مع مصطلح الربيـع، لأن ذلـك لا يكلفهم شيئاً بل على العكس يجعلهـم أكـثر إيجابيـة وتعاطفـاً مـع أصـحاب التغيـير والـرفض. ولكن مصطلح الثورة يكلفهـم كثـيراً، لأنـه ببسـاطة يعنـي القضـاء عـلى مصـالحهم وخططهـم، ووجودهم، وعروشهم.

وعندما يكون الاستعمار اللغوي بهذا الشكل، فـان الخطـر مـن الاسـتعمار اللغـوي، قـد يفوق الخطر من الاستعمار التقليدي.

الفصل الخامس

الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام

الفصل الخامس

الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام

إن الإعلام اليوم أصبح مؤسسة تتعامل مع حياة كاملة، بكل ما تعني هذه الكلمة، فهو مؤسسة اقتصادية لا تقتصر على أخبار نقل أسواق المال والأعمال والأسهم والشركات والتجارات والصناعات والمبتكرات، وترصد الأسعار والأسواق، وتقوم بالإعلان المغري بالاستهلاك، وتروج للسلع المتنوعة، وإنما تتجاوز ذلك إلى الدراسات والتحليلات والاستشراف المستقبلي، وإقامة الندوات، واستضافة الخبراء، إلى درجة يمكن معها أن نقول: إن الإعلام أصبح صناعة اقتصادية ثقيلة، ومدرسة اقتصادية ذات تعليم مستمر، فالذي يملك الإعلام يملك التحكم بالأسواق والإنتاج والثقافة العالية، التي تحول دون المخاطرات المالية وتبصر احتمالات المستقبل.

وكذلك الشأن في المجال الاجتماعي، بكل تفرعاته ومجالاته، وعلومه، ومعلوماته، وأنماطه.

والإعلام، أولاً وقبل كل شيء، يعتبر من أهم مؤسسات التشكيل الثقافي، ولا نجافي الحقيقة إن قلنا: بأن جميع مصادر التشكيل الثقافي على تنوعها أصبحت بحوزة الإعلام، حيث إنه أصبح يغطي كل الجوانب الإنسانية، ويشكل نظرة الإنسان، ويمنحه المعيار الذي ينظر منه إلى الأشياء، بل يدربه على ذلك، ويقدم له النتائج، فهو يقرأ له، ويكتب له، ويروي له، ويبيع له، ويشتري له، ويخترق شخصيته القائمة، ويساهم بصنع شخصيته المستقبلية، إلى درجة أصبح يمكن معها التنبوء بردود الأفعال الممكنة، ووضع الحلول والأوعية المطلوبة لحركتها مسبقًا.

وليس أمر الإعلام كمؤسسة تربوية تعليمية بأقل شأنًا، ذلك أن الإعلام أصبح، بما أتاح من وسائل متنوعة، يغطي قطاعات واسعة وعريضة من المواطنين، باهتماماتهم واختصاصاتهم وأعمارهم، ابتداءًا من عالم الطفولة وانتهاء بحالات الشيخوخة،

لـذلك فالفاقد للوسيلة الإعلامية أصبح اليوم كالفاقد لحاسة من حواسه، فهو أشبه بالمعاق.

إن هذا الاستحواذ على الناس جميعًـا، في مختلـف ثقافـاتهم ومـواقعهم وأمـاكنهم، أمـر يصعب تغطيتـه بوسـائل وبـرامج التعلـيم النظـامي، سـواء مـن حيـث المسـاحة أو الوقـت، أو الأدوات، أو التقنيات، أو السويات المتنوعة، أو المواد المقررة والوجبـات المطلوبـة، حيـث يقـدم الإعلام اليوم الثقافة والتوجيه والترفيه والمعلومة، إضافة إلى أنه يتميز بالاستمرار وتراكم التـأثير، والتنوع، والتطوير، والابتكار للوسائل التي لا تتوقف.

فـالإعلام تعلـيم دائـم ومسـتمر، ولكـل الأجيـال، مـن الأطفـال وبنـاء خيـالهم العلمـي، والشيوخ، والذكور والإناث، إضافة إلى امتلاكه، من خلال الوكالات وشبكة المراسـلين مـن مواقـع الأحداث، القدرات الخارقة في الحصول على المعلومة، والوصول إلى المتخصص في الأمر المطلوب، وإبداعه للوسائل التعليمية المتميزة، وحسن اسـتخدامها مـن الصـوت واللـون والصـورة واللغـة والظلال والـديكور... حيـث حـول الإعـلام بإمكاناتـه الهائلـة ورحابتـه ووسـائله غـرف التعلـيم التقلـيدي، بسبورتـها وأقـلامها ومـقاعدها وكتـابها ووسائـلها، إلـى ما يشـبه المعـتقلات التـي لا يصدق التلميذ متى يخرج منهـا ليقعـد دون إحسـاس بـالزمن إلى التلفزيـون أو "الإنترنـت " أو "الكمبيوتر ".

والذين يحاولون اسـتشراف المسـتقبل يتوقعـون أن يـتم الإعـداد والاسـتعـداد لتقنـية الوسـائل التعليمـية وتأمـيـن الاتـصال عـن بـعـد بما يغني عن الذهاب إلى المدرسة، وإنمـا تـأتي بالمدرسة والمدرس والوسائل إليه في مقعده أمامها.

أما الشأن الإعلامي ودوره في السياسة والمغالبة الحضارية، فحـدث ولا حـرج، فالمعلومـة وتوصيلها باتت اليوم هي السلاح الأكثر فاعلية ومضاءً، فهي أشبه بالسلاح الكاتم للصوت.. إنها حقبة المعلومة المرنة، أو حقبـة الإعـلام.. لقـد تحولـت الأمـم مـن معلومـة السـلطة إلى سـلطة المعلومة.

فـإذا كـان للمسـألة الإعلاميـة هـذه الأبعـاد والآفـاق والقـدرة العجيبـة عـلى الاخـتراق لمجالات الحياة جميعًا، فإنهـا تتطلـب أن تتحـول إليهـا وتصـب فيهـا جميـع الجهـود.. ولا نـأتي

بجديد إن قلنا: إن الإعلام اليوم هو ثمرة للعلوم جميعًا، ليس العلوم الإنسانية والاجتماعية فحسب، بل والعلوم التقنية والتجريبية.. وهو محصلة لشعب المعرفة جميعًا، من علم اللغة، والاجتماع، والتاريخ، والنفس، والإنسان، والتربية، والتعليم...الخ.

إن العلوم جميعًا تتضافر اليوم لإنجاز إعلام مؤثر، فالعالم بعد اختزال الزمان والمكان والمسافات، أصبح دولة إعلامية واحدة، أو قرية إعلامية، والدول الجغرافية أصبحت أحياء وحارات في هذه القرية.. ومن هنا ندرك لماذا كانت معجزة الرسالة الخاتمة معجزة إعلامية بيانية مجردة عن ظروف الزمان والمكان.

فالتكليف الشرعي -فيما نرى- ليس بأداء العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج فقط، وإنما الارتقاء بوسائلنا النافذة والمؤثرة، لتكون بمستوى الإسلام والعصر، لتبلغ الإسلام وتظهره، وبذلك ندخل حلبة المغالبة الحضارية، أو المدافعة الحضارية، والحوار الحضاري، والدعوة إلى كلمة سواء، بأدواتها المناسبة وتخصصاتها المطلوبة.

ولعل اللغة تمثل في نهاية المطاف، سواء كانت منطوقة أو متكوبة أو مسموعة، الوعاء الإعلامي الأهم، على الرغم من أهمية الوسائل الأخرى.. وقد بلغت لغات الإعلام عند الأمم اليوم شأوًا بعيدًا وشأنًا مؤثرًا باختيار الأصوات الملائمة، والنبرات المؤثرة، والصورالأخاذة، والمصطلحات المأنوسة، والوجه المناسب، والشخصية الملائمة، فلكل وعاء إعلامي مواصفات في التحرير والإخراج والأداء، والصورة والصوت، والديكور، والتقديم، واللباس، وحركات الوجه والحواس، التي تمثل وسائل اتصال غير مسموعة.

وتخضع العملية الإعلامية الجادة دائمًا لعمليات مراجعة وتقويم وتطوير، وتجديد وتنويع، ودراسة جدوى، وقياس الجدوى، من متخصصين في شعب المعرفة جميعًا، وتنفق عليها الأموال الطائلة لبناء إمبراطوريتها المعاصرة.

فإذا كانت اللغة عقيمة متكلفة غير مأنوسة وغير ملائمة، فلا تنتج سوى القيم التعبيرية القاصرة والبائسة والمعقدة التي تتحول إلى قبور للمعاني، لا تلبث أن تنقرض وتخلي المكان لغيرها.

لقد نجح الإعلام، وفي كل يوم يحقق نجاحات إضافية في توظيف التقنية الحديثة في خدمة الثقافة السياسية والاجتماعية والحضارية وتحديث المجتمعات، وفق منهجه وأهدافه ورؤيته في التحديث، التي قد تؤدي إلى الاستلاب الحضاري للأمم العاجزة والمتخاذلة.

إن شمولية القضية الإعلامية للمجالات الحياتية جميعًا، إلى جانب نقل الأخبار، وترجمتها للحياة اليومية، وتسجيلها للتاريخ المعاصر، سوف تكون له نتائج وتداعيات على المستويات كافة.

فإذا كانت العملية الإعلامية بهذه الخطورة، وكانت اللغة هي أداتها ووعاؤها، وكانت العربية وعاء المعجزة الإعلامية البيانية، فأين دور العربية في وسائل الإعلام اليوم، والوصول إلى الآفاق الحياتية المتعددة؟

إن الوضع المحزن يتمثل في أن اللغة العامية، لغة الجهل، تتقدم، والفصحى، لغة العلم والتاريخ والتراث والحضارة، تتراجع إلى المعاجم، وأن أساليب تعليمها باتت لا تشجع بل قد تنفر.. والمشكلة الأساس في كيفية الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام، ولا نعني بالارتقاء بها مجرد رصد وإحصاء الأخطاء على الإعلامي ومحاولة تصويبها.

وما أزال أذكر بهذه المناسبة ما سمعته من بعض الباحثين من أن أحد الأدباء الكبار عندما ألقى محاضرة في بلاد المغرب العربي، أحصى عليه طالب من دارسي علوم الآله (علوم اللغة) حوالي سبعة عشر خطأً لغوياً، ومن ثم غاب هذا المحصي ولم يسمع أحد به بعد المحاضرة، وقدم ذلك الأديب الكبير مساهمات أدبية في مجال الأدب الجاهلي والإسلامي و السيرة والمقالة ما نعلمه جميعًا.

إن المجامع وكليات اللغة العربية لا تزال تسير خلف الإعلام، تتعقبه بكسر همزة أو بفتحها، أو بتعريب مصطلح شائع، وتبذل الجهود الكبيرة للإبقاء على الوسائل القديمة

لتعليم العربية، وكأن وسائل تعليم العربية وطرقها القديمة مقدسة لا تمس، لذلك فهي تحول دون الارتقاء إلى وسائل معاصرة في تعليم اللغة، أو على الأقل الإفادة من (الآخر)، في ميدان التنافس والمدافعة اللغوية والحضارية، الذي يفرد لكل فن إعلامي وعلمي لغة وأسلوبًا ومصطلحات، بل لقد بات يسوق علينا مصطلحاته ومفاهيمه.

وقد يكون من المفيد الإشارة والإشادة بوجهة مجمع اللغة العربية في دمشق، حيث عقد ندوة في تشرين الثاني 1998م، تحت عنوان: "اللغة العربية والإعلام "، عرض فيها لواقع اللغة العربية في وسائل الإعلام المتعددة من مكتوبة ومسموعة ومرئية، شارك فيها مجموعة من الخبراء والعلماء، في اللغة، والأكاديميين، وأصحاب التجارب السابقة والإعلاميين.

ولقد حاولت الندوة توصيف المشكلة، أو أزمة العربية في وسائل الإعلام، وبحث سبل العلاج، وانتهت إلى مجموعة توصيات يمكن أن تعتبر نقطة انطلاق لمزيد من التفكير، والتنظير، والمثاقفة، والمعالمة، إن صح التعبير.

ولا شك أن محاولة المجمع المرابطة في المواقع اللغوية الفاعلة والمؤثرة يعتبر جهدًا مقدورًا يثير الاقتداء.

ولعل إلقاء نظرة على بعض عناوين المساهمات المطروحة في الندوة، يمنح قدرًا من إبصار المشكلة والرؤية التشخيصية لها، الأمر الذي يعتبر أول الطريق للعلاج والتصويب.

ومن العناوين البارزة في الندوة: الإعلام وتنمية الملكة اللغوية، اللغة العربية والإعلام المرئي والمسموع (مقترحات في سبل العلاج والتنمية)، سلطان العربية في مضمار الإعلام، واقع اللغة العربية في الإعلام المسموع والمرئي، اللغة العربية والإعلام المسموع والمرئي، خير الكلام في لغة الإعلام، العربية والقنوات الفضائية، الفصحى ضرورة العصر، دور العربية في مواكبة المصطلح الأجنبي في الإعلام... ونشرت وقائع الندوة وأعمالها في جزأين من المجلد الرابع والسبعين من مجلة المجمع، تاريخ ربيع الأول 1420هـ (تموز-يوليو-1999م)و جمادى الآخرة 1420هـ (تشرين الأول -أكتوبر-1999م).

وهذا التوجه ليس جديدًا على مجمع اللغة العربية بدمشق، فقد سبق له أن أصدر مجموعة معاجم في المصطلحات العلمية والطبية، الأمر الذي ساهم بالمسيرة التعليمية، وعلى الأخص تعليم العلوم التجريبية من طب وهندسة... الخ، باللغة العربية.

كما أقام المجمع ندوة أخرى تصب في الموضوع نفسه تحت عنوان: حول منهجية موحدة لوضع المصطلح.

وبهذه المناسبة لا يفوتنا أن نذكر أن من بوادر اليقظة اللغوية والثقافية والمعرفية أيضًا، التوجه صوب المصطلح كخيار لغوي وسمة حضارية، والبحث في منهجية التعامل معه، حيث عقدت ندوة في المغرب، أو دورة علمية تدريبية للباحثين في التراث العربي الإسلامي، قام عليها معهد الدراسات المصطلحية في جامعة سيدي محمد ابن عبد الله الفاسي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، وشاركت فيها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، عرض فيها لمفهوم المنهجية، ومفهوم التراث، ومنهجية خدمة التراث، وتوظيف التراث، وتدريس النص التراثي، ونشرت أعمالها في مؤلف خاص صدر عن معهد الدراسات المصطلحية والمعهد العالمي للفكر الإسلامي.

لقد بيّن أصحاب الخبرات الطويلة، في البحث اللغوي واللساني وتعليم العربية، أن أفضل طريقة لتعليم اللغة وأيسرها وأقربها إلى مسايرة الطبيعة هو خلق بيئة سماعية، تنطق فيها العربية الفصيحة بمفرداتها وتراكيبها وعباراتها الثرية المضامين والدلالات.. يقول الدكتور إبراهيم مصطفى وزملاؤه (تحرير النحو العربي، دار المعارف، مصر، 1958م):

إن أفضل طريقة لتعليم اللغة وأيسرها وأقربها إلى مسايرة الطبيعة، هي أن نستمع إليها فنطيل الاستماع، ونحاول التحدث بها فنكثر المحاولة، ونكل إلى موهبة المحاكاة أن تؤدي عملها في تطويع اللغة وتملكها، وتيسير التصرف بها، وتلك سنة الحياة في اكتساب الأطفال لغاتهم من غير معاناة ولا إكراه ولا مشقة، فلو استطعنا أن نصنع هذه البيئة التي تنطلق فيها الألسن بلغة فصيحة صحيحة، نستمعها فتنطبع في نفوسنا، ونحاكيها فتجري بها ألسنتنا، إذًا لملكنا اللغة من أيسر طرقها، ولمهد لنا كل صعب في طريقها.

ونعتقد أنه بإمكان وسائل الإعلام المتنوعة أن تكون معلمة للغة أيضًا، وذلك بإسهامها في إيجاد هذه البيئة السماعية الفصيحة.. وبإمكان هذه البيئة، بيئة السماع والمشاهدة، إذا ما أحسن استثمارها وتوظيفها، أن تجعل اللغة العربية الفصيحة المعاصرة الميسرة السهلة لغة الإعلام، في كل فعالياته ومجالاته وبرامجه.

فالإعلام إذا كان بالمستوى المطلوب، لغة وأداءً، يصبح مدرسة لتعليم اللغة.. ذلك أنه مع استمرار السماع ينضج الأسلوب والطريقة في الذهن، فتتولد المقدرة على المحاكاة، فيبدأ الإنسان في استخدام اللغة السليمة في حاجاته وأغراضه وأفكاره.

وهذا يعني أن وسائل الإعلام قادرة على تنمية الملكة اللغوية عند المتلقي، مما سوف يؤدي إلى الارتقاء بالإعلام نفسه، والتحول من لغة الأمية والجهل "العامية " إلى لغة العلم والحضارة "الفصحى"، والارتقاء بالأداء، وبناء القاعدة اللغوية والثقافية المشتركة، الفصحى، وبذلك يشكل الإعلام، بكل عطائه، موقعًا مساندًا للعملية التعليمية والتربوية، ولا يتحول إلى وسيلة استلاب ثقافي متقدمة في داخل الأمة وجسرًا لنقل (الآخر) بكل أحماله المقترنة بالكلمة والصورة.

ولابد من الانتباه إلى التعبير بسائر أدواته، فالتعبير بالصورة سبيل إلى التعبير بالكلمة، ذلك أن الجمهور العام يستهلك الصورة الإعلامية أكثر من قدرته على استهلاك معانيها، ومن ثم ينتقل ذهنيًا ولسانيًا من المجسد إلى المجرد.

وبعد، فهذا الكتاب يمكن أن يعتبر إلى حد بعيد، محاولة لطرح الموضوع واستدعائه إلى ساحة الاهتمام، حسبها أنها لفتت النظر إلى قضية على غاية من الأهمية والخطورة، وهي لغة الإعلام، أو واقع العربية في وسائل الإعلام وسبل الارتقاء بها.

ذلك أن الإشكالية الكبيرة -فيما نرى- ليست باحتلال العامية الكثير من وسائل الإعلام، أو اللحن بالعربية وإشاعة اللحن في ألسنة وعقول المتلقين فقط -ولقد بدأت العامية بالتراجع أمام ارتفاع نسبة التعليم وانحسار الأمية- وإنما الإشكالية الأساس أيضًا هي في اختيار المفردات اللغوية، والأسلوب المناسب، لأنواع الأوعية الإعلامية، من مقروءة ومسموعة ومرئية، ولطبيعة المادة الإعلامية، وفنون التعبير من خبر وتقرير

واستطلاع ومقابلة وحوار وتعليق...الخ، وطبيعة المضامين الإعلامية، حيث يمتد الإعلام اليوم ليغطي جميع جوانب الحياة والمساحات الإنسانية.

فهناك الإعلام السياسي، والإعلام الاقتصادي، والإعلام الرياضي، والإعلام الثقافي، والإعلام الأدبي، والإعلام العلمي والطبي، والإعلام الاجتماعي... الخ، ولكلٍ من هذه الأجناس الإعلامية خصائصه ومتطلباته المعرفية، ومفرداته، ومصطلحاته اللغوية والعلمية، وأساليبه المؤثرة، التي تجمع بين مواصفات الخطاب العام والخطاب النوعي في آن واحد.

واللغة العربية، بما تمتلك من الإمكان والتنوع، والمترادفات، التي تشترك في معنى واحد، وتتمايز في الوقت نفسه لاختصاص كل مفردة بمعان خاصة بها، تلك الخصوصيات التي قد تغيب في مراحل العجز والتخلف اللغوي فلا تدرك الفروق اللغوية، مؤهلة لتغطية هذه المساحات جميعًا.. ولو كنا في مستوى لغتنا وتقنيات عصرنا، لاستشعرنا بالواجب نحو اكتشاف آفاق للامتداد بثقافتنا وعقيدتنا ورؤيتنا الحضارية.

فالإشكالية ليست في استعمال العامية وفشو اللحن اللغوي فقط - كما أسلفنا - لأن هذا أمر قد يكون بسيط المعالجة، وإنما تلك الإشكالية المركبة ذات أبعاد أخرى، لابد أن تتوفر عليها مجموعة اختصاصات معرفية -واللغوية في مقدمتها - للنظر فيها، وتطوير الأدوات لتتوازى مع تطور الإعلام، وبذلك يكون الإعلامي معلَّمًا ومعلِّمًا في الوقت نفسه.

فلقد أرخى الإعلام سدوله على الحياة المعاصرة، وأضحى يتبوأ مكانة مهمة لدى إنسان اليوم، إذ أصبح يشارك -وبقوة- في تعميم الدرايات والخبرات، وأنماط العيش، والأنباء، وينشرها عبر الآفاق، وعلى أوسع نطاق، وأسرع وقت، مما أتاح للأفكار والمعارف أن تمتد بجذورها عميقًا في أمصار تبعد كثيرًا عن موطنها الأول.

وتعد وسائل الإعلام والاتصال -في الوقت الراهن- من الأدوات المثلى لفرض ديمومة هيمنة الحضارات القوية، ولغات أقوامها، وأسلوب حياتهم، فهي تمتلك قدرات هائلة شديدة التنوع، تمكنها من إحداث التأثيرات المنشودة.

ومن المعلوم أن داخل كل عملية إعلام تشكل اللغة المستخدمة، وطريقة توظيفها، الركيزة الأساس لنجاح أو فشل السياق الاتصالي، وذلك باعتبارها الوسيلة الأكثر تأهيلاً لتبليغ الأفكار والانفعالات والرغبات والتصورات والقيم.

في عصر العولمة الذي نلج ساحاته مرغمين، غير مخيرين، يبرز الصراع اللغوي جلياً، حيث يحتل السعي من أجل الذات، والمنافحة من أجل مواكبة مستجدات الدهر الراكضة، صدارة المواجهات.

ومن نافلة القول: إن العولمة الثقافية، هي في حقيقة الأمر تؤسس لهيمنة ثقافة الأمم الأكثر تقدمًا وتصنيعًا، وترضي تجارهم في المقام الأول، كما تغذي روح التسلية المفرطة لدى الناس كافة، وكذلك تسعى لصنع بديل حضاري ذي قوة يبتز التعدد الثقافي واللغوي.

من أجل ذلك كله، تكتسي مسألة النهوض باللغة العربية وتأكيد وجودها أهمية قصوى، ويمكن أن يتم عبر المؤسسة التعليمية، والمجامع اللغوية، بيد أن المؤسسات الإعلامية، تتبوأ الريادة في هذا المجال، لأنها ببساطة الأكثر اتصالاً بالناس، والأكثر ملازمة لهم، والأكثر عدة وعددًا.

إن لغة الإعلام، على الرغم من خصوصيتها وتميزها عن أنواع النثر اليومي، إلا أن وسطيتها -أي موقعها بين النثر العلمي والأدبي ولغة الحديث اليومي- تمنحها قوة الاستخدام، وحسن التبليغ، وشساعة الانتشار، وطول الملازمة.

ومن نافلة القول: إن لغة الإعلام تتراوح بين النصوص الموغلة في البساطة (الخبر، التقرير) والنصوص الأشد تعقيدًا (التحقيق، الحديث الصحفي)، حيث تتيح بذلك الفرصة للباحث الكبير والتلميذ الغض، للنهل من نبعها وانتقاء أنسب أساليبها.

وهكذا يمكن للإعلام أن يخدم اللغة العربية، ويرقيها بطرق شتى، من ذلك مثلاً:

صقل لسان جمهورها وتهذيبه، من خلال ترقية اللـهجات العامية والتأسيس للغة مشتركة موحدة، وهنا يمكن للإذاعة والتلفاز أن يلعبا دورًا لا يستهان به في هذا المجال.

وكذلك يشكل تعامل وسائل الإعلام مع المصطلحات الجديدة أهمية قصوى في حياة الأمة العلمية والثقافية، إذ أن عملية توظيف المصطلح الحديث الوافد، أضحت تثير جدلاً محتدمًا بين أنصار تأكيد الذات وزمرة الانفتاح الكلي على مستجدات العصر. والصحافة من خلال توظيفها للمصطلحات، تعمل على خدمة هذا الطرف أو ذاك.

هذه الدراسة لم تتوقف عند تخوم ظاهرة الإعلام واللغة، بل حاولت الغوص في التفاصيل، واقتراح جملة من الحلول للأوضاع القائمة، وذلك من أجل المساهمة الفعالة في الأخذ بالأسباب لترقية العربية، وجعلها اللغة الأولى على مستوى الحديث اليومي والنصوص المكتوبة.

كما أفردت الدراسة حيزًا مهمًا من مادتها لفنيات الكتابة الصحفية وفق المعايير العالمية، وذلك من أجل إثارة الانتباه إلى ضرورة التحكم الجيد في فنون التبليغ والبيان والإقناع، لتحقيق الأهداف المتوخاة كافة.

ولا أختم دون الإشارة إلى أن الأسلوب الصحفي، هو شأن الإعلاميين وأهل اللغة معًا، إذ لا يمكن أن نتوقع نتائج ذوات بال، إذا ترك الأمر للمحاولات الفردية، التي تعوزها الصلابة في كثير من الأحيان.

اللغة والاتصال

تضطلع حواسنا كلها بمهمات اتصالية مع بيئتنا، في حين تعطي اللغة لعملية الاتصال بعدًا آخر، وتثريه ثراءً كبيرًا، وعلى الخصوص أن "الاتصال هو النشاط الأساسي للإنسان، ومعظم ما نقوم به في حياتنا اليومية إن هو إلا مظاهر مختلفة لما نعنيه "بالاتصال" الذي يحدد بدوره معالم الشخصية الإنسانية، من خلال ممارستها الاتصالية "(1).

وقد مر الاتصال الإنساني بمراحل شهد خلالها تطورات بارزة، انتقلت معها العملية الاتصالية من الإشارات البسيطة إلى التكنولوجيات الجبارة، التي يقول بشأنها السيد مارشال ماك لوهان في مؤلفه understanding media المترجم إلى الفرنسية تحت عنوان: pour comprendre media إن تكنولوجيات الاتصال التي تشكل

محيطنا، هي امتدادات لأجهزتنا العضوية، وجهازنا العصبي، وهي موجهة للرفع من قوة وسرعة تلك الأجهزة...

وتعتبر اللغة من أقدم الظواهر الاجتماعية، حيث تقوم بعملية الاتصال في المجتمع، من خلال التعبير عن الأفكار بواسطة الأصوات الكلامية المؤتلفة في كلمات.. وكما يرى "إدوارد سابير " فإن "اللغة وسيلة إنسانية خالصة، وغير غريزية إطلاقًا، لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية "، بل إن "جيفوتز " يرى أن للغة ثلاث وظائف هي:

1- أنها وسيلة للتواصل.

2- أنها عون آلي للتفيكر.

3- أنها وسيلة للتسجيل وللرجوع إلى ما سجل[1].

إن تطور اللغة هو الذي جعل الاتصال الإنساني قويًا على نحو خاص، وجعل الجنس البشري يتفوق على عالم الحيوان.. وهو تطور، من حيث الاتساع والعمق المحتملين اللذين أضفاهما على مضمون الاتصال، وكذلك بالنسبة إلى ما كفله من دقة وتفصيل في التعبير[2].

والواقع أنه لا توجد حقًا حدود لتنوع وبراعة أساليب الاتصال التي استخدمها البشر، فقد تطورت أشكال الاتصال، ومحتويات وسائله المستخدمة، كما تنوعت باستمرار. وقد ظهرت لغات مختلفة، نتيجة لعدم وجود صلات بين شعوب المناطق المتباعدة.. ولكنها ظهرت بصفة خاصة لأن المجتمعات ذات التقاليد الثقافية والاقتصادية والأخلاقية المتمايزة، احتاجت إلى مجموعة خاصة من المفردات اللغوية، وإلى أنماط لغوية معينة [1].

لكن اختلاف ألسنة الناس كما جاء في قول اللـه سبحانه وتعالى: {**ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم في ذلك لآيات للعالمين** } (الروم:22)، يدل بقوة على أن

الأمر مقرر في السماء لحكمة لا يعلمها إلا الـلـه، في حين لعب السياق التاريخي لكـل لغـة دورًا مهمًا في بلورتها وتطورها.

وقـد سـعى الــجنس الـبشري عـبر التـاريخ إلى تــحسين القـدرة عـلى تلقـي واسـتيعاب المعلومات عن البيئات المحيطة به، كما سعى في الوقت نفسه إلى زيادة سرعـة ووضـوح وتنـوع أساليب أفراده في بث المعلومات[1].

وتضفي الكتابة صفة الدوام على الكلمة المنطوقة.. وفي قديم الزمان تم تسجيل القوانين والقواعد الخاصة بطقوس الاحتفـالات والشـعائر -التـي صـممت لتعـبر عـن الجماعـة، وتكفـل استمراريتها- على ألواح من الصلصال، أو على أحجـار منحوتـة، أو في لفـائف الـرّقّ التـي تعمـر طويلاً، وقد كان لتطور الكتابة فضل في الحفاظ على أهم الرسائل المحملة بالرموز[2].

وقد تستخدم اللغة للتعبير عن المعارف والأحداث بدقة ووضوح باعتبارها لغة معرفيـة، تسـتخدم في الرياضـيات والعلـوم الهندسـية والتطبيقيـة، وقـد تسـتخدم لإثـارة العواطـف والانفعالات في نفوس الناس، أو في نفس الشخص ذاته، عندما يعيش في عـالم أحـلام اليقظـة، لا سيما في الأوقات التـي يكلم فيها نفسه أو دميته، وفي تلك الـحالة يلـجأ الشـخص إلـى الرمـوز، وهذه الرموز إما أن تكون معرفية تـؤدي إلـى "معلومات" أو غير معرفية تـؤدي إلى "انفعـالات غامضة وأوهام"[1].

وفي ميدان الإعلام، فإن لغة الصحافة وفنونها، هي أساس لكل إنشاء وفن إعلامـي آخـر، والصورة شريكة الكلمة في أكثر الوسائل، وإن تنوعت بين ثابتـة "الصـحافة " ومتحركـة وناطقـة "سينما وتلفاز ".. ومتلقي الرسالة جمهور واسع، وإن اختلفت إلى حد ما نوعيته[2].

وتكتسي اللغة المبثوثـة عـبر وسـائل الإعـلام الحديثـة طابعًـا خاصًـا، يقـتضي كـما يقـول ماكلوهان: لزوم التوافق بين طبيعة المرسلة الإعلامية والوسـيلة الإعلاميـة، وهـذا لا يعنـي البتـة عدم وجود خصائص مشتركة بين المرسلات الإعلامية المختلفة.

مرونة العربية ذخيرة للإعلاميين

تستمد اللغة مقوماتها من فكر وحضارة أقوامها، ولكل لغة سياقها التاريخي، ومنابعها الفكرية الخاصة بها، وقواعدها النحوية والصرفية الضابطة لها.. ويمثل اللسان في الأمة القاسم المشترك في كيانها، والمعبر الأمين عن حقيقتها الدينية والحضارية والإبداعية.

وفي هذا السياق، تعتبر اللغة العربية وعاء ومحضن ضميرنا، وتعكس منحنيات تفكيرنا واجتهادنا أو خمولنا. كما تعتبر أقوى أداة للتعبير عن ديننا، وعبقريتنا وهويتنا.

لسان القرآن ومهاده:

تتميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات السامية، بأنها لسان القرآن الكريم، الذي منحها قوة على قوة، ومتن بنيانها، وهي اليوم أغنى لغة في العالم في مفرداتها، ودقة تعبيرها، وهي أصبر وأجلد لغة على كيد أعدائها.

يقول العالم اللغوي إرنست رينان ERNEST REANAN إن اللغة العربية بدأت فجأة على غاية الكمال، وأن هذا أغرب ما وقع في تاريخ البشر، وصعب تفسيره، وقد انتشرت هذه اللغة سلسة أي سلاسة، غنية أي غنى، كاملة لم يدخل عليها منذ ذلك العهد إلى يومنا هذا أي تعديل مهم، فليس لها طفولة ولا شيخوخة، إذ ظهرت أول مرة تامة مستحكمة.

وينظر الشيخ محمد الغزالي إلى اللغة العربية من منظار ديني، حيث كتب يقول: "فلغة الرسالة الخالدة، يجب أن تتبوأ مكانة رفيعة لدى أصحابها، ولدى الناس أجمعين، فإن الله باختياره هذه اللغة وعاء لوحيه الباقي على الزمان، قد أعلى قدرها وميزها على سواها ".

ويقول أيضًا: "والواقع أن اللغة العربية مهاد القرآن الكريم وسياجه، فإذا تضعضعت وأقصيت عن أن تكون لغة التخاطب والأداء ولغة العلم والحضارة أوشك القرآن نفسه أن يوضع في المتاحف".

والقرآن كتاب يجب أن ينظر إليه كل عربي على أنه منهج اللغة الأعلى الذي أصفى مناهلها وأعذب مواردها (...)، وهو في اللغة العربية تاج أدبها وقاموس لغتها، ومظهر بلاغتها، فلا عجب إذا ما أَذْعَنَ البلغاء الفصحاء لإعجاز القرآن طوعًا أو كرهًا، حتى أصبحت لغته هي أصح وأدق الأصول اللغوية والبيانية، وصارت هي المقياس والميزان لكل ما يراد للاستشهاد على صحة عربيته من نصوص الأدب الجاهلي.

وتتيح لغة القرآن للإعلام المكتوب بالعربية أسباب استقامة أسلوبه، لأنها تتسم بمزايا جمالية وبلاغية، لا تتوفر في أي لغة أخرى، فالأسلوب القرآني يوافق الكلام لمقتضى الحال، ويناسب المقام، ويعتمد الإيجاز البالغ، بدون أن يخل بالمقصود، ويستخدم الإطناب غير الممل، والتراكيب الشديدة التنوع.. وإن تدبر رجل الإعلام لغة القرآن، لا يصقل أسلوبه فحسب، بل يكسبه الأدوات التعبيرية الملائمة لكل حال ولكل حدث...

لقد أبدع الشيخ محمد الغزالي، وهو يصف الأسلوب القرآني: "...ومع رفعة المصدر الذي تحس أن القرآن جاء منه، إحساسك بأن هذا الشيء أتى من بعيد، فإنك ما تلبث أن تشعر بأن الكلام نفسه قريب من طبيعتك، متجاوب مع فطرتك، صريح في مكاشفتك، بما لك وما عليك، متلطف في إقناعك، فما تجد بدًا من انقيادك لأدلته، وانفساح صدرك لتقبله ".

سمات اللغة العربية:

يشير الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه "فقه اللغة " إلى أن اللغة العربية تتوافر على عاملين، لم يتوافرا لغيرها من اللغات السامية:

لقد احتفظت العربية بأكبر قدر من مقومات اللسان السامي الأول، وبقي فيها من تراث هذا اللسان ما تجردت منه أخواتها السامية، فتميزت عنها بفضل ذلك بخواص كثيرة، يرجع أهمها إلى الأمور الآتية:

1- أنها أكثر أخواتها احتفاظًا بالأصوات السامية..

2- أنها أوسع أخواتها جميعًا، وأدقها في قواعد النحو والصرف..

3- أنها أوسع أخواتها ثروة في أصول الكلمات والمفردات..

اللغة العربية، تتميز بغزارة في مفرداتها، ودقة في قواعدها، وسمو ومرونة في أساليبها، وثروة في آدابها وتراثها، وقدرة الإبانة عن مختلف نواحي التفكير والوجدان، ومن تلك السمات نذكر ما يأتي:

1- أن في اللغة العربية من المقومات والدقة الصارمة والأسس ما يخولها لأن تكون قادرة على أخذ مكانها الصحيح في هذا العصر.

2- الألفاظ العربية هي أوزان موسيقية، والكلمات ذات الوزن الموسيقي الواحد لها دلالة معنوية محددة.

3- اللغة العربية هي اللغة الحية الوحيدة في العالم، التي بقيت دون تغيير في كلماتها ونحوها وتراكيبها منذ أربعة عشر قرنًا مضت.

4- إن اللغة العربية فيها من القواعد الرصينة والأساليب البلاغية ما يضبط الدلالة على المعاني الكثيرة المعتادة.

5- معظم مشتقاتها تقبل التصريف، إلا فيما ندر منها، وهذا يجعلها في طوع أهلها أكثر من غيرها، ويجعلها أيضًا أكثر تلبية لحاجة المتكلمين.

ولعل من أخص ما ميز اللغة العربية استعمالها الدقيق للفظ، حتى أن هذه الدقة في الاستعمال اللغوي قد عنيت بها كثير من كتب اللغة قديمًا، فأسست بذلك منهجًا في الدرس اللغوي.

ومن ضروب الدقة ما يظهر في اقتران الألفاظ بعضها ببعض، فقد خصص العرب ألفاظًا لألفاظ، وقرنوا كلمات بأخرى، ولم يقرونها بغيرها، ولو كان المعنى واحدًا، فقد قالوا في وصف شدة الشيء:

- ريح عاصف
- برد قارس
- حر لافح

وفي الوصف بالامتلاء:

- كأس دهاق
- بحر طام
- نهر طافح
- واد زاخر
- فلك مشحون
- مجلس غاص.

يقول الدكتور محمد المبارك رحمه الله في مؤلفه (فقه اللغة): "إن دقة التعبير والتخصيص، سبيل من سبل الفكر العلمي الواضح المحدد، تحتاج إليه كل أمة في تربية أبنائها على التفكير الواضح الدقيق، الذي يعدهم للعمل والبحث العلمي ".

والتخصيص اللغوي، والدقة في التعبير، أمور لا بد منها للصحفي لوصف دقائق الأشياء، وإبراز خصوصياتها وطبيعتها المتميزة، وكذلك للتعبير عن المشاعر والعواطف والانفعالات، والألوان في شتى صورها..

يقول الأستاذ محمد مراح: لقد وجدنا المصطلحات الآتية: (في كتاب التربية البدنية) كرة القدم: (ضربة مرمى - ضربة جزاء - ضربة البداية)، ومن الجدير بالذكر أن هذه المصطلحات، قد وردت على أحد المجامع اللغوية العربية، فاستقر الرأي فيها على استبدالها كالآتي: (ركلة هدف، ركلة العقوبة، ركلة البداية)، والملاحظ استبدال (ضربة) -بـ (ركلة)، ومرد هذا الاستبدال دقة الاستعمال اللغوي، وقد ورد في "الصحاح للجواهري ": "الركل: الضرب بالرجل الواحدة ".

إننا الآن ندفع ثمن ما أصاب لغتنا العربية إبان عصور الانحطاط، الحقبة الاستعمارية، وإذا نحن لم نجتهد ونكد لاستدراك الأمر، فإن الأجيال القادمة ستصلهم لغتنا -بدون شك - وهي في أسوأ حال.

وكما يقول الدكتور محمد المبارك في كتابه (خصائص العربية): "إن العربية قد أصيبت في عصور الانحطاط بمرض العموم، والغموض، والإبهام، كنتيجة لافتقاد

وظيفتها الهادفة في هـذه العصـور، فضـاعت الفـروق الدقيقـة بـين الألفـاظ المتقاربـة، فغـدت مترادفة، وكثر استعمال الألفاظ في المعاني المجازية وصرفت عن معانيها الأصيلة، فضاع الفكر بين الحقيقة والخيال، وزالت الخصائص المميزة والفروق الفاصلة، وأصبح لكل موضوع مهـما تكـرر قوالب من اللغة ثابته، وأداة اللفظ لا تتغير، وتعابير مصـوغة لكـل مناسـبة أو موضـوع، تنقـل وتلصق كلما تكررت تلك المناسبة، أو عرض ذلك الموضوع: وصف حديقة، أو تعزيـة صـديق، أو التعبير عن فرح، أو طرب، لم يتغـير الكـلام، أيًـا كانـت تلـك الحديقـة، وفي أي بلـد، وأيًـا كانـت مناسبة التعزية أو الفرح، وفي ذلك قتل لخصائص اللغة العربيـة ومزاياهـا الإعلاميـة، مـن إبـراز المقومات والمزايا الخاصة والدقائق الخفية ".

ونحن اليوم أحـوج مـانكون إلى بعـث اللفـظ الـدقيق مـن لغتنـا، وإحيـاء الفـروق بـين الألفاظ، لتكون لدينا لغة تصلح أن تكون أداة للإعلام العربي في مواجهة التقدم الهائل، وانطلاق وسائل الاتصال بالجماهير.

إن العربية التي قال عنها أحد أعلام الفكر الإسلامي: إنها اللغة التي لا يحـيط بهـا علـمًا إلا نبي، لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تكون أداة عرقلة للتعبير الصحفي، فهي تحتمل قـوة الوصف، وغور الإحساس، وشدة التنوع، ودقة المقصد، وأصالة الشيء.

ومن الأكيد أن الصحفي الذي يكون زاده اللغـوي ضـحلاً، سـينتج -بـلا ريـب - نصوصًـا مشوهة، تنقصها الصلابة والدقة وقوة التعبير، وقد نعيب لغتنا والعيب فينا.. وهكذا، فإن اللغة العربية جعلت للصحفيين ذلولا فما عليهم إلا المشي في مناكبها.

الأسلوب مسؤولية الإعلاميين واللغويين

يرتبط الأسلوب الصـحفي بالمعلومـة أشـد الارتبـاط وبـالواقع الحـي الملمـوس، وبجـرد اللحظة عند تشكلها، الأمر الذي يجعل بعضهم ينعت الصحفي "بــمؤرخ اللحظـة "، والأسـلوب الصحفي بـ"الأدب العاجل ".

يقـول الـدكتور نصر الـدين العيـاضي في كتابـه (مسـاءلة الإعـلام): لم تظهـر لغـة الـنص الصحفي بين عشية وضحاها، بل تطورت بعد سنوات من الممارسة التي صقلتها الوقائع الآتية:

ارتقاء المستوى الثقافي للجمهور، وملموسية المواضيع التـي تتناولهـا الصـحافة، والوجـود الفعلي والحقيقي للوقائع والأمـاكن والأشـخاص، وكـذلك المـردود الآني الـذي ينتظـر أن تحققـه الصحافة.

يقول النقاد: إن النثر الصحفي يقف في منتصف الطريق بين النثر الفني، أي لغـة الأدب، وبين النثر العادي، أي لغة التخاطب اليومي، له من النثر العادي ألفته وسـهولته وشـعبيته، ولـه من الأدب حظه من التفكير،وحظه من عذوبة التعبير، ولعلـه انطلاقًـا مـن ذلـك المفهـوم للنـثر العلمي، أطلق بعض أساتذة الصحافة على لغة الصحافة، بأنها الأدب العاجل.

ويجمع الباحثون الإعلاميون على أن لغـة الإعـلام تتمثـل أساسًـا في إشـارات منطوقـة أو مكتوبة أو مصورة، تمر من خلالها الرسالة الإعلامية إلى الجمهور، حيث لا يتم الإعلام الكامل، إلا إذا وجد رجل الإعلام اللغـة التـي يقتضـيها الحـال للتعبـير عـن طبيعـة المعلومـات والأفكـار أو المشاهد والأحداث.

وبما أن القائمين على العملية الاتصالية في وسـائل الإعـلام المختلفـة، يسـعون لـكي تـدرك رسائلهم أكبر عدد من الناس، فقد حرصوا على أخذ هذا الأمر بعين الاعتبار في الممارسة.

علاوة على ذلك، فاللغة الإعلامية مطالبة بملاءمة عباراتها مع طبيعة الأحـداث المعالَجـة (بفتح اللام).. فمن الجلي أن أسلوب نقل المعلومة من مختبر البحث، يختلف عـن رصـد حشـد من الناس، ويختلف عن وصف مأساة إنسانية، كما يختلف عن التعبير عن جدل فكري، وأيضًـا عن وصف مؤمن في لحظة تعبده وخشوعه، وبذلك يمكننا نعت اللغة الإعلامية بأنهـا لغـة كـل شيء.

وبما أن اللغة الإعلامية مسخرة للاضطلاع بتلك المهام كافة، فإن أدواتها التعبيرية والفنية ينبغي أن تستجيب لمقتضيات التنوع، وكذلك لخصوصيات الوسيلة الإعلامية.

خصائص الأسلوب الصحفي:

تتميز اللغة الإعلامية بسمات شتى، وهي تختلف - بطبيعة الحال، عن لغات العلوم والدرايات المتعمقة، لأنها تتجاوز مخاطبة الفئات المتخصصة إلى الجمهور الواسع، ذي المستويات المتفاوتة.

وإذا كانت اللغة الإعلامية تحرص على مراعاة القواعد اللغوية المصطلح عليها، فإنها تحاول كذلك أن تحرص على خصائص أخرى في الأسلوب، وهي البساطة، والإيجاز، والوضوح، والنفاذ المباشر، والتأكد، والأصالة، والجلاء، والاختصار، والصحة.

ويدعو أساتذة الصحافة الكتّابَ إلى استخدام الألفاظ المألوفة، توخيًا للفهم، وتجنب الألفاظ العلمية والاصطلاحية النادرة، بيد أنه إذا اقتضت الضرورة ذلك، فينبغي شرحها، وإعطاء المفهوم الحقيقي لها، والتوسل بالتفسير والتبسيط، في تعميق المفاهيم الأصلية، وإشاعتها على أوسع نطاق، بين الجماهير.

ومن بين المهمات الأساس للصحفي تحويل أكثر الموضوعات غموضًا أو علمية إلى جمل عربية بسيطة أسلوباً، ومفهومة معنى.

لقد كان كبار الأدباء حين يكتبون في الصحافة، لا يستعملون المفردات والجمل التي لا يدرك معناها الجمهور، الذي يتوجهون إليه، ويجعلون من أسلوبهم همزة الوصل، بين الحقائق العلمية والأدب الرفيع ومستوى فهم القراء.

يلخص الصحفي الأمريكي الذائع الصيت جوزيف بولتزر الأسلوب الصحفي في نصيحته للصحفيين المبتدئين قائلاً: "اكتبوا الجمل القصيرة، التي تتجه رأسًا للحدث، فتبين ماذا جرى وأين، اذكروا أسماء الأشخاص، التواريخ والأماكن .. ويلخصه الكاتب والصحفي القدير أرنست همنغواي، في هذه النصيحة العملية: "استعمل الجمل القصيرة،

واستعمل الفقرات القصيرة، أكتب بلغة قوية، ولا تنس الكتابة بسلاسة، كن إيجابيًا، وليس سلبيًا".

ويسدي الباحث الإعلامي الإنجليزي ماكس جنثر نصيحته الآتية إلى الصحفيين الجدد قائلاً: "إنه على الكاتب توخي الوضوح، وتجنب التكرار الممل، والصيغ المبتذلة، والكليشهات التي سبق ترديدها، والإقلال من الاقتباسات.. ".

وضمن هذا النسق من الأفكار، تنبغي الإشارة إلى الأخطار الكامنة وراء استمرار بعض الصحفيين في توظيف القوالب الجاهزة، بدون وعي، وبلا تبصر، الأمر الذي قد يوحي للقارئ، أو المستمع، بأنه أمام لغة جامدة، فاقدة للحيوية والابتكار والتجديد.

يقول الإعلامي الفرنسي فيليب غايار: "إن الخاصية الأساسية للكتابة الصحافية هي سلامة اللغة "، ويعدد بعض ملامح هذه السلامة في: الكتابة الإملائية الصحيحة، معرفة تطبيق قواعد الصرف والنحو، حسن اختيار المفردات، والتنقيط المناسب.. ويرى كل من كورتيس ماكدوغال والفريد كرويل، أن من أهم سمات الكتابة الصحفية، هو: إيجاز الجملة والفقرات، الجمل المباشرة، الأفعال والأسماء القوية، الاستعمال الصحيح لقواعد اللغة.

إن دعوة الكتاب المرموقين إلى احترام قواعد الكتابة (النحوية والصرفية) السليمة، يؤكد بأن من الخطر المحدق باللغات، الكتابات الصحفية التي تتم في غالب الأحيان خارج القواعد الصحيحة للغة، مما يغرس في المتلقين روح عدم التقيد بالكتابة السليمة، وازدراء قيودها.

يتحدث السيد برنارفوريان في كتابه: (الصحافة في المجتمع الحديث) عن سلطة اللغة الإعلامية على قرائها قائلاً: "فالصحيفة التي تلتزم بمبدأ التنازل للقراء، وصولاً إلى اجتذابهم، وتداول المواد الإعلامية دون كبير عناء، لا يمكنها أن تغفل حقها في فرض بعض المواقف الإنشائية والأسلوبية والموضوعية الضرورية، حتى ولو أدى ذلك إلى تنفير بعض القراء وامتعاضهم.. ".

واللغة العربية -اليوم - في أمس الحاجة إلى هذا الصنف من الصحفيين الذين يرتقون بأسلوب كتاباتهم الصحفية إلى المستوى الذي يساهم في تطوير كتابات القراء، ويعزز أساليبهم، وينميها، وفق الأصول الصحيحة لكتابة اللغة العربية.

اللغة الصحفية ولسان الأمة:

إن اللغة الصحفية تأخذ الكثير من سماتها من طبيعة لسان قومها ذاته، وهكذا فإن الطريقة التي نتحدث بها عن الأشياء تختلف من ثقافة إلى أخرى، وعلى سبيل المثال، فإن بعضهم في أمريكا اللاتينية، يميلون فيما يبدو إلى اللغة المبالغ في زخرفتها في القصص الإخبارية، وهم على استعداد لقراءة ما يكتبه الصحفي، أو الكاتب، لأسباب أسلوبية، بل إن بعض الكتاب في أمريكا اللاتينية، يشعرون بأن استخدام نفس الكلمة مرتين في حالة وجود مرادف لها، يمثل جريمة ضد الأسلوب.

وتؤثر اللغة الإعلامية في تصورات الناس، وفي استجلاء حقيقة الأحداث والأشياء، وفي إغناء الرصيد المعرفي واللغوي للجمهور.. ومن أجل ذلك، فإنه من سوء التدبير بمكان أن يترك لمن هب ودب أمر استخدام الأسلوب الصحفي أنى شاء.

يتساءل الباحث الاجتماعي الجزائري الدكتور عبد الله شريط قائلاً: "نعم، إن لغة الصحافة اليوم ربما حققت شوطًا في هذا الغرض، وإن بقي من بين فصحائنا من يتعالى عن استعمال لغة الصحافة استكبارًا أجوفًا، ولكن ألا يكون من العجيب أن نترك أمرًا خطيرًا كهذا لا يبحثه علماء الاجتماع، ولا علماء اللغة، ولا علماء المجامع اللغوية، ويبقى لمبادرات الصحفيين، وهم على ما هم عليه من ضعف المستوى في المواد العلمية، وفي المادة اللغوية، وفي معرفة مشكلات المجتمع جميعًا، معرفة معمقة "؟!

ثم يردف قائلاً: "إننا بوصفنا علماء الاجتماع، ليس من شأننا، ولا من اختصاصنا أن نتولى نحن تبسيط قواعد اللغة، وحذف ما فيها من حشو، وابتكار أساليب جديدة في تعليمها وكتابتها، ولكن من شأننا ومن اختصاصنا أن نطالب علماء اللغة بذلك.

وما يجب التنبيه إليه هنا، أن الأسلوب الصحفي، ينبغي أن يكون هادفًا في صياغته، وملمًا بمقاصده.. وكما يقول محمد حسنين هيكل: فإن الكلمة الإنشائية تزول، وتبقى الكلمة التي تعكس واقعًا هو جزء من تصور الناس؟!

وفي ظل هذا الواقع المعقد جدًا، لا ينبغي إثقال كاهل الصحفي بنصيب مفرط من المسؤولية، فيما يتعلق بالأسلوب، لأن المجتمع الذي ينشط في كنفه الصحفي، يؤثر بدوره في أسلوبه، ومن ذلك مثلاً: الأسلوب الذي يصرح به الأشخاص النافذون في المجتمع، والأسلوب الذي تصاغ به الخطب، والأسلوب المعتمد في المؤسسات التعليمية، والأسلوب الذي يتجاذب به الناس أطراف الحديث في حياتهم اليومية.

وأحيانًا تتم "تنقية " اللغة التي يستخدمها بعض الشخصيات الرسمية، أو من يكتبون رسائل إلى المحررين، وذلك بواسطة المحررين للتخلص مما بتلك الرسائل أو التصريحات من أخطاء لغوية، أو ألفاظ سوقية.. وعملية "التنقية " التي تتم ليست بالضرورة لحماية مصدر الأخبار، فعادة ما يكون التبرير لها هو أن التعليق الذي ذكره المصدر، يصبح أكثر وضوحًا، وأقرب إلى فهم القارئ، أو أن الجمهور سوف يعترض بشدة على الألفاظ المستخدمة في الأصل.

بعث الروح في المخزون اللغوي:

وفي خضم التحولات الجارية اليوم على كل المستويات، يجد الأسلوب الصحفي نفسه أمام تحدي مواكبة المستجدات.

فاللغة مؤسسة قارة، أما الحقيقة فهي سيرورة ديناميكية، فالواقع يتغير "بسرعة " أما اللغة فتتغير بوتيرة أقل، بالمقارنة، وهي لا تتجاوب إذًا مع ما يحدث في الواقع إلا بعد حين.

قد يعمد الصحفيون عن قصد، أو غير قصد، إلى جعل عبارات أكثر تداولاً دون غيرها.. وفي حياة الناس، يقع الأمر نفسه، حيث يظل كم هائل من الألفاظ نائمًا في ثنايا القواميس والمؤلفات الجادة، ينتظر من يوقظه من سباته.

فمثلاً، يتراوح عدد الألفاظ في اللغة الإنجليزية ما بين 500 و600 ألف كلمة، وهذا المخزون اللغوي، لا يستغل إلا في ما تيسر منه، ذلك أن الأفراد لا يستخدمون في مسار المحادثة اليومية إلا حوالي 5000كلمة، وتحتوي القصة أو الرواية ما يقارب 10000 كلمة.

إن الاستعمال الخاطئ للغة، سواء أكان داخل وسائل الإعلام، أم خارجها، يعطل فكر أهله، ويشل قدرات الناس الذهنية، ويفسد لسانهم. وعندما تمر المجتمعات بفترات سيئة في تاريخها، ينعكس ذلك على لغة الإعلام، لأن الواقع بشذوذه وتشابكه وتعقيده عندما ينعكس في الإعلام لابد أن تبدو صورة الشذوذ والتشابك والتعقيد في اللغة المستخدمة أيضًا.

لغة المحادثة والمشاهدة

يعرف معجم مصطلحات الإعلام الكتابة للإذاعة بأنها: "الكتابة باللغة التي يستعملها الناس عادة، والتي تتميز بالإيجاز، والوضوح، لإثارة اهتمام عامة الناس، كما تكتب للحديث، لا للقراءة ".

وكما يقول "أدوين واكين " في كتابه "مقدمة إلى وسائل الاتصال": فإنه في حالة الراديو، تحل الأذن محل العين، ونرتد إلى الكلمة المنطوقة. صحيح أن جميع العبارات المذاعة، تقرأ من نصوص مكتوبة، ولكنها معدة بحيث يصغي إليها الجمهور، وليست معدة للقراءة، وإذ يتلقى المستمع الرسائل المذاعة، فإنها لا تلبث أن تنقضي سريعًا، وتزول بمجرد سماعها. فالكلام المنطوق -على نقيض المطبوع- لابد له من أداء مهمة الاتصال من اللحظة الأولى، فالكلام حين يكتب، ويدون، يمكن قراءته، وإعادة قراءته، أما حين ينطق به فهو يتلاشى ".

ويقول الأستاذ فيرنون أ.ستون: "لعلك تجد في كتابة الأخبار للراديو أو التلفزيون تغييرًا عن الكتابة للصحف، فالنسخة التي تكتب خصيصًا للإذاعة،تتطلب التعبير الذي قد يكون طبيعيًا بالنسبة لك، أقصد أسلوب الكلام اليومي المعتاد، ونحن نتعلم الكلام قبل أن نتعلم الكتابة، ونتكلم أكثر كثيرًا مما نكتب خلال عملية التفاهم اليومي مع غيرنا

من أبناء المجتمع.. غير أن الكلمة غالبًا ما تفقد طبيعتها عندما يفكر الكاتب في الأعمدة المحدودة المساحة، والقواعد الصحفية المتخلفة عن عهد غابر، بينما يفكر الكاتب الذي يكتب للإذاعة والتلفزيون -بدلاً من ذلك- في الكيفية التي سيكون عليها وقع الكلمات، وتكويناتها، على أذن المستمع.. والقاعدة هي أن تنطق الأخبار وأنت تكتبها ".

تتميز لغة الإذاعة بالوضوح، والاقتصاد، والسلاسة، حتى يمكن أن تصل إلى الجمهور من المستمعين في وضوح يساعد على الفهم والمشاركة في تتبع المضمون.. ومن جهة أخرى كان على هذه اللغة المذاعة أن تراعي أن من أصول الإلقاء الإذاعي تقدير القيمة الصوتية للألفاظ، والتدقيق في استخدامها، وفي معرفة وقعها الحقيقي على الأذن.. وفي ذلك كله، ما يتجه بهذه اللغة المذاعة إلى الاقتصاد في عدد الألفاظ، والاقتصار على القدر المطلوب لتحقيق الفهم والمشاركة.

ويتمثل الأسلوب الإذاعي، بالمقارنة مع البلاغة المكتوبة، في شخصية الإذاعي، في بنية جملته، واختيار ألفاظه.. في نبرات صوته.. في إلقائه، وخفة النكتة، والبشاشة التي تصدر من كلمته وابتسامته (عبر الميكروفون).

ملاءمة العربية للأسلوب الإذاعي:

لا يختلف اثنان في أن اللغة العربية تعتبر من أهم اللغات العالمية ملاءمة للأسلوب الإذاعي، فقد شكل الشعر العربي النموذج الأمثل في جدلية المشافهة، وكما يقول الشاعر: "والأذن تعشق قبل العين أحيانًا ".. كذلك يتيح ثراء اللغة العربية للصحفي الإذاعي بأن يعرض مادته، وفق الأسلوب الأكثر سحرًا ووضوحًا، يقول الأستاذ "بيثر ويليت "، أحد رواد الأخبار الإذاعية في الولايات المتحدة الأمريكية: "إن المستمع يستنجد بخياله الخاص، لتصوير المنظر، والمخبر الإذاعي الممتاز هو الذي يستطيع أن يصور المنظر بنفس الدقة والإتقان اللذين يلتزمهما المصور، فعلى المخبر الإذاعي أن يرسم بالكلمات صورًا حية ".

ويسعى رؤساء التحرير في محطات الإذاعة والتلفزيون في العالم بصفة مستمرة إلى مراجعة المادة الإخبارية، حيث يكون اختيارهم للكلمات مقصودًا، وقائمًا على دراسة دقيقة لطبيعة اللغة المستخدمة، والإطار الدلالي للألفاظ، أو مدى ما تحدثه من تأثير.

لقد كان الإعلامي الأمريكي "أودين نيومان "، بمحطة إن بي سي، ينكب على النصوص المكتوبة، يحذف العبارات المبتذلة المستهلكة والكلمات الزائدة (الحشو)، بهدف الوصول إلى أسلوب مقبول مصقول (سلس).

وتتكون المادة الإعلامية الإذاعية عمومًا من عدة عناصر، وهي الكلمة المنطوقة، والمؤثرات الصوتية، والموسيقى، والحضور الإنساني المباشر.

ويشترط في اللغة المنطوقة، أن تتسم بالشمول، والسرعة، والمباشرة، والواقعية، وأن تستخدم أقل عدد ممكن من الألفاظ، للتعبير عن أكبر عدد ممكن من الأشياء، في وضوح وبساطة، وإيجاز، وتأثير.

هناك فروق جوهرية بين الكتابة للعين، والكتابة للأذن، فمعالجة الخبر الإذاعي، تتطلب الأخذ باللغة السهلة المبسطة، والاعتماد المباشر على أسلوب التخاطب والحوار).

يقول مؤلفا كتاب (L,information radiotelevise) هناك حدود لما يقوله صحافيو الإذاعة والتلفزيون، وأن غالبية هذه الحدود مفروضة، ليست بالقانون ولكن بالوقت وبالقدرة على اجتذاب الجمهور.. وتحديات الوقت تفرض على الأخبار المذاعة والمتلفزة، قيدين هامين:

أولاً: إن صحافيي الصحافة المنطوقة، مجبرون على اختصار أخبارهم، بحيث لا يمكنهم التطرق إلى كل مواضيع الأحداث، التي تتناولها الصحافة المكتوبة، ثم إن تحقيقاتهم لا تتضمن الكثير من التفاصيل، كما هو الشأن في الصحافة المكتوبة.. ويتمثل القيد الثاني في: صعوبة الوصول إلى أحسن نتيجة من خلال حصر وضغط الكتابة.. ومن هنا فإن الجمهور لا يمكنه الحصول على أكبر قدر من المعلومات انطلاقًا من الاستطلاع الإذاعي، أو التلفزيون، أي من خلال استطلاع مكتوب بطول قصير جدًا.

ويسـدي الباحـث الإعلامـي الأمـريكي "فيرنـون " نصـيحته الآتيـة إلى الصـحافي العامـل بالإذاعة، الذي يستخدم برقيات وكالات الأنباء، أو تقـارير الصـحف: لاتنقـل كالببغـاء أي قصـة إخبارية في برقيات وكالات الأنباء، أو الصحف، ولكن اقرأ الموضـوع بطريقتـك الخاصـة، وقصـها بكلماتك أنت، دون أن تستخدم النسـخة -المصـدر- إلا كـمادة خـام فحسـب، ولعـل كثـيرًا مـما يدعى (نسخًا أعيد تحريرها)، ليس في الواقع أكثر من مقتطفات (أعيد نسخها).

إن العربية باستطاعتها التأقلم مع أي أسلوب إذاعي أو تلفزيوني، نـظرًا لـثراء مـفرداتـها وتنـوعها، وقــوة تـعبيرهـا، وصـدى كلماتها، وما نلاحظه -اليوم - مـن قصـور في اللغـة المذاعـة عندنا، يعود إلى الصحفيين أنفسـهم، الـذين لا يتحكمـون في اللغـة، أو في فنيـات الكتابـة، التـي يقتضيها الاتصال الإذاعي الناجح. والأكثر فظاعة في الأمر أن هناك من يجعل من اللغـة العربيـة كبش فداء لنقائص الصحفيين، ويوصمها ظلمًا وزورًا بعيوب هي بريئة منها.

هذا الواقع يفرض على القائمين على الوسـائل السـمعية البصريـة، الناطقـة بالعربيـة، ألا يتركوا أمر الأسلوب للصحفي وحده، لأنه من النادر أن تجد صحفيين إذاعيين يكتبون نصوصًـا لا تحتاج إلى مراجعة وتصويب وصقل.

قام أحد أعضاء مجمع اللغة العربية بسوريا، بدراسة خمس نشرات من نشرات الإذاعـة السورية، خلال يناير1983م، ثم قدم نقدًا للغة الخبر الإعلامي قائلاً: "إن الخـبر أول مـا يقصـده قارئ الصحيفة، أو المستمع إلى الإذاعة، فوجـب أن تكـون العنايـة بـه صـوغًا وأداء، مـن حيـث سلامة لغته، وجودة أدائه.. وإذا كان لكل فن بلاغته فبلاغة الخبر هي في سرعة وعي القـارئ أو السامع دون عناء، باللفظ السهل الموجز، الخالي من التزويق، أو التفخيم، أو الابتذال، وألا يثقل الخبر بالعواطف السلبية، أو الإيجابية.

ويضيف قائلاً: "تُعنى الـجملة العربية بالـحدث قبل المـحدث، لذلك كـثيراً ما يتصـدرها الفعل، وحين تقوم أغراض بلاغية تـدعو إلى العنايـة بالمــحدث أولاً، فإنهــم يقدمــونه، وهـــذا طـبعًا غـير وارد في الأخبار.

وقد كثر الخروج على هذه البدهية في الأخبار، فكثيرًا ما نسمع في نشرة الأخبار "الرفيق فلان... [وبعد ثماني كلمات] يقول في جريدة النهار... ولو بدأ بالفعل "قال الرفيق فلان في جريدة النهار" لكان أقرب إلى طبيعة العربية.

بناء القصة الخبرية في الإذاعة:

ليس ثمة بديل للأسلوب المباشر للجملة، ولبناء القصة الخبرية.. وعندما تكون القصة الخبرية مكتملة في ذهنك، فينبغي عليك عندئذ أن تحكيها بطريقة مباشرة، وعليك أن تتجنب استخدام الجمل الاعتراضية، أو شبه الجملة في بداية الجملة (...)، وينبغي أن تجذب المقدمة (مقدمة الخبر) الاهتمام إلى العنصر الرئيس في القصة الخبرية، ولا ينبغي أن تحشوها بحقائق عديدة، ولا تحاول حشد العناصر الخمسة وهي: (من، أين، متى، لماذا، كيف) في المقدمة، لأنك بذلك تفقد أذن المستمع، عن طريق تحميله بما لا يطيق(2).

إن الخبر المذاع كتب ليسمع، ولهذا فإن صياغة أخبار الإذاعة تتجه إلى إحداث الأثر السريع، بالعرض المباشر، والكلمات المؤثرة، والجمل القصيرة المقتضبة، والفقرات القصيرة، والكلمات المنتقاة بعناية.. ويوضع الخبر الإذاعي والتلفزيوني إذن في أقصر صيغة، ليؤدي المعنى في أقصر وقت، فالمطلوب لهذا الخبر مباشرة أكثر، وتركيزًا أعمق، وبساطة أوضح.

وبدوره، فإن الخبر التلفزيوني أقصر من الخبر الإذاعي، إذ أن الصورة تكمل الخبر.. وهناك قاعدة عامة للخبر التلفزيوني، هي أنه ما دامت الصورة تكمل الخبر، فلا يجوز إذن أن يتعرض للتفاصيل، حتى لا يوزع انتباه المشاهد بين الصوت والصورة، ومن الأهمية ربط الرواية بالصورة، أي أن تسير الكلمة المذاعة جنبًا إلى جنب مع الصور المرئية.

إن للكلام في الصورة الفيلمية مهمة التوضيح، وإتمام المعاني، وبخاصة في الأفلام الإخبارية الوثائقية، أو التربوية، أو التاريخية، وفي مجمل الأفلام الأخرى الموجهة إلى طبقة معينة من الناس، تتمتع بقدرة متوسطة على الاستيعاب والإدراك والتفسير.. إن تصوير

إعصار ضرب إحدى الولايات الأمريكية، لا يعطي محصلته الإخبارية إذا لم يشر فيه إلى المكان والزمان ومقدار الخسائر المادية وعدد الضحايا ومسار الريح ونتائجها المرتقبة... الخ.

وبما أن الإعلام السمعي البصري، يشكل المصدر الأساس للإعلام والمعرفة في المجتمع ذي الأمية والفئات المتمدرسة، التي لا تتقن العربية، وتتنوع فيه اللهجات، فإنه يمكن أن تُستغل الإذاعة والتلفزيون من أجل تعزيز الرصيد اللغوي للأفراد، ومنحهم الفرصة لاستيعاب الألفاظ الجديدة، ونطقها النطق السليم.

وتشير دراسات لغوية عديدة إلى أن لغة تلاميذ المراحل الأولى من التعليم هي مزيج مما يسمعونه في الإذاعة والتلفزيون، وفي الحديث اليومي، وكذلك في المؤسسة التعليمية، وبذلك لم تعد المدرسة تحتكر عملية إثراء الرصيد اللغوي للتلميذ. وهذا الواقع يفرض على القائمين على المؤسسات الإعلامية السمعية البصرية أن يحرصوا أشد الحرص، عند استخدامهم العبارات، والألفاظ في تبليغ الأخبار والمعلومات.

الوسيلة والأسلوب:

وهكذا، فبالإضافة إلى ضرورة الأخذ بعين الاعتبار أثر الوسيلة الإعلامية في صوغ الأساليب، ينبغي أن يوجه الاهتمام إلى اللغة ذاتها.. وفي هذا السياق نرى ضرورة ما يأتي:

1- الحرص على سلامة اللغة، واحترام قواعد النحو والصرف.

2- محاولة توظيف من العامية، الألفاظ التي هي من أصل اللغة العربية والتي بدأ يأفل استخدامها.

3- العمل على إدخال كلمات من صلب اللغة العربية، ووضعها في جمل، من أجل توليف الاستئناس بها، وجعل المستمع يعي سياق توظيفها التوظيف السليم.

يعمل بعض الإعلاميين -اليوم - على إغراق لغة الإعلام المسموع في التبسيط الشديد، بحجة مسايرة التطورات الجارية في المجالات كافة، بما فيها تطور اللغة،

غير أنه -في اعتقادي- من الخطأ مجاراة مثل هذه الأفكار التي ستفضي إلى تغذية روح الرفض للألفاظ الفصيحة، والألفاظ القرآنية بالخصوص، لأنها -كما يزعمون- ليست من طبيعة العصر.. ومن هذا المنطلق أرى أن استخدام أحد صحفي إذاعة عالمية للفظ {في يوم ذي مسغبة}، للتعبير عن المجاعة والفقر في الصومال، قد أتاح للغة القرآن سبيل ذيوعها، كما أحيا لفظها.

وكذلك يمكن استخدام عبارة: (وضعت الحرب أوزارها)، إذا كنا بصدد الحديث عن نهاية حرب من الحروب.

إذن، فإن التزاوج بين الألفاظ القديمة والحديثة في اللغة المذاعة أمر من الأهمية بمكان، بشرط أن يتم وفق رؤية واضحة وتوظيف واع.

كما تعتبر لغة الإعلانات المذاعة، خادمًا قويًا لإثراء لغة المستمعين، حيث تلقنهم عبارات وجملاً ترن في رؤوسهم كلما شاهدوا منتجًا من المنتجات معروضًا سواء في الشاشة، أو في الواقع.

كان على اللغة المذاعة، أن تراعي أن من أصول الإلقاء الإذاعي تقدير القيمة الصوتية للألفاظ، والتدقيق في استخدامها، وفي معرفة وقعها الحقيقي على الأذن، وفي ذلك كله ما يتجه بهذه اللغة المذاعة إلى الاقتصاد في عدد الألفاظ، والاقتصار على القدر المطلوب، لتحقيق الفهم والمشاركة.

إن لغة الإذاعة هي اللغة المنطوقة المجهورة، التي نتوسل بها في الإعلام وصوغ العالم على النحو الذي يجعلها قسمة شائعة بين أفراد المجتمع جميعًا.

تعلم فن المحادثة:

ولئن كانت الصحافة قد دفعت باللغة المشتركة خطوات واسعة إلى الأمام على النحو المتقدم، فإن الإذاعة، وهي صحافة مسموعة، ستكون عظيمة الأثر في زيادة الثروة اللغوية بين عامة الشعب، وفي توحيد نطق المفردات، وفي التقريب بين اللهجات، وليس

من المستبعد أن تنجح في إحلال الفصحى المبسطة محل العامية السائدة، ومن ثم تصبح رموزًا صوتية، بالنسبة إلى كاتب أنباء الإذاعة، بدلاً من أن تتخذ شكل رموز بصرية(2).

إن الإذاعة والتلفزيون، يمكنهما خدمة اللغة العربية بالأنباء والحصص الترفيهية والعلمية، والرياضية، والفيلم، والمسرحية...

ويمكنهما أيضًا أن يكونا بمثابة الدرس التطبيقي أو المسرح، في التعامل مع اللغة العربية، توظيفًا، ونطقًا، وإبداعًا، وإحياءً أو تجديدًا.

وكذلك يمكنهما أن ينجحا في توحيد العاميات، في لغة مشتركة، لا تفرط في اللفظ القديم، ولا تجاري كل جديد حديث، ولكن تكون بين ذلك قوامًا.

ويقترح الباحث الجزائري الحاج صالح، تنظيم دورات تدريبية للمذيعين، وكل الذين يشافهون الجمهور، من خلال الإذاعة والتلفزيون، لتدريبهم على التمييز بين الأداء الاسترسالي، الذي يجب أن تكون عليه المائدة المستديرة والمناقشات غير الأكاديمية، وكذلك لغة المسرح، والأفلام، التي تحتل واقع الحياة، كما يعوّد المذيعون على استعمال الرصيد اللغوي العربي حتى تتوحد اللغة.

الصيغ التعبيرية في الكتابة الصحفية

تتكون الصحافة المكتوبة من قوالب تحريرية، أجناس أو أنواع، يضطلع كل نوع منها بوظائف معينة، ويعتمد صيغًا تعبيرية تتلاءم وفنياته.

وعلى العموم تعكس الأنواع الصحفية "..." الواقع بشكل مباشر وواضح وسهل، كما تفسر الوقائع والأحداث والظواهر والتطورات، وتتضمن أيضًا التقويم والتحليل والرأي، والتفسير..

وتشتمل هذه القوالب التعبيرية على:

الخبر: ويستعمل لنقل معلومات عن أحداث جديدة.

التقرير: ويستخدم لنقل معلومات من خلال عنصر ذاتي (شاهد عيان).

الافتتاحية: وتقدم رأي الوسيلة الإعلامية حول حدث ما.

التعليق: ويقـدم وجهة نـظر محـددة ورأي واضـح حـول حدث ما (ماوراء الحدث).

الاستطلاع: ويصور الحياة الإنسانية.

التحقيق: ويشرح ويحلل ظاهرة أو مشكلة، أو أحداث، ويقدم الحلول بشأنها.

الـمقال: وهو رؤية يقدمها كاتب معين لظواهر وأحداث يختارها.

الـحديث: محاورة مسؤول، أو مختص... لشرح وإيضاح قضية ما.

صياغة الأجناس الصحفية:

كما رأينا سابقاَ، فإن اللغة العربية جعلت للصحفيين أرضًـا ذلـولاً، إذا مشـوا في مناكبهـا، وتمكنـوا مـن أسـاليبها، في التقريـر، والبلاغـة، اسـتطاعوا صـوغ كـل الأجنـاس الصـحفية، وفـق خصائصها وأسلوبها وفنياتها.

يقول الكاتب أدوين واكين: "الاتصال المـدون المكتـوب، يختلـف عـن الاتصـال الشـفوي اختلافًا كبيراً، لأن الـكتابة تـجري وفقًا لأساليب منتظمة حسنة الترتيـب.. فهنـاك فعـل، وفاعـل، ومفعول به، وهناك عبارة، ثـم فقـرة، ثـم فصـل، أي أن الأمـر يسـير بترتيـب منطقـي، نظـامي، متسق، تمامًا كما يتحرك القطار على قضبان لا يحيد عنها.

لغة الخبر... الأسئلة الستة:

لغة الخبر، الخبر في جوهره، هو الجواب عن الاسـتفهامات السـتة: مـاذا - مـن - متـى - أين- لماذا - كيف، والتي يتغير موقعها من خبر إلى خبر.

إن كتابة الخبر الصحفي، لم تخضع لتطور تقنيات السرد والحكي فقط، بل خضـعت إلى مجموعـة مـن الاعتبـارات، التـي سـاهمت بهـذا الــقدر أو ذاك فــي ظهــور أشــكال وتقنيات جــديـدة فـي كتابة الـخبر الصحفي، حيث لا يـمـكن أن نـروي مـا جــرى، ومـا حدث، في قالب خبر صحفي، بنفس الطريقـة العفويـة، التـي تـروى بهـا السـير والملاحـم، وبـنفس الإطنـاب والتسلسـل، الـذي يكتـب، أو تقـص بـه القصـص الأدبيـة، التـي تجعـل

القارئ، أو المستمع، لا يعرف حقيقة ما ينقل إليه، إلا عند نهاية القراءة، أو الاستماع، ولا يـدري أين هو الأساسي من الثانوي في القصة، لأنها متداخلة بدون تميز ولا موازنة.

وهناك من يلخص بناء الخبر على النحو التالي: فعل - فاعل - مفعول به أو نعـت، وهـو ما يجعله يحافظ على أصالة اللغة العربية.

إن الأصل في اللغة العـربية هو البدء بالفعل، ولا يقدم الاسم، إلا إذا كـان هنـاك سـبب بلاغي يقتضي ذلك، فعبارة: "خرج محمد " جملة تقريرية، أما محمد خرج، فـالغرض منهـا هـو تأكيد أن محمد هو الذي خرج، وليس عليًا.

يجب أن تكون لغة الخبر بسيطة، وواضحة، ودقيقة، ولا يتم ذلك إلا من خلال استخدام الكلـمات القصـيرة المألوفـة بـدلاً مـن الكلـمات الغريبـة، وتجنـب المبالغـة في الوصـف، أو في التخصـيص، وتجنـب اسـتعمال الألفـاظ التـي تحمـل معنيـين، أو تنطـوي عـلى تفـاخر لفظـي، والاسـتغناء كلـما أمكـن عـن أدوات التعريـف، وحـروف العطـف، والتكـوين، وظـروف الزمـان والمكان، التي لا داعي لها، واختصار الجمل الطويلة، وتفادي التكرار والاستطراد.

وأثناء صياغة الخبر ينبغي مراعاة الأمور الآتية:

1- أن تعرض عناصر الخبر في فقرات قصيرة وواضحة.

2- أن تكون الجمل قصيرة.

3- أن تستعمل كل جملة عنصرًا مستقلاً عن الكل.

4- أن تعالج كل فقرة جزءًا مستقلاً عن الكل.

5- أن يتميز العنصر الرئيس من العنصر الثانوي في كل خبر.

إن الخبر هـو شـاهد عـلى الحـدث، لكنـه لـيس شـاهدًا اعتباطيـاً، يقـول مـا رآه فقـط.. الصحفي هو شاهد حي، وانتقائي حي، لأن عليه أن يبحث عن العناصر التـي لا تـأتي مـن تلقـاء نفسها، وانتقائي لأنه يختار ما يهم الجمهور.

يرتكـز الخـبر عـلى فعـل، أو عـدة أفعـال، ولقـد أتاحـت الصـحافة الفرصـة لـبعض الأفعـال دون أخـرى لـكي تنـتشر ويعمـم تـداولها.. وقـد يوظـف الصـحفيون عـن جهـل،

فعلين أو ثلاثة أو أكثر لنفس المعنى، وقد يستخدمون أفعال المواقف والرأي بصيغة التأكيد والحسم، ومن ذلك مثلاً:

أفعال تستخدم لنفس المعنى خطأ:

طالب - دعا - ناشد- التمس.

أفعال تتعلق برأي وليس حقيقة راسخة، وتستخدم بصيغة التأكيد:

أكد - لاحظ- أشار- أوضح- شدد- اعترف.

أفعال تتعلق بموقف، ويوظفها الصحافيون أنى شاؤوا:

ندد - شجب- حذر - شدد على.. تعهد.

اعتماد التعقيد بدل التبسيط - كقولهم:

- قام بزيارة (الأنسب زار).
- أشرف على تدشين (دشن).

إن من الأكيد أن الدقة في توظيف الأفعال، سواء كانت أفعال النشاط، أو الرأي، أو المواقف، تساعد المتلقين على وضعها في سياقاتها الطبيعية، وتبين الفروق الكامنة بين فعل وآخر.. واللغة العربية من اللغات التي تضمن هذا الأمر بقوة، إن روعي فيها أمر الدقة.

لغة التقرير... الهرم المعتدل:

لغة التقرير: التقرير الصحفي هو نوع صحفي قائم بذاته، يكتب بطريقة معاكسة للخبر الصحفي (...)، أي يكتب بطريقة الهرم المعتدل (...) أي أن تضم مقدمة التقرير الصحفي مدخلاً، أو مطلعًا، يمهد لموضوع التقرير، بأن يتناول زاوية معينة من زوايا الموضوع، يختارها الكاتب بعناية، وهذا المدخل أو التمهيد، لا يضم خلاصة الموضوع، أو أهم حقائقه، وإنما يضم فقط مطلعًا أو مدخلاً منطقيًا، يتوسل به الكاتب إلى شرح موضوع التقرير، بحيث يضم جسم التقرير التفاصيل، والشواهد، والصور الحية للموضوع، ليصل بذا الكاتب في النهاية إلى خاتمة التقرير الصحفي، وهي التي يكشف

فيها عن نتائج أو خلاصة ما توصل إليه، أو يقدم لنا أهم نتيجة أو حقيقة وصل إليها في موضوع التقرير(1).

التقرير الصحفي، لا يصلح له إلا الأسلوب البسيط الواضح، والجمل القصيرة، وجمع أكبر كمية من الحقائق والمعلومات، في أقل قدر ممكن من الكلمات، وهو في ذلك لا يعتني بما كتب في الموضوع من أبحاث ودراسات وتقارير، ولا يعنيه أن يسجل كل الحقائق بالأرقام، أو يدعمها بالبيانات والإحصائيات والرسوم.

هذا النوع الصحفي يمكنه أن يكون أداة دعم للأشخاص الذين يكتبون تقارير في شتى المجالات والتخصصات، ويمكن الاستفادة منه، لا سيما فيما يتعلق باللغة المستخدمة، وكذلك بكيفية ترتيب الأفكار وعرضها.

لغة الافتتاحية... قوة الإقناع:

لغة الافتتاحية: تستمد مادتها الأولى من باب المنطق القوي السليم، والحجة الدامغة المقنعة، والبساطة في العرض، والأسلوب الجميل، والقوة في التعبير عن الرأي، وهناك من يرى بأنه على كاتب الافتتاحية أن يتوسل بكل حيلة من حيل الكتابة لكي يجتذب اهتمام القارئ، ويستأثر به.

ويحرص الإعلاميون الكبار، على مسألة الدقة في توظيف اللغة، أثناء كتابة النصوص الإعلامية، التي هدفها الإقناع والتأثير.. وفي نفس السياق، يحذر مؤلفو كتاب (وسائل الإعلام والمجتمع الحديث) كتّاب الافتتاحيات من تضييع وقتهم، ووقت القراء، في تقديم قضية من القضايا بطريقة القصة الخبرية، وإلصاق في نهايتها فقرة من المدح، أو قدح الشخصية الرئيسة للقضية، فإذا كان لدى القارئ أي استقلال فكري، فإنه سوف يجد أن مثل هذه الافتتاحية لا تعني شيئًا بالنسبة إليه، وإذا ما أثرت فيه عبارة، أو رأي سطحي، فإن أسباب هذا التأثير تكون واهية، نتيجة جملة قالها الكاتب.

إن لغة الافتتاحية، بقدر ما يجب أن تكون مقنعة، ومدعمة بالحجج، والأدلة الضرورية، ينبغي أن تكون سهلة وبسيطة، وذات أسلوب يتلاءم وطبيعة قراء الصحيفة، الذين تختلف مستوياتهم الثقافية.

إذن تمكن لغة الافتتاحية القراء، من تبني وجهة نظر الصحيفة، وذلك في حالة تمكن كتابها من العربية، وتوظيفها بشكل أخاذ، ومؤثر ومقنع، وقد أكد رسولنا صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة بقوله: "إن من البيان لسحرًا " (أخرجه البخاري).

لغة التعليق... ما وراء الأحداث:

لغة التعليق: التعليق يجعل للأحداث التي تنشرها الجريدة معنى ومغزى، ويكسبها رائحة وطعمًا، وهو فوق هذا وذاك، يتحكم في نظرة القراء إلى هذه الأحداث، فمرة يحكم التعليق على بعض الأخبار بأنها تافهة، وأخرى يحكم على بعضها بأنه خطير، وتارة يصفها بأنها حوادث عابرة، وأخرى يصفها بأنها مقدمات لأزمة حادة.

على كاتب التعليق أن يتذكر، أنه ليس مخبرًا، وأنه لا يعظ ولا يصدر تعليمات إلى القراء، ومن ثم فإن الهدف هو الفهم الكامل والواضح للأخبار وما وراء الأخبار (...) وعليه ألا يتوقف عند حد تقديم المعلومات الشارحة وإنما يخلط بين الخبر وبين المعلومات الرامية إلى التفسير من جهة، وبين رأيه من جهة أخرى، وإلا أصبح مقاله تفسيرًا، وليس تعليقًا.

يدعو المعلقون المرموقون إلى تجنب استعمال عدد كبير من التصريحات أو الخطب، أو استعمال الحجج، التي لا تفضي إلى توضيح القضية الأساسية بحيث يقتضي أن يوضع في الحسبان، بأنه في التعليق، ينبغي أن يركز الصحفي على مسألة أساسية واحدة، وأن يعبر عن وجه نظر أكيدة، أو عن حجة منطقية في شكل وجيز، وهذا يسمح للمعلق بأن يؤدي المهمات التي تعتبر عمليًا مستحيلة في ميادين أخرى كالأدب مثلاً.

ويجب أن يوضع في البال أن المعلق لا يمتلك إلا سطورًا قليلة، يقدم من خلالها تعليقًا واضحًا ومختصرًا.. ومن المعلوم أيضًا بأن الإكثار من الكلمات الغريبة، أو التعابير الفنية الصعبة، تجعل التعليق نصًا غير سليم، وتجرده من رونقه وجدته، وأحيانًا من البيان السليم.. ومن الجلي أن التعليق الذي لا يقرأ هو تعليق عديم الجدوى، وأن اللغة التي تفتقر إلى الدقة أو السلاسة، وإلى الحجة الدامغة والمنطقية، التي قد تعوض -نتيجة سوء التحكم في الموضوع المعالج- بكلام يستمد من هنا وهناك عشوائيًا، تجعل التعليق يحيد

عن الهدف الذي أنجز من أجله، ويخلق التعليق بذلك لدى القارئ نوعًا من الاضطراب الفكري، وسوء الفهم، وبالتالي عدم تقدير الأحداث حق قدرها.

إن النص الصحفي الموجه للتعليق على الأحداث، يستند إلى لغة محكمة لا تحتمل سوء التوظيف، وتأبى سوء فهم الأحداث، وهنا يمنحنا النص القرآني الأنموذج الأمثل، حين يحذرنا من اقتفاء أثر ما لا نعلم: {**ولا تقف ما ليس لك به علم** } (الاسراء:36).

كم يدعونا إلى العلم الصحيح، من أجل ضبط تعاملنا مع الأحداث، {**نبئوني بعلم إن كنتم صادقين** } (الأنعام:143).

لغة المقال... تعميم المعارف وتيسير فهمها:

لغة المقال: إن إلقاء نظرة على صفحات الجرائد والمجلات المعاصرة في العالم، تجعلنا نكتشف بأن المقال يحتل مكانة ثابتة لا تعوض، فالإنسان اليوم اعتاد انتظار مقالات الكتاب المرموقين.

إن فن، أو موهبة صاحب المقال تبدأ في الوقت الذي يكون فيه الموضوع الذي اختاره يثير اهتمام القارئ بالفعل. وإن التحكم في اللغة وخفاياها تسمح للكاتب الماهر، بتقديم وعرض جميع أفكاره بوضوح، وتسمية الأشياء بأسمائها، ووصف الأشياء أو الحياة بطرق جذابة، وأسلوب دقيق، ومفاهيم بسيطة، وكلمات غير غامضة، وهنا يكمن إبداع الكاتب.

يسهم المقال في إغناء المحصول اللغوي للقارئ، بما يرد في ثناياه من مصطلحات، وتعابير، ومفاهيم، وبيان مدلولاتها، لتيسير استيعابها، ووضعها في سياقها الصحيح.

وكما يقول الدكتور الصادق العماري: "يجب ألا ننسى أن المقالة العلمية، ليست بحوثًا في ميادينها، لأنها لا توجه إلى المتخصصين، ثم إنها محدودة من حيث الحجم، ومن حيث الموضوع، إذ ليست ذات عمق لتغوص في نظريات وقضايا دقيقة، ولكن غايتها أن يتناول كتابها الموضوع برفق، ويكتفوا بما هو أقرب إلى الفهم، والاهتمام العام،

وعـدم الاسـتغراق في الــمنهجية الصـارمة، والمعـادلات والرمـوز العلميـة، أو الأسـلوب العلمـي الصرف المـختزل الصارم الدقيق الذي لا يفهمه إلا أهل الاختصاص ".

إن عمل المقال ليس تعليم الفرد ما لم يعلم، وإنما هو إعداده لكشف الحقائق المحيطـة به، كما يحول أكثر الموضوعات تعقيدًا وغموضًا إلى جمل بسيطة مفهومة.

يحتل المقال بشتى ضروبه -اليوم- مكانـة مهمـة في بحـوث الدارسـين والطلبـة وأعـمال المسؤولين، ومن أجل ذلك ينبغي على كتّاب المقالات أن يتحكموا في الموضـوعات المطروقـة، وفي اللغة، وفــي أسـلوب عرض أفكارهم، وخـاصة أن الـقارئ الـعارف والـملـم لا يغفـر أي غلطـة، سواء من ناحية صدق الـمعلومات، أو دقة الألفاظ، أو بناء المقال.

وهكذا يـمكن للمقال العلمـي، أو الأدبـي، أو الفنـي، أن يرقى بقوة اللغة العربية، لأنه يقدم العلوم الحديثة، والآراء الجديدة من أصحابها مباشرة، وفـور حـدوثها، ويــمكن الحصـول عليه بيسر واضح، خاصة من خلال الفاكس أو "الإنترنـت "، كـما تعتـبر المقـالات مـن النصـوص الأكثر اعتمادًا وعلى نطاق واسع في التعليم بكل أطواره في العالم.

وما يزيد في منح الأهمية الكبيرة للمقالة -اليـوم- في الصـحافة هـو الــحاجة الــمتزايدة إليها، لأنها تعمم المعارف النافعة، بلغة ميسرة، سهلة الفهم وتساير مستجدات العصر المتسـمة بالعلمية والتطور المذهل.

لغة ا لاستطلاع... دعم للتعبير الإنشائي:

لغة الاستطلاع: لقد اقترن تاريخ ظهور الاستطلاع بنصوص الكتاب الذين وصفوا الطبيعة المحيطة بهم، و الناس الـذين كـانوا يقاسـمونهم الحيـاة.. ومـن أجـل ذلـك، هنـاك مـن يـدمج الرحالين ضمن كتاب الاستطلاع، لكونهم قد طافوا عبر عدد من البلاد والأماكن، ورجعوا بوصـف لما رأوه، وما لبسوا من أثواب وذاقوا من الأطعمة.

إن دخول رجال الأدب في ميدان الاستطلاع، قد مارس بعد الحـرب العالميـة الأولى تـأثيرًا كبيرًا على الطابع الفني للاستطلاع، حيث لم يعد هذا النوع الصحفي، مجرد وصف سطحي، بـل تطور في شكل أدبي وحوار وقصة بكيفية تهم الإنسان.

الاستطلاع المعاصر، ليس مجرد تسجيل سطحي للواقع الحي ولكنه جواب لجملة من الاستفسارات المعقدة المتعلقة بحياتنا، وفي هذه الحالة، فإن تجربة الكاتب الحياتية، ومؤهلاته المهنية، وزاده اللغوي، وإلمامه بالموضوعات المعالجة، تلعب دورًا مهمًا في إنتاج استطلاع ناجح.

إن المهمة الأساسية لكاتب الاستطلاع، هو مشاهدته لما يجري حوله من أحداث، وما يقال من كلام، ثم يسجل انطباعاته عن كل هذه الأشياء.. وعمله الأصلي، يتمثل وقتئذ في: النظر - السمع - الفهم- التسجيل، القرار.

وهكذا، إذا خانت اللغة الكاتب، أو إذا لم يشعر القارئ أو المستمع بالمكان، وبالأحداث، والناس، أي بالبعد الدرامي الإنساني، الذي يتضمنه كل حدث، يفقد الاستطلاع الصبغة الإنسانية، ويكون ميتًا يشتم من خلاله رائحة التقرير الإداري.

وللغة العربية باع طويل في ميدان الوصف، يتجلى ذلك بقوة وكمال في النص القرآني، عند وصف الجنة والنار، وبعض المظاهر والأشياء، كما يتجلى في آثار الرحالين والشعراء، الذين جسدوا الواقع أحسن تجسيد.

يمكن للغة الاستطلاع، أن تشكل رافدًا معرفيًا وأسلوبيًا مهمًا للتلميذ، وهو يجس الواقع في محاولاته في التعبير الإنشائي، وهو يصف حركة المرور والريف والبحر، والاحتفالات، وملامح الإنسان.

وهكذا، فإن نقل ما تمت مشاهدته والاستماع إليه والإحساس به، كلها عمليات تتطلب من الصحفي، أن يكون مزودًا بلغة ثرية بالمعاني الضرورية لرصد هذه الإحساسات الثلاثة، وأما إذا عجزت لغة الصحفي عن وصف ما رصدته حاسة من الحواس، فإن نقله للواقع الحي المتعدد المشهد، سيكون بدون شك مبتورًا ومختلاً، وغير ذي رونق وجاذبية.

إذن، فإن لغة الاستطلاع، يجب أن تكون تنبض بالحيوية والنشاط، أي تجعل الواقع من خلال القراءة، أو الاستماع، أو المشاهدة، يتحرك من جديد كأنه يعاد تمثيله.

لغة التحقيق... الخمسة أساليب الأساسية:

لغة التحقيق: التحقيق الصحفي، يحتوي على عناصر الخبر، والتعليق والمقال، والحديث الصحفي، والتقرير، والاستطلاع، والدراسة، ولكنه يستوعب هذه العناصر كافة، ويهضمها ويتمثلها ليشكل لنفسه بذلك طابعًا مميزًا بخاصيته، وشخصيته المستقلة.

إن صياغة التحقيق، هي عبارة عن عملية بناء متكامل، يشمل اللغة التي تحمل دلالات ورموزًا، يعلم القارئ من خلالها بالمشكلة أو الظاهرة، ويشمل أيضًا تسلسل تقديم وجهات النظر المختلفة، كما يحتوي على الترتيب المنطقي للحجج والأدلة.

وتنقسم صياغة التحقيق الصحفي إلى خمسة أساليب أساسية:

1- أسلوب العرض: ويتميز بالبساطة والجاذبية، ويستخدم عندما يكون التحقيق متضمنًا لكمية هائلة من المعلومات والمواقف.

2- الأسلوب القصصي: ويتميز بالإثارة والحيوية والرشاقة، وغالبًا ما يستخدم في التحقيقات التي تدور حول قضايا تغطي فترة زمنية طويلة، أو تشمل مناطق عديدة، أو تتعلق بأطراف مختلفة.

3- الأسلوب الوصفي: يتسم هذا الأسلوب بوجود قدر معين من الوصف المباشر للمكان أو للأشخاص، ويستخدم عادة في التحقيقات التي تهدف في المقام الأول إلى التعريف بأمر ما، أو منطقة ما، أو فئة اجتماعية معينة، وهو أسلوب شائع جدًا وخاصة في المجلات.

4- أسلوب الحديث: وهو يعتمد أساسًا على آراء شخصية واحدة أو عدة شخصيات، بحيث تكون هذه الآراء هي الهيكل، والعمود الفقري للتحقيق، وأثناء عرض هذا الحديث، أو هذه الآراء يقوم الصحفي بتقديم معلومات ووقائع.

5- الأسلوب المختلط: وهو أسلوب عام، لا يتقيد بنمط معين، بل يأخذ من الأساليب السالفة الذكر وفق ما يقتضيه الحال وطبيعة التحقيق ذاته، وهذا النوع من الأساليب يتطلب مهارة لخلق بنية متماسكة للتحقيق الصحفي.

إن التحقيق الصحفي، لا يحتمل العرض المبني على العموميات والأسلوب الإنشائي، واستعمال الشعارات، لأنه باختصار يرمي إلى الغوص بعيدًا لمعرفة الأسباب، والتنقيب ليس فقط لتشخيص المشكلة، بل بغرض وضع الحلول العملية الملائمة لها.

إن حجم المعلومات، التي يتلقاها الصحفي المحقق، وجودة التحليل، ودقة الاستنتاج، وصلابة الحلول، وحسن توظيف اللغة، كلها أمور ضرورية لنجاح تحقيقه.

لغة الحديث... دراسة طرق التفكير الإنساني:

لغة الحديث الصحفي: يعتقد بعضهم عن جهل وعدم دراية بأنه ليس هناك أسهل من طرح الأسئلة على شخص، وتدوين ردوده، لكنه في الحقيقة هو أعقد من ذلك، وليس كما يبدو لأول وهلة.

وعلى العموم يرتبط الحديث الصحفي ببعض قيم المعرفة، حيث يفترض أن يكون الصحفي مستعدًا تمام الاستعداد، وأن يكون ملمًا بالموضوع الذي ستدور حوله المقابلة، وأن يتحكم جيداً في اللغة الخاصة بالموضوع المعالج (اقتصاد- طب - سياسة - تكنولوجيا).

وقد عرف الحديث الصحفي تحولات عديدة في بنائه، فقد انتقل من مجرد خبر بسيط، ليصبح بمثابة دراسة لطرق التفكير الإنساني، وكشف خفايا الأفراد وأفكارهم ومعتقداتهم، ومزاجهم، كما أضحى منهج بحث مهم من أجل استجلاء الحقيقة.

ومن المعلوم أن الكيفية الحية للانتقال من النقل البسيط للخبر إلى التطرق للجو العام، الذي يجري فيه الحديث، وإلى عناصره، وكذلك التركيز على خبايا حياة الإنسان، كل هذه المواصفات تظهر جلية لأصحاب الأحاديث المرموقين.

لقد أثبتت الأبحاث الإعلامية، أن القارئ العادي يتأثر بحديث الشخصيات البارزة في مجتمعه، أو في العالم، أكثر مما يتأثر بكتابات أو أبحاث عن نفس الموضوعات، كما أن القارئ يقترب من فهم القضايا المعقدة من خلال الحوار مع شخصية مهمة، أكثر من أي طريقة صحفية أخرى، وتبرز في الحديث الصحفي عبقرية، وفطنة، وثقافة الصحفي في الحصول على المعلومات التي يرى أنها تلبي رغبة القراء، وتجيب على تساؤلاتهم.

ومن الواضح أن كيفية طرح الأسئلة، وأسلوب صياغتها يؤثران بشكل كبير على مضـمون وعلى لغة الحديث الصحفي، وهكذا فإن الصحفي الـذي يطـرح أسـئلة سـهلة تـؤدي إلـى الإجـابة بنعم أو بلا، أو بنسبة، لا يمكنه أن يتوقع إلا أجوبة بسيطة، أي من نوع الأسئلة.

إذن تشكل لغة الصحافة المكتوبة - اليـوم- الإطـار الأسـلوبي الأكـثر توظيفًـا واسـتخدامًا للكثير من الناس. فهي -أي الصحافة- التي تمنح للفظ ما القوة، والتأكيـد، والانتشـار، والـذيوع، من خلال الإكثار من استخدامه، وتضع غيره عن قصد أو غير قصد في طي النسيان.

ومن الواضح أن للصحفيين العاملين في الصحافة المكتوبـة دورًا مهـمًا لأنهـم هـم الـذين يحددون طريقة عرض المعلومات، وطريقة وصف العالم المحـيط بنـا، وكيفيـات السـعي لإدراك الحقيقة، والإنباء عـن أخبـار النـاس، وكـل ذلـك عـبر لغـة يجـد القـراء أنفسـهم مـرغمين عـلى الاستئناس بها، وفي غالب الأحيـان توظيفهـا في حيـاتهم المهنيـة، أو عنـد قيـامهم بـنشر المعرفـة والدرايات في أشكالها المختلفة.

تقتضي الصحافة المعاصرة أن يكـون ممتهنهـا ملـمًا بفنيـات تحريـر أجناسـها المختلفـة، ومـتحكمًا بشـكل معمـق في اللغـة المسـتخدمة، وكـذلك واعيًـا للأخطـار التـي قـد تـنجم عـن المعالجـات الصـحفية العارضـة والسـطحية، والتوظيفـات غـير السـليمة للأسـاليب والألفـاظ، وانتهاكات القواعد النحوية والصرفية.

العامية كمدخل للفصحى

يستخدم الناس الـلـهجات العامية في أحاديثهم اليومية أكثر من استخدامهم للفصـحى، وهم يتحـدثـون في الـمجتـمع الواحد لهجات شتى...

وجـاءت الـلــهجات كـما قيـدتها كتـب الـتراث اللغـوي في تسـميات مــثل الكشلــشة، العنـعـنة، والفحفحـة، والثـلـثلة، والتضـجع، والعجعجة...

ولقد استعمل العرب العامية للدلالة على مستوى اللغة العربية الـذي يـستعمله سـواد الـناس وعـامتهم فـي التـعبير عن أغراضهم، ومـا العاميـة في رأيهـم إلا الوجـه الآخـر للفصـحى محرفًا قليلاً أو كثيرًا على ألسن الناس ونطقهم.

ففي القديم كانت الفروق بين الـلـهجات تكاد تقتصر على الخصائص النطقية والعادات الصوتية، وما عرض له اللغويون القدامى من أمثلة تخالف اللغة الموحدة المطـردة في الفصـاحة كان قليلاً.

علاقة العامية بالفصحى:

لم تكن نظرة علمائنا إلى الـلـهجات مقرونة بالريبـة والتخـوف بقـدر مـا كانـت مشـوبة بالاستنكار وعدم الرضا، ولهذا صنفوا الـلـهجات في أدنى مراتب الفصاحة، لا خارجها، ووصـفوها بالمذمومة والقبيحة والرديئة والمرغوب عنها.

وعلى الرغم من أن العامية لا تعتمد على قواعـد ثابتـة، ومنهـا كثـير مشـتق مـن لغـات الأعاجم، فإن المشتغلين بالدراسات اللغوية يؤكدون أن الـلـهجات العاميـة حافظـت عـلى ثـروة هائلة من الألفاظ الفصيحة المهملة عند الكتاب والأدباء والمصطلحات العربيـة الصـحيحة التـي استنبـطت أيام ازدهـار الـمدنية ولم يضمها معجم ولا سجلها أحد من علماء اللغة إلا في القليل النادر.

وعلى سبيل المثال، تحتوي العامية الجزائرية على عدد هام مـن ألفـاظ القـرآن الكـريم، ويتم توظيفها وفق السياقات التي وردت في كتاب الـلـه عز وجل.. وفي ذلك نذكر ما يأتي:

نقول: غاظه الشيء، ويستعمل هذا اللفظ عندما يفقد المرء شيئًا عزيـزًا عليـه، أو يمنـى بخسارة لم يكن يريدها، أو يخونه شخص ما كان يثق فيه.. قال الـلـه تعـالى: {**وإذا خلـو عضـوا عليكم الأنامل من الغيظ** } (آل عمران:119).

ونقول: فرّط (بتشديد الراء) في الشيء، بمعنى قصر فيه وضيعه وبدده، وتستخدم خاصة عندما يهاجر الشخص ولا يسأل عن والديه أو أهله.. قال اللـه تعالى: {**ما فرطنا في الكتاب مـن شيء** } (الأنعام: 38).

ونـقول: تـاه فــلان، بـمعنى ضـل الطريـق وســار متـحـيــرًا.. قـال تعـالى:{ **قـال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض** } (المائدة:26).

ونقول: هذا الطفل اليوم ما بـه خـانس؟؟ عنـدما يكـون منـزو وعليـه علامـات الخـوف والترقب، ويكون ذلك عادة عندما يقوم بعمل يعـلـم أنـه سـوف يغـضب والديـه إذا علمـوه، كتكسير أثاث البـيـت، أو عراك، قال تعالى: { **قل أعوذ برب الناس، ملك الناس، إله النـاس، مـن شر الوسواس الخناس** } (الناس:1-4).

ونقول أيضًـا: "أرض سـائبة، وصـوف منفوشـة، ويحنـث، وبـرئ المـريض، وغشي، والملـة، والبنان، أي أصبع الرجل "، وغيرها كثير.

مخاطر الدعوة إلى العامية:

إن اللغة العربية في الوقـت الـراهن قـد انـتشرت انتشـارًا واسـعًا مـس جميـع الميـادين والحقول، لكن هذا الاتساع جرى في كثير من الأحيان على حسـاب مقومـات شخصـيتها، فبـدت للملاحظ أنها لغة عربية في حروفها، وفي بعض ألفاظهـا، بيـنما في معظـم اسـتعمالاتها وتركيبهـا اتسمت بالاعوجاج والانحراف عن طبيعتها اللفظية ودلالاتها المعنوية، الأمر الـذي أخرجهـا مـن اللغة الواحدة إلى الـلـهجات المتعددة التي تشتمل على خليط من الكلمات الأجنبية (الدخيلـة) ومن الألفاظ العربية المنحرفة عن الصيغ الأصيلة.

إن الـدعوة إلى العاميــة تمتـد بجـذورها في التـاريخ، وقـد لعـب المسـتشرقون دورًا بالغ الخطـورة والأثـر، وكـان أول مـن دعـا إلى التحـول مـن الفصحى إلى العاميـة الــمستشرق الألمـاني ولهـام سـميث، الـذي كـان مـديرًا لـدار الكتـب المصريـة خـلال الثلـث الأخـير مـن

القرن التاسع عشر الميلادي.

لقد أدرك علماء الغرب الترابط الوثيق بين اللغة العربية والدين الإسلامي وعرفوا أن الإسلام لا يفهم إلا بها، وأنها ركن جوهري من القرآن الكريم (...) فأخذوا يوجهون السهام إليها، وبذلوا الجهود الكبيرة لإضعافها وتدميرها وإبعاد المسلمين عنها، وصرفهم عن الفصحى التي تؤدى بها.

لقد أخذوا يروجون للغة العامية واللهجات الإقليمية المحلية لتكون لغة التخاطب والكتابة والآداب والفنون والمعاملات، وكان ذلك أسلوبًا من أساليب إضعاف اللغة العربية وإهمالها، وكان أيضًا جزءًا من المؤامرة عليها.

يتحدث الشيخ محمد الغزالي بمرارة جلية عن المحاولات الرامية لضرب اللغة العربية وإضعافها والتمكين للهجات، حيث يقول: "لا أزال أذكر أيامًا كان يتكلم الأزهريون فيها باللغة الفصحى ".

فوضع الاستعمار خطته كي يجعل من كلامهم "بالنحو " مثار السخرية ومبعث الهزء في كل مجلس.

ونجح الاستعمار في إبعاد الفصحى عن لغة التخاطب ليستأنف إبعادها عن لغة التأليف والإذاعة.

ثم يروي حادثة وقعت له نفسه قائلاً: "أطلعني أحد الأصدقاء على مجلة أسبوعية أخرجت لسانها لي لأني أنطق الجيم جيمًا والقاف بلغة العرب؟؟

للقاف والجيم رنين يرتطم بقفاه كأنه صفعة مزعجة؟؟

إن الغريب ليس إفلاح الاستعمار في خلق هذا المخنث المسخ، ولكن الغريب أن يتسلل هذا المسخ إلى وسائل الإعلام ليكون له حق توجيه الجماهير.. توجيهها إلى أين؟

إلى مواطن الخزي والندامة، مواطن الارتداد والنكوص... "

استعمال العامية في وسائل الإعلام أضر بلغة القرآن:

إن من أكبر العوامل الضارة باللغة العربية وبمستقبلها وحتى بمستقبل الوحدة العربية استعمال اللهجات المحلية في السينما والمسرح وفي الإذاعة والتلفزة، إذ يجمع بين

البلاد العربية لغة القرآن، والعدول عنها إلى اللـهجات المحلية هـو خصـم لهـذه الوحـدة، وقـد قال أحد الأدباء: "الذين ينادون بإحلال العامية لسهولتها محـل الفصـحى لصـعوبتها هـم أشـبه ممن ينادون بتعميم الجهل لأنه سهل وإلغاء العلم لأنه صعب المنال.

يقول الدكتور مسعود بوبو: "ينبغي لنا ألا يغيب عن بالنا أن الظاهرة اللـهجية لا تقف عنـد النطـق كـما كـان الحـال قـديمًا، بـل تتعـداه إلى الكتابـة المرئيـة واضـحة عـلى "شاشـات التلفزيون".. والكتابة اللـهجية تنطوي على الخطأ الإملائي والخطأ النحوي، ورؤيتهـا عـلى هـذه الصورة المتكررة يرسخها في أذهان أجيالنـا قبـل معـرفتهم السـلامة اللغويـة، وهـذا يجعـل مـن العسير محوها من أذهانهم ".

ثم يقارن بين عوائق فهم اللغة الفصحى واللـهجات العاميـة حيـث يخلـص إلى القـول: "وليس صحيحًا ما يقال عن وجود عوائق تحول دون فهم ما يؤدى باللغة الفصحى، بل العوائق دون فهم اللـهجات أكثر وأشـد ضـررًا، فالفـصحـى موحـدة يفهمها الـجميع، أو السواد الأعظم مـن العـرب المتعلمـين، في حـين يصـعب عـلى الجميـع - متعلمـين وغـير متعلمـين- الإحاطـة باللـهجات العربية على اختلاف مواصفاتها ومناطقها ".

وفي السـياق نفسـه يقـول الأسـتاذ محـي الـدين عبـد الحلـيم: فـإذا استعرضـنا بـرامج التلفزيون أو الإذاعة في معظم البلاد العربية لوجدنا أن نسبة ما تبثه بالعاميـة تزيـد عـما تبثـه بالفصحى، ولا سيما في الأعمال الدرامية والمنوعات التي يندر فيها استعمال الفصـيح مـن اللغـة بحجة أن وسائل الإعـلام تخاطـب الجمهـور ككـل.. وكـون هـذا الجمهـور ذو ثقافـات متباينـة، ونتيجة للابتذال واستخدام الألفاظ والكلمات الهابطة من طرف الإعلاميين، وعدم الحفـاظ عـلى الحد الأدنى من الأصول والقواعد اللغوية، أدى إلى الاستخفاف بقواعد اللغـة العربيـة، كـما أدى ذلك إلى الترويج إلى السوقية وشيوع الكلمات والمصطلحات غير اللائقة.

إن بعـض خصـوم العربيـة يختفـون وراء الـدعوة إلى تيسـير التعبـير بهـا وتسـهيله، والتيسير عندهم يعني التخلي عن قواعدها وعن الأساليب الصحيحة في التعبير عنهـا، وعـن أسـاليبها الصـحيحة في التعبـير بهـا، ويمكـن أن نلمـس هـذا في وسـائل الإعـلام وأسـاليب

الإشهار، إذ نادرًا ما نقرأ كلامًا عربيًا صحيحًا فيما تكتبه الصحف والمجلات أو فيما تذيعه مختلف وسائل الإعلام وهؤلاء الذين يفضلون استعمال التعابير البسيطة غير الصحيحة يغيب عنهم أن المعاني مرتبطة بقوالب صيغها وحالات إعرابها، لأنها في الحقيقة لغة اشتقاقية معربة.. ومعنى أنها اشتقاقيه: أن معاني ألفاظها تتغير كلما تغيرت قوالب صيغها، ومعنى أنها معربة: أن معظم معانيها الإعرابية تتغير كلما تغيرت وظائفها في التركيب.

أما اليوم، فأمر اللهجات يثير المخاوف، ويؤرق الغيارى على العربية العريقة، ويقلق كل من يستشرف بتدبر وأناة آثارها المفزعة في المستقبل، ذلك أن اللهجات العربية بتنوعها تبدو بحق كأنها حرب معلنة على العربية الفصحى من محطات التلفزة.. وخطر هذه اللهجات يجيئ من كونها تتعدى المظاهر الصوتية، إذ تتضمن كلمات أجنبية دخيلة ومصطلحات ومسميات مرتجلة بغير خبرة بخصائص اللغة العربية، يسوقها معدون أو مذيعون على نحو مغرق في التسرع ومراعاة الشائع محليًا، أو في مرعاة أذواق الناطقين بها وحدهم، وأحيانًا يمعنون في المحلية فيتحدثون بلهجة منطقة بعينها من هذا القطر أو ذاك، وأحيانًا تبدو اللهجة متأثرة ببقايا اللغة التي كانت رائجة على ألسنة المستعمرين، ممن كان لهم وجود في كثير من مناطق الوطن العربي قديمًا وحديثًا، أو تبدو متأثرة بألفاظ سقيمة لا مكان لها في مستويات الفصاحة المرتضاة.

ويرى بعض الباحثين أن تغليب العامية في بعض وسائل الإعلام كان سببًا من أسباب أزمة اللغة العربية المعاصرة، وذلك لأن وسائل الإعلام تخاطب الجماهير العريضة والمستويات الثقافية المتباينة وتؤثر فيها تأثيرًا نافذًا.. وحجة بعض وسائل الإعلام في استخدام العامية أنها تحاول إرضاء كل الأذواق، وأنها تتوجه إلى فئات غفيرة من غير المتعلمين.

إن من ينتصرون للعامية بلهجاتها،أو يتحمسون لها بحجة مراعاة الأميين، أو محدودي المعرفة، إنما يفعلون ذلك وكأنهم ينتصرون للمزيد من التخلف والجهل، أو كأنهم يستمرئون الانحطاط.

ضبط التعامل مع العامية:

ننهي هذا الفصل بتقديم مقترحات قد تضبط عملية التعامل مع العامية في وسائل الإعلام المحلية، حيث نرى:

- إن العامية في حياة الأمم واقع لا يمكن نكرانه، أو القفز عليه، فهي في جميع الحالات تمثل جزءًا من شخصيتنا، بسلبياتها وإيجابياتها، ومع ذلك ينبغي لنا أن نؤكد حقيقة هامة، وهي أن العامية لا يمكن اعتبارها رافدًا يغني العربية، بل قد تشوه حقيقتها، وتقوّض أعمدتها وأصولها.
- والعامية من الناحية الاتصالية قد تؤدي دورًا محدودًا جدًا، فقد تؤدي وظيفتها الخاصة بالفهم في حدود المنطقة التي تلهج بها، بيد أنه يتقلص دورها كلما ابتعدنا عن موطن اللهجة، وحتى محاولات فهمها يظل صعب المنال، في حين إذا تعلق الأمر بالعربية الفصحى، فالقواميس التي وجدت لهذا الغرض، يمكن أن تقدم خدمات جليلة لمن يريد فهمها أو التعمق فيها. ويجب التنبيه أيضًا إلى أن تهذيب وصقل العامية أو ترقيتها لا ينبغي أن يتم إلا من لدن خبير بأسرار اللهجة واللغة الفصحى، كما يجب أن يوضع في البال ضرورة التوحيد اللغوي للأمة في كل مسعى.
- وإذا كانت العامية تستمد ألفاظها من ينابيع لا حصر لها، وإذا كانت وسائل الإعلام السمعية البصرية تشكل المصدر الأساس لتداول الألفاظ والمفردات، فمن الأنفع استغلال هذه الوسائل - كل واحدة حسب طبيعتها- من أجل تزويد الناس برصيد لغوي جديد يساهم في ترقية لهجاتهم، أو يصحح نطقهم للألفاظ العامية ذات الأصول العربية.

المصطلحات بين الخصوصية و العالمية

يعرف اللغويون التعبير الاصطلاحي بأنه: عنصر أو تركيب لغوي خاص بمجموعة لغوية معينة، ليس له مقابل شكلي دقيق في الترجمة إلى اللغات الأخرى.

ويرون أيضًا أن الاصطلاحات والترجمة لا تملك مقابلاً شكلياً دقيقًا في الترجمة إلى اللغات الأخرى.. فالاصطلاحات إذًا تشكل إحدى الصعوبات التي يصطدم بها المترجمون في الواقع، والترجمة الحرفية هنا غير مقبولة.

- إما لأنها تنتج نصًا لا معنى له، أو لا احترام للنحو فيه.
- أو لأنها تقود إلى تحويل كامل للمعنى.
- أو لأنها تؤدي إلى تغيير في مستوى اللغة "يخون" الفكرة الأصلية.

المصطلح يحمل قيم قومه:

والترجمة، كما يعرفها "مالينويسكي" هي إعادة خلق اللغة الأصلية إلى لغة ليست مختلفة تمام الاختلاف.. ومن هنا فإن الترجمة ليست استبدال كلمة بأخرى، بل هي في الواقع ترجمة سياقات برمتها.

وليس المقصود بهذا النقل الآلي من اللغات الأجنبية إلى العربية، وإنما هو نقل المقومات المدنية الحديثة ومشخصاتها إلى اللغة العربية، لكي تتغلغل في النسيج الفكري للأمة.

والترجمة ليست ضرورة حضارية للدول المتخلفة فحسب، وإنما لها أهميتها القصوى للدول المتقدمة أيضًا التي تحرص على معرفة ما أحرزته الدول المنافسة لها في الميادين المختلفة.. يقول الأستاذ محمد الفاسي، عضومجمع اللغة العربية بالرياض: "إن العلوم والتقنيات بلغت اليوم مبلغًا مذهلاً من التقدم، إذ العلوم أخذت تتقدم وتتوسع، والنظم السياسية والفضائية والإدارة تتطور، والصنائع تنمو وتترقى، وكل هذا استلزم إحداث الآلاف بل مئات الآلاف من الألفاظ والاصطلاحات للتعبير عنه، في الوقت الذي بقيت لغتنا على ما كانت عليه لما جمدت القرائح ووقف الفكر العربي عن الاختراع والإبداع.. بل زاد المسألة تراجعًا وتأخرًا أن المثقفين في أكثر البلاد العربية، بإقبالهم في أول اتصال بالحضارة الحديثة على اللغات الأجنبية والثقافات الغربية، أهملوا تراثهم اللغوي، وقلت المعرفة بدقائق اللغة وبمصطلحات العلوم والفنون، التي كانت بلغت

درجـة عاليـة في الدقـة والاتسـاع، فأُهملـت تلـك الـثروة العظيمـة، وبقيـت مخبـأة في طيـات الموسوعات والمؤلفات المختلفة، المخطوط منها والمطبوعة ".

ويعمد بعض المهتمين بوضع المصطلحات العلميـة إلى اللفـظ الأعجمـي وينقلونـه عـلى علاته بحروف عربية، معتمدين على ادعاءٍ باطل ومغالطـة لا أصـل لهـا مـن الصـحة، وهـي أن هذه الألفاظ عالمية دولية، تستعمل في كل البلاد.

تجارب في التعامل مع المصطلحات الوافدة:

يشيد الأستاذ محمد الفاسي بالتجربة الألمانية في التعامل مع المصطلحات الوافدة، وكتب في هذا الشأن يقول: وإذا كانت اللغات اللاتينية واللغة الإنجليزية... تسـتعمل ألفاظًـا متقاربـة متشابهة، فإن باقي الشعوب لها ألفاظهـا الخاصـة المنبثقـة عـن عبقريتهـا وخصائصـها الذاتيـة، ولنضرب لذلك مثلاً بلغة أوروبية كان يعمها هذا الشمول، لو كان حقًا أن المصطلحات العلميـة هي عالمية، ولكنها في الواقع تستعمل ألفاظ جرمانية بحتة، لنأخـذ أربـع كلـمات عالميـة وهـي: تليفون، وتلـفزة، وجغرافية، وبترول، فـنرى أن الألـمان لا يستعملون واحدة من هذه الكلـمات، وإنما يقولون:

للتليفون : feerns precher : أي التكلم البعيد.

والتلفزة: feernsehen: أي الرؤية البعيدة.

والجغرافية:erdkrin de : أي معرفة الأرض.

والبترول: erdol: أي زيت الأرض.

وهذا رغم كون لغـتهم مـن فصـيلة اللغـات الهنديـة الأوروبيـة، وهـي شـقيقة اللغـات اللاتينية والإنجليزية.

يرى "فيختـه " أن الألمـان بمحـافظتهم عـلى أصـالتهم، أي لغـتهم الأصـلية، التـي بقيـت متعلقة بجذورها، أمة، بينما الشعوب الجرمانية الأخرى التـي هـي مـن أصـل واحـد والشـعب الألماني، ولكنها تخلت عن اللغة الأصلية أو خلطتهـا بلغـات أخـرى، ليسـت إلا قبائـل، جرمانيـة حقًا، كالأمة الألمانية، ولكنها تبقى قبائل وأشتاتًا وليست أمة مثلها؟؟(1).

المصطلحات ولغة الأمة:

ففي شتى بلدان العالم يسعى الغيورون على اللغات الوطنية لتأكيد أصالتها من خلال التعامل مع المصطلحات الأجنبية وفق ما يقتضيه حال لغتهم، والبحث عما يقابله في اللغة الأصلية أولاً.

وهكذا، أثناء زيارة لألبانيا -ذاك البلد الصغير- أعلمني مرافقي ونحن على متن السيارة، أن الحصة الإذاعية الجاري بثها، هي الآن بصدد الحديث عن مسألة الكلمات الدخيلة، وأنهم يسعون لاستبدالها بالألفاظ والكلمات ذات الأصل المحلي، حفاظًا على لغتهم من الذوبان في لغات أمم التكنولوجيا الحديثة.

وفي فرنسا -مثلاً- توجد عشرات الهيئات الرسمية والخاصة تقوم بالمحافظة على اللغة الفرنسية، وإبعاد الكلمات الدخيلة التي غزتها هذه السنين الأخيرة، خصوصًا الإنجليزية، حتى أطلق أحد الأساتذة الفرنسيين المشهورين وهو الأستاذ Etiemble على لغة فرنسا في الوقت الحاضر لفظ "الفرانكلية le frenglais"، أي الفرنسية الممزوجة بالإنجليزية.. وعلى رأس هذه المؤسسات المجمع الفرنسي، الذي لا يدخل في قاموسه إلا ما كان سليمًا من حيث الأصل الفرنسي، وموافقًا للذوق والأساليب الفرنسية.

إن غيرة الألمان والفرنسيين والألبان العارمة وغيرهم على لغتهم، يقابله -للأسف- عن وعي أو غير وعي، نوع من التهاون من العرب على لغتهم، حيث أصبحنا نجد في بعض الأحيان الشيء الواحد نطلق عليه تسميات عدة، ومن ذلك مثلاً : في مصر يقولون بندول الساعة لكلمة pendulum، وفي العراق "رقاص"، وفي سوريا "نواس "، وفي الأردن "خطار "، فينبغي أن تختار الدول العربية ترجمة واحدة للمصطلح الواحد.

وأمام هذا الطوفان الجارف من التكنولوجيا الحديثة والاختراعات التي تمس شتى مناحي الحياة، يجد الإعلاميون العرب أنفسهم أمام الأمر الواقع، فهم -هنا- ونتيجة لمقتضيات النقل السريع للأحداث الوافدة من كل أصقاع المعمورة، قد يجبرون على استخدام المصطلح كما ورد، أو يبحثون عن أقرب معنى له.

إن آلاف الألفاظ والتراكيب التي لا نعرف لها واضعًا ولا صانعًا أصبحت من صميم اللغة العربية وثروتها الواسعة، التي لا تعرف حدًا، هـي مـن عمـل رجـال الصحافة وابتكـارهم، إمـا بالترجمة من اللغات الأجنبية، وإما باسـتعمال المجـاز والاسـتعارة وتوسـعًا في دلالات الكلـمات، وإما بالوضع الموحي الذي يجيئ عفو الخاطر ويكون مطابقًا للقواعد وأحكام اللغة من اشتقاق وتعريب وغيرهما.

وقـد يرى بعـض الـمهتـميـن أن كـثرة الاشتـقاق تفـسد اللـغـة، أو تؤدي إلى تسممها، ويذهب الدكتور حسن ظاظا أستاذ علم اللغة إلى القول: إن اللغة تستطيع أن تسـتوعب حتـى 40% من الأسماء الحديثة، وحتى 10% من الأفعال، وحتى 2% من الحروف، ولكنها بعـد هـذه النسب تتعرض للتسمم.

وتعتبر الترجمة من أخطر التحـديـات الـتي تواجـه العـربية، حيث تعتمد أغلبية وسائل الإعلام على الطرق البالية، وبالتالي لا يمكن التجاوب مع التقنيات الجديدة والمعطيات العصرية، وبهذا فـهي تعتمـد عـلى الــمصادر الأجنبيـة في الحصـول عـلى المعلومـات ونقـل التصـنيفات والتعريفات التي تقدمها لنا المصادر الأجنبية دون تبصر.

ويــمكن أن تصـاحب المصـطلحات الأجنبيـة القـيم الإخباريـة لأصـحابها، وتفسـيراتهم للأحداث، والتي تعكس انتماءاتهم الحضارية والمذهبية.. ومـن أجـل ذلـك ينبغـي الحـذر عنـد ترجمة المصطلحات الوافدة من عند الشعوب الأخرى.

وفي هذا السياق، يقول الأستاذ أكرم محمود قنوص: "إن الأسماء العربيـة للمخترعـات لا تلغي الأسماء الأجنبية، وإنما تدفعها إلى الدرجة الثانية، فيتقدم عليها مصطلح لغتنا، وهـو حـق لنا ولكل أمة أن تسمي الأشياء بلغتها لا بلغة غيرها من البشر.. حتى تدخل وعي أبنائها ".

ونختتم هذا الفصل ببعض الملاحظات التي نرمي من خلالهـا إلى ترشـيد عمليـات التعامـل مـع الترجمة والاصطلاحات الأجنبية، وذلك حتى يتسنى للغة العربية أن تساير مسـتجدات الـعصر، وفي الوقت ذاته لا تتخلى عن مقوماتها التي تتميز بها:

- تحوي اللغات الأجنبية عشرات من الكلمات والمصطلحات التي تتقارب في معانيها وتتفاوت في دلالتها، ومن الملاحظ أن المراجع الأجنبية كثيراً ما تستعمل الكلمة الواحدة لأكثر من معنى ومدلول، وعلى سبيل المثال نأخذ كلمة : Fort

مدينة منيعة: Ville Forte صوت جوهري: Voix Forte

مقدار كبير: Forte Dose نظر ثاقب: Des Yeux Forte

كيل واف: Mesure Forte عنيد: Forte tete

ورق كثيف: Papier Fort أسلوب بليغ: Style Fort

- ومن حسن حظ العربية أنها غنية جدًا بالمترادفات، وأنها من أغنى لغات الأرض بالمدلولات والألفاظ والأقيسة، وكانت الطريقة الوحيدة هي جمع هذه الأشياء وتسليط الأضواء عليها، واستنباط المدلولات الحقيقية لها، والغوص في المعاجم لاستخراج الكلمة الملائمة، وتعميم الاستعمال والتزامه.

- ومن الطبيعي أن تصاحب عملية التعريب سلبيات كثيرة يمكن معالجتها بالدراسة والتقويم، وإيجاد الحلول المناسبة لها في حينه.. أما الاكتفاء بالحديث عن السلبيات من غير بدء خطوات جادة نحو التنفيذ، فإنه لا طائل منه غير تثبيط الهمم، وتوسيع الهوة الموجودة بين الأمة وحضارة العصر، لأن كل يوم يمر يشهد ابتكارات واختراعات جديدة في شتى العلوم، يواكبها طوفان يزيدها تعقيدًا، ويسلب الأمة وسيلة من أهم وسائلها، ألا وهي لغتها، لمقاومة ما تعرضه العولمة من تحديات حضارية تهدد هويتها وكيانها.

- أما الأعلام الأجنبية، كأسماء الأشخاص وأسماء الأدوية وأسماء البلدان، فهذه لا مندوحة في قبولها بألفاظها، ولا مجال للاعتراض عليها لعدم إمكان ترجمتها.. والمحذور الخطير في الأمر ما يفعله ترديد المفردات الدخيلة في المكتوبات العربية، وتداولها على الأسماع، وتهيئة الجو المناسب لها حتى تنتشر وتتمكن بين الجماهير العربية، ويصير الدخيل هو الأصل، إذ تتقبله الألسن

وتنسجم معه الأفكار، ومن شأن هذا الأمر أن يعبد الطريق أمام موجات جديدة من المفردات الأجنبية العديدة، التي يراد لها أن تغزو لغتنا العربية.

- لقد كان لغياب التنسيق على مستوى المؤسسات الإعلامية والعلمية ومجامع اللغة العربية في مجال الترجمة الأثر السيء، حيث أدى إلى تكرار الجهود، وإهدار الأموال فيما لا طائل منه، كما أدى إلى شيوع ظاهرة تعدد المصطلح العربي المقابل للمصطلح الأجنبي، وبالتالي خلق التشتت اللغوي بين الناطقين بالعربية.

ونرى هنا أهمية إنشاء خلية ترجمة على مستوى المجالس ومجامع اللغة العربية، من مهامها الأساس متابعة المصطلحات الجديدة على مستوى وسائل الإعلام العربية، وتزويدها باللفظ العربي المقابل، ومناشدتها لتوظيفه واستخدامه.

من نتائج اعتماد العربية في الإعلام

لاحظ الباحثون عددًا من الآثار الناجمة عن استخدامات اللغة في وسائل الإعلام بشتى ضروبها، وتتجلى هذه الآثار على الخصوص في الجوانب السلوكية والنفسية والتربوية، والنظرة إلى الأشياء، والتفكير...

ومن ذلك أن اللغة تؤثر في الشعب المتكلم بها تأثيرًا لا حد له، يمتد إلى تفكيره وإرادته وعواطفه وتصوراته، وإلى أعماق أعماقه، وأن جميع تصرفاته تصبح مشروطة بهذا التأثير ومتكيفة به.

وكما يقول أدوين واكين: "فإن جميع وسائل الاتصال بالجماهير الواسعة الحاشدة لتضطلع على نحو أو آخر بوظيفتين هما: تكوين الرأي العام وإعلامه، كما أنها تسلي وتبيع (السلع التي يعلن عنها فيها). وهاتان الوظيفتان تؤديان بصفة مستمرة، وبطريقة مباشرة وغير مباشرة.. "

وتشير دراسات استشراقية إلى أن الألفية الجارية ستشهد اتساع نطاق تداول لغات، وأفول أخرى أو اندثارها، وقد يلعب عامل الحرص على اللغات وترقيتها، وزيادة الناطقين بها،والمستخدمين لها، دورًا بالغ الأهمية من أجل ضمان ديمومتها.

إن اللغة من أهم مؤسسات كل أمـة.. ولغتنـا العربيـة فيهـا مقدسـاتنا وتراثنـا العظـيم وتاريخنا (...) وعلينا أن نرعاها، ونسعى دائمًا إلى تحديثها، وتبسيط صعابها، والارتقاء بها، لأنهـا أقوى الروابط.. فهي توحد الفكر والعاطفة والثقافة والتـاريخ، وهـي دعامـة المسـتقبل الواحـد والمصير المشترك.

وإنه مما لا شك فيه أن الإعلام المعاصر من أهم عوامل التطور اللغـوي.. والـذي لا شـك فيه أيضًا، أن التزام القائمين على الإعلام بقواعد الدقـة، مـن شـأنه أن يضـبط هـذا التطـور، وأن يضعه في مجراه، فيصبح مثل النهر تدفقًا ونماءً.

خلق الذوق اللغوي:

ومن الضرورة بمكان أن ينتبه رجال الإعلام إلى أنهم يخلقون الـذوق اللغـوي، ويفرضـون الصواب، الذي قد يبدو في أول أمره ثقيلاً، لكنه مع الوقت يصبح مقبولاً وشائعًا.

إن لغة الإعلام لا تثري زادنا اللغوي فحسب، بل تمنحنا تصورًا لطبيعة الأشـياء، وحقيقـة محيطنا، وأصوب السلوكات وأكثرها تطابقًا مع قيمنا ومثلنا.. وعـلى سـبيل المثـال، إذا اسـتعمل الإعلام اللفظ العفيف والدقيق، فقد يقتفي آثاره الناس، بيـد أنـه إذا أحاطنـا بكلـمات الفسـق والسوء والبذاءة، فمن المتوقع أن يتم استخدامها مـن قبـل الجمهـور، فاللغـة الإعلاميـة تصـبح جزءًا من حياة المجتمع.

إن الأسلوب الـذي تسـتخدمه وسـائل الإعـلام قـد يتـأثر بـه الجمهـور، ولكـن بـدرجات متفاوتة، وفي هذا الشأن لاحظ عدد من أساتذة اللغة العربية على تلامذتهم استخدامهم للصيغ والقوالب والعبارات التي يوظفها الصحفيون في كتاباتهم.

وبما أن وسائل الإعلام هي أسبق الوسائل في معالجة الموضوعات الآنيـة، فإنهـا لا تعمـل فقط على تداول المصطلح الجديد والتعبير عن الواقع، بل تسهم كذلك في صـياغة نمـط التفكـير وتفسير الأحداث وإصدار الأحكام بشأنها.

ويعترف الباحثون بأن كلاً من الإعلام والتعليم يهدف إلى تغيير سلوك الفرد، فبينما يرمي التعليم إلى التأثير في سلوك التلاميذ بهدف تغييره، فإن الإعلام يسعى إلى التأثير في سلوك الجماهير بهدف تغييره أيضًا.

وكثيرًا ما نرى أطفالنا يرددون الجمل والكلمات والصيغ اللغوية التي يلتقطونها من الإعلانات التجارية، ويقلدونها في حديثهم، ويحاكون طريقة تلفظها.. غير أن الطفل يكتسب في هذا المجال معارف كثيرة، وينمو ذوقه وقدراته الخيالية، وترتقي مهاراته اللغوية بشكل واضح، ويثرى محصوله من مفردات لغة الإعلان، أو يزيد هذا المحصول نماء وتنوعًا.

فوسائل الإعلام تعادل المدرسة بالنسبة لأعداد لا حصر لها من الرجال والنساء الذين حرموا من التعليم، حتى ولو لم يستطيعوا أن يحصلوا منها إلا على العناصر التي يتسم مغزاها بأقل قدر من الثراء، ومضمونها بأكبر قدر من البساطة(1).

ولما كان تمكين الأفراد من التفاعل ومن إيصال المعلومات يندرج في عداد المهام الرئيسة للإعلام والاتصال، فقد ذهب المشتركون في المؤتمر الدولي الحكومي للسياسات الإعلامية في إفريقيا بيا وندي (الكاميرون)، في يوليو 1980م، إلى الإقرار بأن استخدام اللغة الأصلية أو الوطنية يعد وسيلة من أنجع الوسائل لتأكيد الذاتية الثقافية، فاللغة من المقومات التي تجعل للإنسان ذاتيته، أي انتماءه إلى جماعة معينة من الناس، وذلك بالإضافة إلى دورها في تيسير تحصيل المعارف، كما أن استخدام اللغة الأصلية أو الوطنية يمكن من إضفاء مزيدٍ من الفعالية على عملية المشاركة.

لذلك فإن لغة الإعلام يمكنها أن تحقق أهدافًا عدة، وأن تحدث آثارًا جمة.. ومن أجل ذلك يجب أن ترتبط السياسات اللغوية لوسائل الإعلام الوطنية بخدمة قضايا الهوية، وتأكيد الذات اللغوية.

الفصل السادس

المصطلحات المتداولة بالإعلام

الفصل السادس

المصطلحات المتداولة بالإعلام

يأخذ الاعلام العربي في عصر العولمة مكانة المتلقي لا المتحري أو المخبر فهو لا يقوم بأغلبه على وظيفة إعلامية إخبارية ذات هوية واضحة، بل هو يعاني من خلل واضح، وفي أغلب الأحيان يتحول إلى نافذة لاستلاب وعي الجماهير وترسيخ أفكار ومفاهيم ومصطلحات جديدة وهي ما تقوم به على الأغلب وسائل الاعلام العملاقة؛ وتكون أداة افتراس للرأي العام واغتصاب الجماهير بالدعاية السياسية أو الفنية.

وإن كانت المصطلحات الاعلامية العالمية قد وضعت قضايا محددة أرست من خلالها بعض المفاهيم المحددة كالعولمة والسلطوية والشمولية والليبرالية والشيوعية والمسؤولية الاجتماعية والإعلام الحر والإعلام الجماهيري والصحافة الصفراء وغيرها من المصطلحات، كانت اللغة العربية ولا تزال تأخذ عن غيرها من اللغات الحية وتعطي بناءً على التأثير المتبادل المعمول به في سائر الثقافات، وهي لا تزال بحاجة للإنفتاح على غيرها من اللغات، كما أنها لا تزال مجبرة على استقبال الكلمات الوافدة.

وإذا كان توفير المعادل المصطلحي في العربية ليس مستعصياً في بعض العلوم الإنسانية فإن الأمر يختلف في العلوم التجريبية والتقنية التي تتغذى باستمرار بمصطلحات جديدة.

المشكلة ليست في المصطلحات الجديدة بقدر ما هي في المفاهيم التي تعبّر عنها خصوصا وانّ هذه المصطلحات قد ترعرعت في مناخ فكري ذي منظور غربي ينطلق من تصورات مغايرة تحاول العربية استيعابها، لكن عملية الاستيعاب هذه ليست سهلة لأن العملية تمت عن طريق النقل والترجمة وعملية الترجمة تقتضي الحدّ مما يعتري المفاهيم المنقولة من جنوح أو خلل خصوصاً وأنه يروّج لها عبر وسائل مكتوبة ومرئية ومسموعة

وهي ليست كلها تقنية، فنسبة كبيرة منها لها أبعاد ثقافية واجتماعية وسياسية ترتبط بالهوية.

إن دخول مصطلحات جديدة ليس هو المشكلة بقدر ما تكمن المشكلة في المفاهيم التي تعبّر عنها، وهذا هو الحال بالنسبة للمصطلحات في الإعلام العربي الذي هو أهم سلاح في الصراعات الدولية والذي لا يقل إن لم يفق في التأثير والفتك عن غيره من الاسلحة ولئن هدفت الاسلحة التى ابتكرها عقل الانسان إلى الحاق الأذى المادي فان سلاح الإعلام يهدف إذا ما أسيء استخدامه الى التأثير في العقول بممارسه الحرب النفسية من خلال تلفيق الاكاذيب لغسل الادمغة وتضليل الرأي العام وحرفه بقلب الحقائق وجعل الباطل حقاً. وهذا ما تمارسه اليوم الصهيونية العالمية في عصر القطب الواحد (الحلف الاميركي) بامتلاكها لوسائل الاعلام الغربية المقروءة والمرئية والمسموعة من غسل أدمغة ملايين البشر وجرّها خلف كل ما يقترفة الكيان الصهيوني من جرائم بحق الانسانية في فلسطين.

والى جانب ما تقترفة إسرائيل والولايات المتحدة من احتلال وتشريد وتطهير عرقي وتمييز عنصري وابادة في فلسطين والعراق وافغانسان، يأتي في الخطاب الاعلامي الغربي والاسرائيلي المصطلح السياسي المزيف الذي تجري صياغته بعناية عن طريق اللعب على حبال اللغة وقلب الالفاظ والمفاهيم وتشويه مدلولاتها التي وضعت لها، واتفق عليها الناطقون بها عبر تاريخها الطويل وبذلك تحقق الدوائر المعادية عدة أهداف فلا تكتفي بتغييب وعي الشعوب وتضليلها بنزع الحقائق وطمسها وإحلال مزاعمها وأباطيلها محلها لتصبح مع كثرة تداولها من المسلمات التي لا يعتريها الشك بل تحقق بذلك هدفا خبيثاً آخراً يتمثل في تفكيك العلاقات الدلالية والرمزية للغة بغية إشاعة الفوضى في قوانينها ليسهل القضاء عليها كأساس لوجود الأمة والتمهيد لاحلال لغات ولهجات بديله محلها.

إنّ ما سهّل انطلاء هذه الألاعيب على الشعوب خلو الساحة وغياب الجهد العربي الموازي والمواجهة القادرة على اثبات مصدر فاعل في الأدوات والاساليب رغم

قضايانا العادلة بل والأدهى من ذلك فان المصطلحات المزورة التي يجري إعدادها في مراكز الاعلام الغربية والصهيونية تسربت إلى أجهزة إعلامنا العربية وعبرها إلى الألسن، وتعوّد المواطنون الذين أضحوا هدفاً لغزو فكري وسياسي يسعى إلى تغييب وعيهم بهويتهم الحضارية وقضاياهم. كل ذلك بسبب إعلامنا الذي لا يزال وحتى اليوم يعتمد في مادته الأساسية على وكالات الأنباء الغربية الكبرى التي عبرها تتسرب مصطلحات ضد ثقافتنا وهويتنا، ومن أبرز هذه الوكالات : الاسوشيتدبرس ويونيتدبرس الامريكيتين ووكالة رويترز البريطانية، ووكالة الصحافة الفرنسية...

وهكذا أصبحت وسائلنا الاعلامية تردد هذه المصطلحات الاوروبية والامريكية التي تتبنى الرؤية الصهيونية فنعمل على ترويجها بأنفسنا، متناسين ان للإعلام ومصطلحاته بعداً محورياً في حمل قضايانا والدفاع عنها، ومع اننا ندرك واقع إعلامنا العربي الذي ظلّ وعلى مدى ستون عاماً، أي منذ احتلال فلسطين تابعاً لبعض الانظمة العربية ومصالحها مع الغرب فإنه لابد لنا أن ندقق في المصطلحات المتداولة في إعلامنا فنغربلها ونسقط منها ما يناقض مصالحنا ونضع مصطلحاتنا التي تعكس موقفنا التضامني تجاه قضايانا كافة، فنعيد صياغة الرأي العام الوطني والعربي ونسهم في مواجهة سياسة التلاعب بالعقول التي تمارس على الشعوب الغربية بشان قضايانا وهويتنا الحضارية العربية والاسلامية.

لقد بات من الضرورة وباستمرار مواصلة عملية تحديد مفاهيم المصطلحات التي يتداولها إعلامنا العربي في شأن كل القضايا التي تواجهها امتنا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وعلمياً وأمنياً من قضية التدخل والاحتلال (العراق، فلسطين، لبنان، دار فور والصومال) إلى تحديات العولمة والتنمية المستدامة والديموقراطية والحريات... الخ، حتى يكون لشعوبنا خطابها القومي والاسلامي، ما يمنع التلاعب بعقولها لإخضاعها لسياسات التقسيم والفرز الاثني والطائفي فتكون عندها أمام أكثريات واقليات وثقافات طائفية.

اذن نحن أمام تحدي صياغة مصطلحاتنا الخاصة بقضايانا وإعادة التدقيق فيما نتداوله من مصطلحات مستوردة فنخرج من عملية الإدمان التي تعودنا عليها في نقل المصطلحات دون إعمال فكر أو إجتهاد ودون فحص أو تمحيص متبعين قاعدة أن لا حرج في ظل عصر العولمة في استخدام أي مصطلح لأي معنى بصرف النظر عن البيئة الحضارية أو الإطار الفكري او الملابسات المعرفية أو الفلسفية والعقيدية التي ولد ونشأ وشاع فيها.

إن استخدام مصطلحات عربية خاصة تلعب دوراً بارزاً في صناعة الأوطان لجهة البنية الجماهيرية والرأي العام والدعاية لذلك ينبغي تحديد مصطلحات ما هو الرأي العام، ما هو الاعلام، وما هي الدعاية، وما هي البروبوغندا وغسل الدماغ، هل المواطن العربي هو إنسان أم حقل تجارب، هل له حق المواطنية في وطنه أم هو من رعايا هذه الأوطان؟... ويبقى السؤال هل استطاعت المصطلحات الاعلامية خلق الحس الاجتماعي المشترك والولاء الوطني اللازم؟... وهل استطاعت تأدية الوظائف المطلوبة منها؟...

إن أسباب تناقض المصطلحات الاعلامية داخل الوطن العربي تعود الى:

- دعوى بعض الجماعات وجود تعدد ثقافي وحضاري.
- العلاقة بين عناصر الثقافة الوطنية وعناصر الثقافة الاجنبية.
- تقسيم البيئة الثقافية الذي ادى بدوره إلى تقسيم البيئة الاجتماعية ومنها الإعلام.
- مخاطبة بعض الشعوب العربية على أنها طوائف أو أعراق... واستخدام لغة ثقافية حيال كل طائفة.

ويعود هذا التناقض الى:

- عدم اعتماد برامج تنمية واضحة.
- غياب التخطيط او غياب التنمية الشاملة.
- عدم الوضوح في الأهداف الاجتماعية والاحتياجات.

- خضوع وسائل الإعلام للنافذين وتوجيهها وفق المصالح الخاصة والأهواء.

إن الدعوة إلى إعادة النظر في المفاهيم والمصطلحات المستخدمة في الإعلام ضرورة لأسباب ثلاثة :

- تحقيق الانضباط والخروج من حالة فوضى المفاهيم المتسللة إلى إعلامنا بما يخالف رؤيتنا وروايتنا العربية لقضايانا.
- لتأكيد الهوية والاختصاص والتمايز لمنظومة مفاهيم عربية الطابع والمصدر والوسائل والغايات.
- العمل على التعامل مع المتلقي العربي بوحدات من المفاهيم قادرة على أن تمس حقيقة تكوينه الحضاري حيث تستطيع هذه المفاهيم أن تفجر الطاقة الحضارية الكامنة إلى أقصى مدى من الفاعلية.

إذا كنا حرصنا على تأكيد ضرورة صياغة مصطلحات إعلامنا العربي في إطار مفاهيمنا فهذا لا يعني ان هذه العملية لم تكن قائمة من قبل كبار أعلامنا العرب ومؤسساتنا الوطنية والقومية المعنية، فهناك جهود جبارة ومشكورة بذلت في هذا الاطار وتم بالفعل تصويب المئات من المصطلحات المشوهه والمزيفة التي تسللت إلى عقول شعوبنا عبر وسائل الإعلام، لكن هذه العملية بحاجة إلى متابعة دائمة لمواجهة السيل المتدفق من المصطلحات المزيفة فنحن أمام صراع طويل ومرير وعلى مدى الاجيال.

لابد لنا في هذا الإطار من التأكيد على جملةً من المصطلحات كما نراها وكما تبناها العديد من كبار المفكرين والإعلاميين العرب وإزاء كل القضايا والتحديات المطروحة علينا والمتداولة عبر وسائلنا الاعلامية على اختلافها.

مصطلحات متداولة في الاعلام العربي وتاثيرها على القضايا العربية

مصطلحات القضية الفلسطينية

في القضية الفلسطينية لابد أن نقف وقفة طويلة عند " أسرلـة " المصـطلحات الاعلاميـة السياسـية والعسـكرية والاجتماعيـة وهـي عمليـة لا تتوقـف عـن الزيـادة والحـذف والتغيـير والتبديل منذ نشأة اسرائيل في العام 1948 وما قبل وما بعد اتفاق اوسلو.

لقد كانت إسرائيل ولا تزال تنشئ قاموس مصطلحاتها على عكسـنا تماما، مـا يـوفر لهـا فرص قلـب الحقـائق رأسـاً عـلى عقـب وتزييـف التـاريخ والجغرافيـا وفـرض روايتهـا التوراتيـة الصهيونية؛ وهي تولي المصطلحات أهمية كـبرى لخدمـة روايتهـا وتسـويقها لـدى الـرأي العـام العالمي، مرحلة بعد مرحلة كما وتسوقها لدى الرأي العام العربي وحتى الفلسطيني.

إنّ هـذه " الأسرلـة" لكـل مـا يتعلـق بـالحرب والسـلام والتـاريخ والجغرافيـا والثقافـة والاقتصاد والأمن انتشرت بطريقة او أخرى، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

" القدس المحتلة " مقابل "القدس العربية".

" عـرب اسرائيـل" مقابـل "عـرب الــ 48 " حتـى إنّـا لا نقـول أنهـم جـزء مـن الشـعب الفلسطيني.

"حامل الملـف" : رغـم الاتفاقـات الموقعـة بـين السـلطة الفلسـطينية واسرائيـل (اوسـلو 1994) فـإن إسرائيـل تـرفض مصـطلح " الـوزير الفلسـطيني" و "الـوزارة الفلسـطينية" وهـي تستخدم مصطلح "ملف الاقتصاد بدلاً من وزارة الاقتصـاد"... وهكـذا بالنسـبة لجميـع الـوزراء الفلسطينيين. وحتى السـلطة الوطنيـة الفلسـطينية هـي في الإعـلام الاسرائـيلي مجـرد " سـلطة فلسطينية" دون " الوطنية " أي دون " وطـن" ودون " دولـة " هـي في المحصـلة إطـارا" لحكـم ذاتي" أو " سلطة ادارية".

ووفق الرواية الاسرائيليـة فـانّ رئـيس السـلطة الفلسـطينية هـو " Chairman " ولـيس " president" رغم انه الرئيس الشرعي المنتخب للشعب الفلسطيني على ترابه الوطني.

ومن المصطلحات التي طالها التشويه والتحريف:

مصطلح "حبرون" بدلاً من الخليل، و"شمرون" بدلاً من نابلس، ومطار بن غوريون بدلاً من مطار اللد، وبحيرة "غيرن" بدلاً من بحيرة "طبريا" وميناء إيلات بدلاً من ميناء العقبة، " جبل الهيكل" وهو الحرم القدسي الشريف أي قبة الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى المبارك وجامع عمر وكل المنشآت العربية التاريخية المجاورة.

"تهويد القدس": هو عملية نزع الطابع الاسلامي والمسيحي عن القدس وفرض الطابع اليهودي عليها وهو جزءُ من عملية تهويد فلسطين ككل، ابتداءاً من تغيير اسمها الى "ارتس اسرائيل" ومروراً بتزييف تاريخها وتغيير طابعها السكاني والمعماري والاستيلاء على أراضيها وتوطين صهاينة بدلاً من سكانها العرب وجعلها عاصمة ابدية لاسرائيل وتهويد التعليم العربي وإخضاعه للبرامج اليهودية، إلى تهويد القوانين واستبدال أسماء الشوارع والطرق والساحات باسماء صهيونية وفرضت إسرائيل على القدس مصطلح " أورشليم" أو " يروشالايم" بعد ضم القسم الشرقي منها إلى الغربي وباتت عاصمة لها " موحدة والى الابد" وفي المقابل لم نستطع بعد في قاموسنا العربي والفلسطيني أن نعمم مصطلحات " القدس الشريف" أو " القدس" عاصمة فلسطين.

مصطلح " يهودا" و"السامرة " و " أرض اسرائيل الكاملة " مقابل مصطلح الضفة الغربية وغزة وأرض فلسطين التاريخية وحتى إن الضفة الغربية هي ضفة لنهر الاردن من جهة الغرب في حين أن الحقيقة الجغرافية هي أنها جزءُ من الهضاب الشرقية لفلسطين. بهذا غابت فلسطين، وما بقي منها مجرد اجزاء من ضفة وقطاع. وهي خاضعة لمصطلح "المناطق المدارة" لانها مناطق متنازع عليها، لم يحدد مصيرها بعد، "مدارة" من قبل" الادارة المدنية " تسمية للحكم العسكري الاسرائيلي المباشر للأراضي الفلسطينية المحتلة.

"الخط الاخضر": حدود ما قبل 5 حزيران 1967 مقابل إسقاط معنى الحدود.

مصطلح " الفصل" و " الجدار العازل" للتعبير عن الرغبة في فصل الاحتكاك مع الفلسطينيين وحماية نفسها من " اعتداءات الفلسطينيين" والحقيقة أنه الحصار والسجن والتطويق العسكري وفرض نظام الفصل العنصري على الأراضي الفلسطينية.

" أراض متنازع عليها" وتطلقها على الاراضي المحتلة " إعطـاء أرض للفلسـطينيين ويقـوم على مغالطة حول حق الفلسطينيين في هذه الاراضي وهي إعادة الاراضي إلي اصـحابها الاصـليين لأنها ليست تنازلاً من أحد.

المستوطنة او"الاحياء اليهودية" هذا المصطلح المتداول في الإعلام العربي منـذ عـام 1966 مشتق من كلمة " الوطن" وهي كلمة مشرفة والصواب القول" المستعمرة " رغم أن معناها يأتي من الاعمار والتعمير" ان كلمة مستعمرة في اللغات الأجنبية تعني " Colony " وهي متداولة في كل الكتب.

ومن المصـطلحات التـي مـررت الى الإعـلام العـربي "الفلسـطينيون" بـدلاً مـن "الشـعب الفلسطيني"

و"الدولة العبرية" هي مصطلح غير صحيح لان اللغـة العبريـة لغـة ميتـة فضـلا عـن أن سكان اسرائيل من اليهود ليسوا من العبرانيين القدامى بل هـم إمـا يهـود عـرب أو شرقيـون او يهود اشكيناز أوروبيـون وأميركيـون وبالتـالي فـان اسرائيـل إمـا تسـمى "الدولـة الصـهيونية" او "الكيان الصهيوني" لا "دولة اسرائيل" ولا "الدولة اليهودية" كما ان ليس هناك شـعبا يهوديـا بـل يهود.

مصطلح "الصراع العربي – الاسرائيلي": تسلل هذا المصطلح إلى الإعلام العربي وهو يوحي بوجود طرفين متصارعين العـرب وإسرائيـل أي أن لكـل مـنهما حـق وأن صراعهـما يـدور حـول حدودالحق؛ والحق أن يقال "القضية الفلسطينة" وهذا المصطلح يدل على أن ثمة قضية واحـدة لصاحب حق واحد هو الشعب الفلسطيني. إن الصراع مع الآخر يعني الاعتراف بـه، لأن الصراع لا يكون مع من ليس موجوداً. ان مصطلح القضية الفلسطينية يضع إسرائيـل في موقـف مـن لا يمتلك حقاً في الوجود من الأساس وان كل القضية هي قضية شعب اغتصب وطنه.

مصطلح " الشتات": ليس هناك شتات لأبناء امة واحدة هـي الامـة اليهوديـة لأنهـا غـير موجودة اصلاً وهذا يسري أيضا على كلمة " الدياسبورا" من لغة " اليديش" والأصح أن يوصـف اليهود خارج إسرائيل بيهود فرنسا أو روسيا أو الغرب...

مصطلح "التطبيع" :بين إسرائيل والدول العربية بما يوحي في المبدأ أن وجود إسرائيل أمر طبيعي مثل وجود أية دولة عربية أخرى.

ومن المصطلحات التي عملت وتعمل اسرائيل على تمريرها إلى عقول المواطنين العرب "أجهزة الأمن الإسرائيلية" وهذا يعني أنها أجهزة طبيعية لدولة طبيعية بل هي أجهزة جاسوسية مثل " الموساد" والشاباك"

جيش الدفاع الإسرائيلي : ليس لإسرائيل جيش دفاع بل هو جيش غزو واستعمار وجيش احتلال وليس هناك وزير دفاع إسرائيلي بل " وزير الجيش الإسرائيلي" وليس " وزير حرب" لأن ذلك يسيء إلى المعنويات العربية.

مصطلح "الدفاع عن النفس" لتوحي بأنها المعتدى عليها وأن ما تقوم به هو دفاع عن النفس في حين انها تستخدم القوة والعنف والارهاب لتكريس الاحتلال

مصطلح "ضبط النفس": لتصوير نفسها أنها تكبح جماح ردها على " الاستفزاز الفلسطيني" فيما هي في حالة هجوم وعدوان وتستخدم المصطلح بعد قصفها للمنازل الفلسطينية وبعد الاغتيالات بهدف خلق التعاطف معها، وهي تعمد الى تصوير مقاومة الشعب الفلسطيني "الانتفاضة" على انها "مواجهه مسلحة" ما يوحي بان الصراع يتم بين جيشين في حين أن "جيش إسرائيل " في مواجهه مدنيين فلسطينيين بلدهم محتل.

وتوصف اعمال المقاومة التي تكفلها القوانين الدولية بأنها أعمال " عنف " و"شغب " و"إرهاب"، ويصبح المناضل آو المقاوم الفلسطيني " إرهابيا" وذلك لاخفاء حقيقتها كدولة ارهابية. وتصبح عمليات اغتيال المناضلين الفلسطيني " قتل وقائي" ودفاع سريع " أو القتل المستهدف من " Trageted kill".

وبناء على قائمة اصدرتها احدى الدوائر المختصة في الجيش الإسرائيلي مطلع تموز2001 للإعلام تحولت المصطلحات التالية :

" الاستشهاديون" إلى " انتحاريين" " والتدمير المتعمد" الى "تدمير منظم" و "خطوات أمنية" مع أنه فوضوي وتدمير للتدمير، "والانتقام والتعذيب" وتصفية المقاومين واعتقالهم إلى " تصفية مجرمين" و"أعتقال مشبوهين" او " اختطاف مخربين".

وتستخدم مصطلح "هيكل البناء" في حالات هدم المنازل والمؤسسات الفلسطينية بالجرافات والصواريخ والدبابات والمقاتلات الحربية وكأن هذه الاماكن خالية من السكان.

ويصبح مصطلح "الحصار" و "الجدار" وسيلة لابتزاز عواطف الغرب وكأن اسرائيل هي المستهدفة والمحاصرة من قبل الأمة العربية ومن عمليات الفلسطينيين لايجاد مبرارات للحصار الخانق على الفلسطينيين الذي تفرضه وبالقوة العسكرية.

هناك الكثير والكثير من المصطلحات المتداولة في إطار القضية الفلسطينية ويتوجب باستمرار ملاحقة المصطلحات المزورة وتوضيحها ووضع البديل لها حتى نحمي هويتنا ورأينا العام.

ومن هذه المصطلحات " ترانسفير" وهو افراغ فلسطين من سكانها بالعنف المسلح ونشر الذعر والارهاب بين الفلسطينيين وال transfer هو وجه آخر لنقل الجماعات اليهودية من بلادهم إلى فلسطين المحتلة.

ودائما كانت اسرائيل تصور العلاقة بين اليهود وأرض فلسطين بوصفها علاقة مطلقة مستمدة من وعد اللــه لشعبه المختار بــ "أرض الميعاد" وكانت تطلق على اليهود خارج فلسطين بـ " النازحين" وبعد قيامها باغتصاب فلسطين اطلقت مصطلح "قانون العودة" عام 1950 الذي يمنح أي يهودي في العالم حق الهجرة إلى فلسطين ويصبح مواطنا فيها فور وصوله.

في المقابل هناك مصطلح " حق العودة الفلسطيني " ويعني عودة الفلسطينيين ونزع الصفة الصهيونية عن الدولة الصهيونية الاستيطانية وهو حق اساسي من حقوق الانسان والميثاق العالمي ينص عليه وهو مرتبط ايضا بحق تقرير المصير.

وفي اطار القضية الفلسطينية برزت مصطلحات عديدة منها:

"التحدي الحضاري الاسرائيلي" دخل هذا المصطلح الخطاب السياسي العربي ومفاده أنّ المجتمع الصهيوني يمثل كياناً حضاريا مستقلاً متفوقا على الكيان الحضاري العربي وأنّ هزيمة العرب العسكرية هي نتيجة تخلفهم الحضاري.

"السلام الشامل الدائم" مقابل "السلام الجزئي" الـذي هـو سـلام غـير دائـم وغـير شـامل مبني على الظلم ولا يحقق العدل من خلال اعادة صياغة بناء العلاقات وانما مجرد ترجمة لموازين القوى القائمة على ارض المعركة.

" الاعتـدال والتطـرف": الاعتـدال السـياسي يعنـي المهادنـة وتقـديم التنـازلات في سـبيل تحقيق قدر من العدل والسلام. و"التطرف" في المصطلح السياسي هو ان يتمسك المـرء بموقفـة وبالحد الاقصى ومن المنظور الاسرائيلي فان تنازل العرب عن فلسطين والقبول بحدود 67 يمكـن اعتباره اعتدالا والتمسك بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني بكل فلسطين يعتبر تطرفاً.

" معاداه السامية " ترجمة تابعة للمصطلح الانجليـزي anti – semitism ويضرب هـذا المصطلح بجذوره في الفكر العنصري الغربي الذي كان يرمـي إلى التمييـز الحـاد بـين الحضـارات والاعراف وبات يستخدم لاحقاً من قبل إسرائيل وحلفائها اداة للعقاب السياسي.

مصطلح "التفاوض" : يستخدمه الفكـر الغـربي بـديلاً للمقاومـة المسـلحة التـي يسـميها إرهابا ويضع شرطاً للقبول به وهو الامتناع عن المقاومة المسلحة أي ما يسـميه بـأعمال العنـف فيكون المفاوض المعتدى عليه اعزلاً من القوة وبالتالي عليه الاذعان والاستسلام والقبول بكل مـا يعرض عليه.

مصطلح "ازدواجية المعايير": او الكيل بمكيالين وهو مصطلح يستخدم في الاعـلام العـربي ومن قبل الدول العربية للاشارة الى السياسة الغربيـة عامـة والامريكيـة خاصـة في تعاملهـا مـع قضايا المنطقة وليس أدل على ازدواجية المعايير التي تمارسـها السياسـات الغربيـة التغـاضي عـن 150 رأساً نووياً في اسرائيل وممارسة العقوبات الاقتصادية على ايـران بذريعـة منعهـا مـن بنـاء برنامج نووي عسكري في وقت تؤكد طهران على سلمية هذا البرنامج.

وقد خيضت حرب تدميرية للانسان والعمـران في العـراق بحجـة امتلاكـه أسـلحة دمـار شامل وهي حجة ثبت بطلانها لاحقاً باعتراف واشنطن نفسها. في حين أن إسرائيل تحظى بغطاء دولي كامل بسلاحها النووي بذريعة منها.

ولن نتوغل في تقديم المزيد من الأدلة على صـعيد سياسـة الكيـل بمكيـالين المتبعـة مـن الغرب اتجاه القضية الفلسطينية والقضايا العربية الاخرى وهـي سياسة عدائيـة اتجـاه الشـعب الفلسطيني والشعوب العربية في حين هي تبريرية وحاجة للسياسة الاسرائيليـة العدوانيـة ضـد الفلسطينيين والعرب.

مصطلحات

"**الاسلام السياسي**": عبارة عن مصطلح سياسي اعلامي استخدم لتوصيف حركـات تغيـير سياسة تؤمن بالاسلام باعتباره منهج حياة واستخدم بكثافة عقب احـداث 11 أيلـول واسـتخدم بكثرة في الحملة الدعائية لما سميت الحرب عـلى الارهـاب. المسـلمون يعتـبرون اسـتخدام هـذا المصطلح إنه ناجم عن عدم فهم وتعمق كافي في فلسـفة الاسـلام حيـث يعتـبر الاسـلام تاريخيـاً الدين الوحيد الذي كوّن مؤسسات اجتماعية وخدماتية وسياسية في عهد انطلاقته الاولى عكـس الديانات الاخرى.

اما الاسلام في المفهوم الغربي فيعرف كمجموعة من الافكار والاهداف السياسية النابعة مـن الشريعة الاسلامية تستخدمها كمجموعة يطلق عليها الاعلام الغربي " **المسلمون المتطرفـون**" الـذين يؤمنون بان الاسلام نظام سياسي واجتماعي وقانوني واقتصادي وفي رأي المحللين السياسيين فان نمـو " الاسلام السياسي" يعود الى عوامل عديدة منها فشل حركات القوميين العـرب والتيـار الشـيوعي في تحقيق اي تقدم ملموس في الواقع الاقتصادي المتروي ويعزو علماء الاجتماع الغربيين زيادة الالتـزام الـديني عنـد الشـعوب الى الاحبـاط الاقتصـادي والهـزائم العربيـة في مواجهـة اسرائيـل. والى قيـام الجمهورية الاسلامية في ايـران، والتـدخل السـوفياتي في افغانسـتان، صـعود محمـد ضـياء الحـق الى السـلطة في باكسـتان، حـرب الخلـيج الثانيـة والمنافسـة السـعودية الايرانيـة ولجـوء الريـاض إلى

الدعم المالي للمدارس الاسلامية والمجاميع الاسلامية في افغانستان والباكستان والبوسنة والهرسك، مقابل التمدد الايراني في العديد من دول العالم.

وبعد 11 أيلول 2001 حاولت ادارة الرئيس الاميركي جورد بوش اطلاق الحرب على الارهاب للحد من انتشار الاسلام السياسي حتى في دول كانت تتبع سابقاً منهجا علمانيا مثل العراق.

ان عملية تعريف الاسلام السياسي وما يتعلق به من مصطلحات من " الاصولية " و" الصحوه الاسلامية" و " التطرف الاسلامي" و " والارهاب الاسلامي" او "الاسلاموفوبيا" تنطوي على اشكال مفهومي يعزى للتشابك والتداخل بين هذه المفاهيم والاختلاف بين الباحثين والاكاديميين في مقاربتها رغم الخطوط العريضة التى تجمع ما بين التعريفات.

تعريف الاصولية: الاصولية في الاسلام تعني التمسك باصول الدين والاصوليون هم المختصون بعلم اصول الفقة او اصول الدين. فالاصولية مصطلح ايجابي لكنه استخدم في سياق خاطئ من قبل الغرب. وقد وقع الاعلام الغربي في فخ هذه التسمية بين الاصول الاسلامية وحركات " التطرف".

ان الاصول الاسلامية هي " لا اكراه في الدين" " ولكم دينكم ولي دين" " لكلّ جعلنا شرعه ومنهاجاً" و " فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" " أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين"،" قل الحق من ربكم، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر"و " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تتراحموا وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين "، " ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة"، وجادلهم بالتي هي احسن". وغيرها الكثير من الايات التي ترسي قواعد سلوك الاختلاف مع الاخر.

اذن، المصطلح ليس رابطاً للتطرف والايذاء والاعتداء على ارواح واموال الابرياء هذه الاصولية ليست موجوده في اجندات الحركات الاسلامية المعاصرة التي تسعى لتغيير السلطة.

اصطلاح "التطرف" اقرب لمفهوم الارهاب والعنف من مصطلح "الاصولية" فالتطرف سياسياً يعني الدعوة الى تغيير جذري في النظام الاقتصادي والسياسي والاجتماعي. وفي

رأي ريتشارد باوتشر الناطق باسم وزارة الخارجية الامريكية، ان لدى الولايات المتحدة " اعتقاد بان المتطرفين هم جماعات مثل حماس وحزب الله او أية جماعات أخرى تحاول ان ترفض عملية السلام وتحاول اعاقتها عن طريق العنف.

"الارهاب الاسلامي" هو "استخدام تكتيكات ارهابية لتنفيذ البرامج المتطرفة" على حد تعبير تيم ويرت مستشار وزارة الخارجية الاميركية لشؤون الشرق الاوسط وشمال افريقيا.

صدام الحضارات

ان اطلاق الغرب صفة الاصولية الاسلامية على حركات التطرف اساء الى الاصول الاسلامية ووصم الاسلام بما ليس به وقد درجنا في اعلامنا على ترديد هذا المصطلح بايحاءاته السلبية ما يخدم الهدف الغربي بتجريد الاسلام من سلامته وتكريمه للانسان بالمطلق. وبترسيخ هذا المصطلح في الاستخدامات الثقافية والسياسية وضع الاسلام في جهة والحضارة الانسانية في جهة مقابلة، ونسب الى الاسلام في اصول تعاليمه كراهية كل ما هو خارج عقيدته وكل ما هو خارج دائره الايمان من هنا كان الانطلاق نحو عبارة "صراع الحضارات" بين الاسلام والغرب التي وقعنا في فخها أيضاً فكأن المواجهة هي بين دين وأقليم أوروبا الغربية وسياسته وحضارته وكأن المسيحية، وكأن لا مسيحية أخرى، وكأن المسيحية الأخرى تابعة للغرب وتقف اتجاه المسلمين موقف الغرب (المطران جورج خضر).

بالنسبة لمفكري الغرب فان الصراع ظاهره طبيعية في حياة الانسان ومن حياة المؤسسات جميعا بدءاً من الاسره والى مستوى الانسانية دوراً بالقبيله والدولية والامة فان قانون الصراع هو ما يحكم المؤسسات جميعاً.

هكذا نرى ان الغربيين هم الذين يروجون لنظرية صدام الحضارات لاهداف سياسية واقتصادية دون مبالاه بسفك دماء الابرياء وذلك من الحروب الصليبية الى الحروب العظمى الاولى والثانية وفي رأي صموئيل هانتغتون، الحضارة هي كيانات ثقافية

وسوف يكون لها اهمية زائدة باطراد في النزاعات الراهنة والمقبله، وتاريخ الصراع الفكري بين الغرب والاسلام وخصوصا في العصر الحديث يوضح ان الغرب قدم عدة مصطلحات ولدت من بيئته وتحمل مفاهيمه الى المسلمين لتسقط على بعض جوانب حياتهم مثل "الاصولية" و"الرجعية" والغاية منها فرض الهيمنة وترسيخ الاستعمار وفتح ابواب الغزو الفكري ومحاربة الافكار المقابلة.

حوار الحضارات والحرب على الارهاب

في المقابل ترتكز دعوة "حوار الحضارات" على كونها البديل الموضوعي والايجابي لطرح "صدام الحضارات" وهي رد فعل متوازن وفاعل في آن واحد وقد تبنتها دوائره الكبيرة عبر العالم خاصة في العالم الاسلامي كما تبنتها أصوات عاقلة في الغرب.

وكانت ولا تزال موضوعات هذه الدعوة ازالة سوء الفهم المتبادل من خلال معرفة اكثر عمقا وشمولاً بالآخر والتخلص من الصور النمطية السلبية التي تروج لها احيانا بعض وسائل الاعلام وبعض المنظمات السياسية والمدنية عن الاخر باعتباره الخطر والتهديد، وكذلك توظيف وسائل الاعلام ومناهج التعليم وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات الحديثة لتحقيق رواية واقعيه ومحايده لفكر وعادات وسلوك وممارسات الآخر.

ان الدعوة لحوار الحضارات تعكس رغبة متبادلة في التعايش والتفاهم والتعاون لمواجهة ازمات العالم التي هي اكبر من ان تدعي حضارة واحده انها تملك المفتاح السحري لحلها. ويمكن تلخيص اهداف حوار الحضارات بالسعي لايجاد بيئة دولية سليمة ومستقرة تقوم على اساس الاحترام المتبادل والمساواة فيما بين الثقافات والحضارات المختلفة والاعتراف بوجود اختلافات وتباينات فيما بين الحضارات المختلفة. لكن مع الاتفاق على حد ادنى مشترك من القيم والسلوكيات التي تشترك فيها مختلف الحضارات والثقافات. "د.وليد عبد الناصر".

الحوار بين الأديان والشعوب

ومن الحوار بين الحضارات نعرج الى الحوار بين الاديان او بين الشعوب الذي كان ولا يزال قائماً، باعتبار انه يجسد حقيقة الفطرة الانسانية التي فطرها اللـه تعالى على التفاعل والتلاقي، وعليه فالحوار حالة انسانية وهو جوهر كل تحول انساني في الحياة ولا شك في ان الاديان عمقت هذه الحالة الحوارية وشجعت عليها انسجاما مع الدافع الفطري الذي يحرك الانسانية باتجاهات شتى.

وقد أشار القرآن الكريم في أكثر من آية الى مسألة لقاء الفكر بالفكر والدين بالدين(على اساس ان الدين واحد والشرائع مختلفة) في فقاط الوفاق وادارة المسألة الحوارية في نقاط الخلاف وفق منطق الانفتاح على الآخر والاتفاق على كلمة سواء.

"قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا اللـه ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون اللـه، فان تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون"

فالقضية المطروحة هي اللقاء على كلمة السواء في العنوان العام للمبدأ من دون الدخول في التفاصيل التي قد تكون مثاراً للخلاف، وهي توحيد اللـه في العبادة ورفض الشرك باللـه وتوحيد الانسان في علاقته بالانسان من دون استعلاء على طريقة استعلاء الرب على عباده.

وهكذا نجد ايضاً في الآية الكريمة الاخرى عمق المحبة في روحية اللقاء في قوله تعالى (... لتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون).

فاننا نلاحظ انه اعتبر الاساس في أقربية المودة الروحية التي يملكها القسيسون والرهبان اللتواضع المرتكز على أخلاقية المحبة في النصرانية بحيث ينطلقون من خلالها للانفتاح على الاخر في دعوته ورسالته.

هذا الجانب الفكري، اما في الجانب السياسي فان المواجهة المحتدمة في الشرق الاوسط ترتكز على الخطاب الديني والعقائدي والقومي فإذا كان اليهود ينطلقون في مشروعهم العقائدي والسياسي وخطابهم الايدولوجي من أصولية توراتية وتلحودية

وقومية، وهم في موقع الهجوم والتمدد فان المسلمين والمسيحيين تحديداً أمام ضرورة الدفاع والرد بخطاب عقائدي وثقافي وحضاري مضاد ومتكامل.

مما يستدعي وبروح المسؤولية والمصلحة المشتركة، المبادرة الى تصليب مقاومتهم للزحف المقبل وتمتين علاقات الاقتراب والتعاون والتعامل في ما بينهم ما استطاعوا الى ذلك سبيلا باعتبارهم معرضين للمخاطر عينها في وجودهم ومصيرهم وهويتهم الحضارية وعقائدهم. وعليه لابد من فك الارتباط في ثقافتنا العامة بين الصراع الاسلامي الغربي والعلاقات المسيحية الاسلامية. فالمسيحية العربية ليست خندقا أماميا للمعسكر الغربي وكذلك المسيحيون العرب ليسوا طابوراً خامساً للاستعمار، فضلا عن ان المسيحية ليست عقيده مستورده من الغرب انها كالاسلام واليهودية من تجليات السماء على هذه الارض.

والسؤال المطروح هنا هل يختلف منطق السيد المسيح (ع) عن منطق النبي محمد (صلى اللـه عليه وسلم) في رفض الاستكبار والظلم جملة وتفصيلاً. ان إثارة هذه القضية مؤشر ايجابي من أجل التخطيط للتوحد والتكامل والتنسيق في قضايا الظلم والعدل في المنطقة والعالم بين المسيحية والاسلام الامر الذي يوثق ابعاد وروح هذه العلاقة ما بين ديانتين يحكمهما مبدأ التعايش. ذاك التعايش الذي دعا إليه وناضل من أجله ومنذ سنوات ليست ببعيده قيادات دينية ووطنية لوطن خال من العاهات الطائفية يبنى على أسس الكفاية والدعامة الوطنية. فكانت رسالتهم بحق هي الانسان حيث حددوا ميثاق العيش المشترك والتلاقي الحميم بين الاديان حين حدّدت هوية العدو المشترك للانسان وللمواطن اللبناني مسيحيا كان ام مسلما، " الا يكفي الوطن القبله عذاب وهوانا.. المطلوب أيها العقل المحب أن تضع خطة عمل لتنفيذ الحلول حتى يكون لبنان هو المنتصر لا المسلمون ولا المسيحيون لا الافراد ولا الاحزاب لا اليمن ولا اليسار بل الشعب وحده".

ومن "صدام الحضارات" الى "الحرب على الارهاب" وتسمى ايضا "الحرب العالمية على الارهاب" ويطلق البعض على هذا المصطلح تسمية "الحرب الطويلة" وهي عبارة عن حملة

عسكرية واقتصادية واعلامية مثيرة للجدل تقودها الولايات المتحدة الامريكية بمشاركة بعض الدول المتحالفة معها وتهدف هذه الحملة حسب تصريحات الرئيس الامريكي جورج بوش الابن الى القضاء على الارهاب والدول التي تدعم الارهاب.

بدأت هذه الحرب عقب احداث 11 أيلول 2001 التي كان لتنظيم القاعدة دور فيها واصبحت هذه الحملة محوراً مركزيا في سياسة الرئيس جورج بوش على الصعيدين الداخلي والعالمي، وشكلت هذه الحرب انعطافة وصفها العديد بالخطيرة وغير مألوفة في التاريخ كونها حربا غير واضحة المعالم وتختلف عن الحروب التقليدية لأنها متعددة الاهداف والابعاد.

هي حقبة تاريخية غير مسبوقة أتت على كل ما راكمته البشرية في العقود الاخيره من أعراف وقوانين وشرعيات توسم بالدولية، حرب لم تضع اوزارها بعد بالمعنى الامني في العراق وافغانستان وهي اكثر اتساعا من معناها التقليدي بحيث لم تترك بقعه على الكرة الارضية لم تطالها، توازيها وتخدمها حرب سياسية ودبلوماسية وثقافية ودعائية اي لها كل ما يجعلها حربا شاملة وغير مسبوقة في التاريخ الانساني.

قبل "الحرب على الارهاب " كان تعريف الحرب هو صراع مسلح بين القوات المسلحة لدولتين ضمن حدود واضحة المعالم مثل حرب عالمية اولى او حرب عالمية ثانية او حرب الخليج الاولى بين العراق وايران ولكن هذه الحرب غيرت كليا المفاهيم القديمة في تعريف الحروب. لا يوجد في هذا النوع من الحروب بقعة جغرافية معينه يمكن ان تعتبر جبهة القتال الرئيسية واذا تم تحديد حدود الصراع فان الخلاف يقوم حول تسمية الحرب كما حصل في الحملة الاميركية على العراق، فبينما يطلق البعض تسمية غزو العراق 2003 على هذه الحملة يطلق عليها البعض الاخر تسمية " عملية تحرير العراق" وحتى ان المتفقين على تسمية الحرب يختلفون على تسميات اخرى على علاقة بهذه الحرب مثل طريقة شن الحرب، فعلى سبيل المثال الرئيس جورج بوش يؤمن بمبدأ الهجوم مع سبق الاصرار لغرض الدفاع في حين تؤمن روسيا بالتدخل اذا كانت هناك ضربات مباشرة على مصالحها والى جانب ذلك هناك خلافات على تسمية المقاومة وقواها

وعملياتها هـل هـي " مشروعـة " او " غـير مشروعـة" هـل حركـات المقاومـة " جهاديـة " او " تخريبيـة " ام " ارهابيـة "، هـل العمليـات ضـد المحتـل " اعـمال عنـف" أم "اعتـداءات" ام " مقاومة"؟

في ضوء ذلك يعتقد البعض ان هناك خلطا بين مفهـومي "المقاومـة" و"الارهـاب" ولابـد من تعريف يمنع الخلط فالمقاومة مبررة للمقهورين والمحتلة بلادهم دفاعـاً عـن الـنفس وذوداً عن الوطن لدواع تحرريـة. ان هـذا الخلـط مقصـود ولهـذا لم تلـق الـدعوات لوضـع تعريفـات محددة للارهاب والمقاومة اذ انا صاغية منذ ايام الرئيس الاميركي الراحل رونالـد ريغـان وبـدت الاهداف جلية من هذا الخلط بعد احداث 11 ايلول فغاب المنطق واختلط الحابل بالنابل على حساب الاعراف والمواثيق والقوانين الدولية. فأصبح الاحتلال دفاعاً عن النفس وغدت المقاومـة فعلا معاديا للسلام وبات الغزو في العـراق عمليـة خيريـة يضـحي فيهـا الغـازي مـن اجـل نشر الديموقراطية واصبح جزار صبرا وشاتيلا ارييل شارون رجل سلام..

رغم هذا الخلط المقصود فان " للارهـاب" معـان عديـدة تعتمـد عـلى الانـتماء الثقـافي والدين وهي مقبولة من العقيدة الاسلامية التي تشير الى تخويف اعداء اللـه استناداً الى الـنص القرآني " واعدو لهم ما استطعتم من قوة ورباط الخيل ترهبون به عدو اللـه وعـدوكم" وهـذا التعريف للارهاب يقابل التعريف الغربي الذي يحدده أي عمل يسـتخدم العنـف والقـوة ضـد المدنيين ويهدف الى اضعاف الروح المعنوية للعدو عن طريق ارهـاب المـدنيين بشـتى الوسـائل. ولابد في هذا السياق من الاشارة الى نوعين من الارهاب:

- ارهاب الافراد الذين يرتكبون العمل الارهابي مباشرة ويقتضي معاقبة هؤلاء الاشـخاص وفقاً للقانون الدولي العام وبصرف النظر عن قوانيين بلادهم.

- ارهاب الدولة وذلك عنـدما تخـالف الدولـة المبـادئ الاساسـية والاحكـام المسـتقرة في القوانين الدولية بما في ذلك احكام حقوق الانسان والقانون الانساني الدولي. وقد طالب القـانون الدولية بإدانة ارهاب الافراد او ارهاب الدولـة معـاً لانهـما يتكـاملان في بعـض الاحيـان بحيـث يصبح العمل الارهابي نتيجة سياسة حكومية ينفذها الافراد.

مصطلح المقاومة

وفي مقابل تعريف " الارهاب" يمكننا ان نعرف المقاومة ضد الاحتلال بانها نضال عسكري من قبل مجموعات منظمة لا تدخل في عداد القوات المسلحة النظامية التابعة للاطراف المتناحرة تقوم بعمليات عسكرية بهدف الحاق الضرر بالمحتل وتحرير الوطن.

وقد اعتبرت الجمعية العامة للامم المتحدة عام 1960 ان لشعوب المستعمرات حقا لاخلاف عليه في النضال بمختلف الاساليب المتوفرة لديها ضد الدول الاستعمارية التي تقمع تطلعاتها الى الحرية والاستقلال".

وفي ضوء ما تقدم لابد من التوقف عند المشاريع والاهداف الكامنة وراء الحرب على الارهاب.

المشاريع والأهداف

استناداً الى منشورات معهد الدراسات الاستراتيجية وهو معهد بريطاني تأسس عام 1958 فان الأهداف الرئيسية للحرب على الارهاب يمكن تلخيصها بالنقاط التالية :

- قطع الملاذ الآمن للإرهابيين للحيلولة دون إنشاء معسكرات تدريب او رص صفوف أعضاء ما يسمى بالمجموعات الإرهابية.
- قطع تدفق الدعم المالي لما يسمى بالمنظمات الإرهابية.
- إلقاء القبض على المشتبه بإنتمائهم إلى ما يعتبر مجاميع إرهابية.
- الحصول على المعلومات بطرق مختلفة مثل الاستجواب والتنصت والمراقبة والتفتيش.
- تحسين مستوى أداء أجهزة المخابرات الخارجية والأمن الداخلي.
- تقليل أو قطع الدعم من المواطنين المتعاطفين لما يسمى بالمجموعات الإرهابية عن طريق تحسين المستوى المعيشي وتوفير فرص العلم.
- الاستعمال الكثيف لأجهزة التنصت لكي يكون اعتماد ما يسمى بالمجاميع الإرهابية على الوسائل البدائية البطيئة في التواصل ونقل المعلومات.

- إقامة علاقات دبلوماسية متينة مع حكومات الدولة التي تشكل جبهة للحرب ضد الإرهاب.

- وهذه النقاط المذكورة من قبل المعهد تظهر بوضوح مدى تشعب هذا النوع من الصراع حيث أن هناك جهوداً عسكرية واقتصادية واستخباراتية وامنية ودبلوماسية حكومية ودبلوماسية شعبية يجب التنسيق بينها.

مصطلح "محور الشر"

في عام 2003 وبعد اشهر على أحداث 11 أيلول أخرج الرئيس جورج بوش من جعبته مصطلح "محور الشر" والذي يضم العراق وايران وكوريا الشمالية بوصفها وطبقا لمزاعم بوش دولاً راعية للارهاب وساعية لامتلاك اسلحة الدمار الشامل. في اذار 2003 اخرج الاميركيون العراق من محور الشر بغزو هذا البلد تحت ذريعة نشر الديموقراطية والبحث عن اسلحة الدمار الشامل لكنهم غرقوا في مستنقعات العراق وخاب املهم مع تصاعد المقاومة واعتراف بوش نفسه بسقوط ذريعة اسلحة الدمار التي لم يعثر عليها. ومع فشل الغزو الاميركي. ادركت كوريا الشمالية وايران استحالة قيام واشنطن بمغامرة جديدة فعمدتا الى مواصلة البرامج النووية بهدف تأمين "الردع" ضد واشنطن.

ومن المصطلحات المتداولة في الاعلام مع هذه الهجمة الاميركية مصطلح **"الامركة"** : وهو مؤشر على ان الاستراتيجية الاميركية اعتمدت خيار الحروب الوقائية المتنقلة خصوصاً بعد الحادي عشر من ايلول 2001 بينما سياسة "الاحتواء والردع" او "الردّ الشامل"، اصبحت من الماضي.

فالادارة الاميركية برئاسة جورج دبليو بوش حدّدت اعداءها المعروفين، والمحتملين، وقررت منعهم مسبقاً من تحديها او مفاجأتها.

والسؤال هل كانت واشنطن تنتظر ذريعة بحجم ما حدث في 11 ايلول 2001 لتأخذ قرارها بإعتماد الحرب الهجومية، ومن اجل وضع اليد على العالم وثرواته؟

واستطراداً هل كانت " **الامركة** " خياراً معداً سلفاً، منذ سقوط القطب الثاني لقطع الطريق على من يفكرون بالحلول محل الاتحاد السوفياتي وتقديم انفسهم بديلا مختلفاً عنه؟

مما لا شك فيه ان هذه الاسئلة وسواها اثارها الإعصار الأيلولي الذي ضرب واشنطن ونيويورك وزادها الحاحاً الهجوم على افغانستان فقبل ان تنتهي حرب افغانستان، كانت دعوة القيادات السياسية والعسكرية في واشنطن الى القيادات الميدانية، من اوكيناوا في اليابان الى غوانتانامو في "كوبا" ومن الخليج الى المحيط.

كانت الدعوة واضحة لا لبس فيها ولا ابهام: ابقوا على اسلحتكم وانتظروا اوامر جديدة للإستمرار في الحرب او استئنافها.

انها استطالة الحروب الامريكية.. او بصيغة مختصرة انها " الأمركة" التي تضع في حسابها ان قوس الأزمات قد اتسّع وانه موزّع على المربعات النفطية، فواشنطن لا تخفي اطماعها بهذه المادة الإستراتيجية ولا تنفي نواياها بأنّ لكل حرب دائرتها وهذا النوع من الحروب لن ينتهي، الاّ عندما تنفتح الدوائر أو المربعات بعضها على البعض الآخر.

فالنفط العربي يبقى خارج الهيمنة من دون العراق ولابدّ ان يتكامل مع نفط قزوين، والنفط النيجيري تحت السيطرة والنفط الفنزويلي محاصر حتى قبل سقوط الرئيس المعادي تشافيز، والنفط الإيراني حسابه مؤجل حتى تستنفذ سياسة الإحتواء.

وهكذا تضع اميركا يدها على نفط العالم كله بدون منافس، فيصبح مادة اميركية تستحق ان تخاض من اجلها حرب عالمية ثالثة لإدخال العالم كله تحت السيطرة الأميركية.

ان الامم المتحدة وشرعيتها ليست أقصر الطرق للوصول الى الهدف الأميركي فلا بدّ من تطويعها واقناعها بأن الجيوش الأميركية هي الذراع العسكرية للمؤسسة الدولية والامر الواقع يفرض نفسه، فأوروبا ومستعمراتها دخلت الى بيت الطاعة الأميركية بعد الحرب العالمية الثانية وان التدخل الأميركي في يوغسلافيا وافغانستان وغيرها وكذلك انتشار الأساطيل في المحيطات بأرقام متسلسلة حوّلها الى مياه اقليمية اميركية.

صحيح ان هـذا الشـبح الأمـيركي يمسـك بخنـاق العـالم، لكـن اصـوات الاعـتراض عليـه والمعارضة له ارتفعت بكل لغات العالم.

والخطر الذي يحيق بالعالم جراء هذه الهيمنة يحول " **الامركة** " الى عـدّو لكـل شـعوب العالم ويفتح عهداً جديداً من المقاومة ضد الإحتلال الأميركي، وبصيغة جديدة هذه المرة.

مصطلح الشرق الاوسط الجديد

لاشك ان مصـطلحات الحـرب عـى الارهـاب وصـدام الحضـارات التـي شـاعت بعـد احداث 11 ايلول والامركة لم تكن الا في سياق مخطط كبير معـد سـلفا للمنطقـة ولاشـك ان عملية اسر الجنديين الاسرائيليين عجلت بكشف هذا المخطط خلال حـرب تمـوز 2006 وقـد اكدت وزيرة الخارجية الاميركية كوندليزا رايس علنا ان هذه الحرب هي مخاض لولادة شرق اوسط جديد.

ان مصطلح " الشرق الأوسط الجديد" لـيس جديـداً، فقـد ذاع صـيته للمـرة الأولى بعـد حرب الخليج 1991 وأثناء مفاوضات التسوية بين الدول العربيـة وإسرائيـل، إذ تـم إنضـاجه في الثمانينات ومطلع التسعينات في بعض دوائر الخبرة والبحث في واشـنطن، وتـم تبنيـه وتطـويره من قبل حـزب العمـل الاسرائـيلي، وجـرى الإعـلان عنـه في كتـاب رئـيس وزراء إسرائيـل سـابقاً شمعون بيريس، وقبلته العديد مـن الـدول العربيـة ورأت فيـه تحـولاً كبـيراً في تـاريخ المنطقـة والصراع العربي – الإسرائيلي. إلاّ أنّ المصطلح سرعان ما اختفـى وتلاشـت مضـامينه بعـد اغتيـال رابين ثم توقـف مسـار العمليـة السـلمية، وتبخـرت المشـاريع الاقتصـادية والأمنيـة والسياسـية والمخططات المبنية على فكرة نجاح التسوية.

عادت فكـرة بنـاء نظـام جديـد في الشرق الاوسـط بعـد احـداث الحـادي عشر مـن سبتمبر، لم تكن التسوية السليمة هي المدخل، هذه المرة، بل حرب العراق التي يراد لهـا ان تطلق العنان لموجة الإصلاح السـياسي والديمقراطيـة في المنطقـة وعمليـة بنـاء شرق أوسـط كبـير او موسـع، حسـب مـا جـاء في في مسـوّدات الوثـائق الاميركيـة والغربيـة. وارتبطـت

الفكرة الجديدة بمفهوم " الفوضى الخلاقة" وبدعوات من مثقفين وسياسيين أميركيين الى إنهاء الصفقة التاريخية بين النظم العربية الاتوقراطية والولايات المتحدة.

إلاّ ان فكرة الشرق الأوسط الجديد، الكبير تعرّضت لهزة عنيفة وكبيرة مع فشل المشروع الأميركي في العراق وصعود الاسلام السياسي وتوحيد محور دمشق - طهران دعائمه وبروز ملامح تحالف جديد معارض للاحادية الاميركية بين الصين وروسيا.

ورغم هذا الشرك الذي وقعت فيه في العراق فان الادارة الاميركية ظلت تعمل بجد لتغيير قواعد اللعبة ووضع مخططات جديدة لها وكان لبنان هذه المرة مفتاح المشروع الاميركي الجديد وذلك من خلال حرب تموز 2006 التي شنت بذريعة تطبيق القرار 1559 الذي يهدف الى نزعم سلاح المقاومة اللبنانية لكن هذه المرة ايضاً تعرض المشروع لانتكاسه مع صمود لبنان في مواجهة آلة الحرب الاسرائيلية.

الشرق الاوسط بديل العالم العربي

لقد ارتبط مفهوم الشرق الاوسط بالرؤية الاستعمارية لمصالحها الاستراتيجية وبتصورها لاعادة صياغة وتركيب المنطقة منذ القرن الماضي وحتى اليوم ومن ثم جمع مفهوم الشرق الاوسط بين الجغرافيا والسياسة ولم تكن دلالته الجغرافية مستقرة، حيث تذبذبت بين الاتساع والعمق حسب المصالح الاستعمارية والرغبة في تفتيت العالمين العربي والاسلامي.

واذا كانت وثائق البنتاغون ايار 1995 والكونغرس اذار 1995 تضمنت استراتيجية الولايات المتحدة بالشرق الاوسط والتي اختزلت في ضمان تدفق البترول وبسعر مناسب وضمان حرية الملاحة والالتزام بامن اسرائيل وزيادة القدرات الدفاعية للدول الصديقة، فإن الدراسات الاستراتيجية الاميركية منذ العام 1997 اعتمدت المفهوم الاوسع لمصطلح الشرق الاوسط حيث ان هذا المفهوم يضم كلاً من تركيا وايران ودول اسيا الوسطى الغنية بالبترول (السوق الضخمة المرتقبة للتوسع الاميركي)، وهو ما أعدته في خطتها

المعروفة مشروع الشرق الاوسط الكبير بل ان العالم العربي زائد باكستان وافغانستان وايران وتركيا واسرائيل.

إذن فان مفهوم الشرق الاوسط لا يعود الى تقسيمات الجغرافيا والتاريخ بل لاحتياجات الامن والطاقة ورسم الخريطة الاستراتيجية الاميركية بما فيها نفي كل ما يقال عن الدائرة او الامة العربية – انتهاء مصطلحات ومفاهيم مثل العالم العربي، الامة العربية، القومية العربية، الامن القومي العربي، الوحدة العربية.

ان فصل دول من اقليم الشرق الاوسط او اضافة دول اليه امر بديهي بل ان السعي الى تقسيم دولةما الى دويلات اوكانتونات او مناطق طائفية او عرقية هو امر ضروري تحلم به الرغبات والخطة الاميركية.

وفي تقرير للجنرال الاميركي رلوف بيترز ان اسرائيل لا تستطيع العيش في محيطها بسبب الاختلاف الديني والمبدأ نفسه ينطبق على الطوائف والمذاهب والاثنيات التي تعجز عن التعايش في المحيط بحيث تجمع طائفة او اثنية في كيان سياسي الاكراد، الدروز، الشيعة، السنه...).

وعليه فان هناك دولاً مرشحه للتقسيم والاستقطاع في المرحلة المقبلة: ايران سورية تركيا العراق السعودية باكستان الامارات العربية المتحدة. وفي المقابل فان دولا سيتم توسيع حدودها الجغرافية لاغراض استراتيجية كاليمن والاردن وافغانستان.

ان صناع القرار الاميركي مقتنعون بان التفتيت الطائفي والعرقي هو من اهم الوسائط لخلق جغرافية الشرق الاوسط الجديد واستيعاب دولة مثل اسرائيل لا تتفق مع الاقليم ل في الثقافة ولا في الدين ولا في الحضارة.

لقد بدأت الولايات المتحدة مسيرة التفتيت من العراق على قاعدة الفدرالية اولاً التي ستؤدي الى جمع أكراد العراق وسوريا وايران وتركيا في دولة وشيعة العراق وشرق السعودية والاجزاء الجنوبية الغربية من ايران في دولة وما سيبقى من العراق دولة للسنة قد تضم الى سوريا التي قد يقتطع منها اجزاء لمصلحة دولة جديدة على حساب سوريا ولبنان.

وبدل القضية الفلسطينية سيكون هناك الاردن الكبير الذي يضم ما تبقى من فلسطين ويشمل فلسطين الداخل والشتات، ولان مكة قبلة المسلمين قد يكون لها كيان خاص مشابه للفاتيكان.

مصطلح الاقليات

في ضوء ما يعد للعالم العربي من مخططات تستهدف تذويبه في "الشرق الاوسط الكبير" بات مصطلح الاقليات من المصطلحات المتداولة على الساحة العربية والاسلامية سواء الاكاديمية او السياسية او الاعلامية وهو مصطلح مفخخ ومستفز لكل من الاقلية والاغلبية ويصيب الوعي العربي بالصدمة، ينقل الامة من الوحدة الى التجزئة وهذا المصطلح الذي هو في الاساس مصطلح سياسي يستخدم للتعبير عن نتائج انتخابية في اطار الديموقراطية، يرتبط في الذاكرة التاريخية للعالم العربي والاسلامي بملف التدخل. فمصطلح الاقليات والاكثريات برز بشكل حاد في الفترات النهائية لما كان يعرف بالخلافة العثمانية وذلك عندما بدأت القوى الكبرى في تقسيم تركة الرجل المريض عبر العديد من الوسائل التي كان من بينها الدخول الى المنطقة العربية من نافذه رعاية بعض الاقليات المهدده في العالم وفي الوقت القريب يطفوا هذا المصطلح على السطح مع التدخل الاميركي المباشر عبر الاحتلال وغير المباشر عبر الضغوط السياسية في عدد من الدول العربية مثل السودان، مصر، العراق و لبنان.

مصطلحات: الديموقراطية، حقوق الانسان، والحريات العامة والاعلامية... الخ

يتم ربط الديموقراطية في الغالب بتداول السلطة بشكل مشروع وسلمي واحترام حقوق الانسان ونهج الديموقراطية مع القدرة على تدبير الاختلاف. لكن مع قيام نظام القطب الواحد ووقوع احدث 11 ايلول اصبحت المصطلحات الانفة الذكر من وسائل الضغط السياسي على من لا يأتمر باوامر الولايات المتحدة من الدول سواء كانت حليفة او مصنفة في " محور الشر".

وانطلاقاً من ذلك ارتأت الولايات المتحدة رد الارهاب الى غياب الديموقراطية في العالم العربي واعتبرت ان تشجيع الممارسة الديموقراطية في المجتمعات المغلقة في الشرق الاوسط يمكنه ان يوفر منظومه من القيم والافكار التي تشكل خياراً فعالاً لاستبدال النمط المتطرف الذي يتمظر بمظاهر ارهابية موجهة اساساً ضد مصالح الولايات المتحدة.

لذلك مارست الولايات المتحدة ضغوطاً واغراءات مختلفة في مواجهة العديد من الانظمة العربية في سياق حملتها "الحرب على الارهاب". تارة بتجريم حركات المقاومة في فلسطين والعراق ولبنان – وتارة بانتقاد المناهج التعليمية والتربوية التي تفرخ بحسب زعمها الارهاب من خلال تكريسها لثقافة "الجهاد" وتارة اخرى عبر طرح مشروعات اصلاحية باتجاه نهج اصلاحات ديمقراطية وتقديم الوعود بمنح مساعدات اقتصادية ومالية سخية.

ان التغيير الذي تريده الولايات المتحدة لا علاقة له بالديمقراطية وحقوق الانسان التي اقرتها شرعية الامم المتحدة وهو ما عبرت عنه برفضها الديمقراطية الفلسطينية التي ادت الى فوز حماس بالانتخابات العامة ووصولها الى السلطة وسكوتها على الجرائم الاسرائيلية في فلسطين وعلى جرائمها هي في العراق (سجن ابو غريب) وفي معتقل غوانتانامو حيث لا تحديد لمحكومية المعتقل. وفي تضامنها مع انظمة سياسية حليفة تقوم على الديكتاتورية وهي هنا تغمض العين عن دعم المعارضة الديمقراطية ومؤسسات المجتمع المدني وتصم الاذان عن تجمع الحريات العامة والاعلامية لكنها هي عينها تقف وبشراسة في مواجهة انظمة أخرى بغض النظر عن طبيعتها السياسية اذا لم تستجب لمصالحها.

ان التغيير الذي تريده الولايات المتحدة يركز على دفن المفاهيم التربوية والدينية والثقافية باعتبارها منبت العنف والارهاب وفق الرواية الاميركية والاستعاضة عنها بحزمة جديدة من المفاهيم والمبادئ التي تبدو ظاهرياً مجدية ونافعة.

هكذا بادرت معظم دول المنطقة الى تبني اصلاحات سياسية باتجاه الديمقراطية وحقوق الانسان والحريات العامة لكن هذه الاصلاحات تبدو بطيئة وغير شاملة ولا

تعكس في العمق تطلعات الشعوب بقدر ما تهدف الى تحسين صورة الدولة وسمعة الدول القائمة بها في الخارج، لكن مثل هذه الاصلاحات تولد مجموعة من الاكراهات الاجتماعية والاقتصادية قد تكون لها تداعيات على صعيد انتشار العنف والارهاب.

ان هذا الربط الذي قامت به الولايات المتحدة بين الارهاب وغياب الديمقراطية وحقوق الانسان والحريات العامة لا يمكن الركون اليه فالاوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتدهورة وقضايا الاحتلال والهيمنة (احتلال فلسطين والعراق وسعي اسرائيل للهيمنة بمساعدة اميركا على الشرق الاوسط) الى جانب تلك القضايا تسهم في تفشي وتزايد اعتناق الافكار المتطرفة. ثم ان غياب الديمقراطية داخل بعض الدول لا يعني بالضرورة انتشار الارهاب، فهناك دول ديكتاتورية على امتداد العالم لم تعرف انتشاراً للارهاب بل ان الحركات الاكثر تطرفا وارهابا نشأت داخل دول ديمقراطية رائدة مثل فرنسا واليابان والمانيا وبريطانيا.

حرية الاعلام في الوطن العربي

ان احتكار السلطة السياسية للنشاط الاعلامي والصحفي في العالم العربي شكل ملمحاً ثابتاً في مختلف البلدان، وحرصت الحكومات بشكل خاص ولسنوات طويلة على اخضاع البث الاذاعي والتلفزيوني لملكيتها وسيطرتها المطلقة، وسادت في النظم الصحفية العربية سمات النظم السلطوية. وتحدّد دور الاعلام في المجتمع في تبرير سلوك الدولة والدفاع عن شرعيتها ومهاجمة خصومها، وفرضت قيوداً هائلة على التعرض لنظم الحكم ورموزها وهيئاتها الدستورية، كما فرضت قيوداً صارمة على التعرض للموظفين العموميين، وشاع على نطاق واسع استخدام مصطلحات مثل حماية "الامن القومي" لفرض سياج من السرية على تداول المعلومات او قمع حريات التعبير المختلفة. بيد ان الاحتكار المطلق لوسائل الاعلام ما كان له ان يصمد في عالمنا العربي بفعل الطفرة الهائلة في تكنولوجيا الاتصالات وثورة المعلومات وبفعل التطور الهائل الذي شهده العلم عبر عدة عقود في تطوير قواعد قانونية ملزمة لاحترام حقوق الانسان بما في ذلك حرية التعبير

والاعلام، وانشاء آليات دولية للمراقبة والمساءلة عن خرق تلك القواعد وكذلك بفعل تأثيرات انهيار النظم الشمولية في اوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي السابق، وبفعل نضالات لم تنقطع وتضحيات هائلة للاعلاميين المتعطشين الى الحرية.

وتحت تأثير هذه العوامل مجتمعة فقد كان على الحكومات العربية ان تواكب بصورة او باخرى هذا التطور ووجدت الحكومات نفسها مضطرة بدرجات متفاوتة لأن تكون أقل صرامة في التعامل مع وسائل الاتصال الحديثة مثل الانترنت والفضائيات، وأن تبدو اكثر تسامحاً تجاه منتقديها عبر أجهزة الاعلام الخاضعة لسيطرتها وان تفتح هامشاً للحرية في العلم الصحفي من دون ان تتخلّى للحظة عن صلاحياتها وادواتها الدستورية عند اللزوم واذا كانت حرية الاعلام تعد تجسيداً لمدى التمتع بحرية الرأي والتعبير وتداول المعلومات والآراء والافكار في هذا المجتمع او ذلك فان التمتع بهذه الحريات يرتهن بالعديد من العوامل والاعتبارات بعضها يرتبط بطبيعة النظم السياسية العربية وموقفها من التمتع بالحريات العامة على وجه العموم والحريات الاعلامية على وجه الخصوص وهو ما يقتضي ضمانات دستورية للحقوق والحريات العامة من جانب، والتنظيم القانوني لحرية الاعلام من جانب آخر.

ويندرج في هذا الاطار الى اي مدى تشكل الثقافة السياسية السائدة وسلوك النخب السياسية والمثقفة عموماً حافزاً على حرية الاعلام او عنصراً ضاغطاً لحجب هذه الحرية ومحرضاً على تغييرها؛ وكذلك مدى خضوع الدولة للضغوط وأشكال الابتزاز التي تمارسها القوى الخارجية والداخلية على منظومة حريات التعبير والابداع والفكر والاعتقاد والبحث العلمي وانعكاس ذلك على تلك المنظومة. ولا ينفصل عن هذا الاطار ان ازدهار حرية الاعلام في بلد بعينه يرتبط بالعديد من المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية التي تؤثر بصورة او بأخرى في التمتع بحرية الاعلام من الناحية العملية وفي خلق بيئة مواتية لاعلام حر ونزيه.

ولكي يكون للنشاط الاعلامي حتى يكون وظيفة فعالة في مسيرة البناء والتقدم الوطني فلا يجب ان يخضع لقاعدة الولاء او العداء للسلطة، لان الولاء يعني ببساطة كما يقول الاستاذ محمد المشنوق افتقاد التعددية بحيث يبقى الصوت الواحد ويعني التركيز على الدعاية لانشطة وانجازات الحكومة مع تأييد أكبر وغياب كامل لانتقاد الممارسات الخاطئة، وهو يعني تعطيل ردات الفعل الاعلامية على الاحداث ولا يوازي اعلام الولاء سوءاً سوى الاعلام الذي يعيش في العداء فهو يعني غياب المصداقية والسقوط في نقطة قاتلة بين الدعاية المضادة والتبشير السياسي والافتراء وهذا حتما ليس من وظائف الاعلام، اذن لابد بين العداء والولاء ان نصل الى نماذج من التبادل الاجتماعي والتكيف الاعلامي والسياسي وهذه النماذج تؤدي عمليا الى اعتماد صيغة تعامل ايجابي بين الاعلام والقيادة السياسية وبالاتجاهين معا بحيث لا يقع طرف تحت ضغوط الطرف الاخر وبحيث تجرى مراعاة وتفهم ظروف الوطن وعملية الانماء فيه.

وعليه فان هناك ارتباطا وثيقاً بين صورة القيادة السياسية في اذهان الناس وبين قرارها كما ان هناك ارتباطاً وثيقاً بين مصداقية الاعلام وبين دوره وتفاعله مع الناس. بقدر دقة الصورة لدى المواطنين عن القياده السياسية وبقدر دقة الصورة الذهنية عن واقع المواطنين لدى القياده السياسية تكون ارادة وتصرفات صانع القرار ناجحة وهذا ما نحتاج اليه في العالم العربي.

مصطلحات متداولة في الاعلام العربي

العلمانية - العولمة - التدويل - التنمية المستدامة - التصحر...

العلمانية : تطالب العلمانية بحرية الاعتقاد وتحرير المعتقدات الدينية من تدخل الحكومات والانظمة وذلك بفصل الدولة عن اي معتقدات دينية او غيبية وحصر دور الدولة في الامور المادية فقط والعلمانية هي عموماً التاكيد على ان ممارسات معينة او مؤسسات ينبغي ان توجه بمعزل عن الدين او المعتقد الديني.

تؤكد العلمانية حرية الدين والتحرر من فـرض الحكومـة الـدين عـلى النـاس وان تتخـذ الدولة موقفا محايدا بالنسبة لمسائل العقيدة ولا يغطى امتيازات او اعانات الى الاديان. بمعنـى آخر تشير العلمانية الى الاعتقاد بان الانشطة البشرية والقرارات ولا سيما السياسية منها ينبغـي ان تستند الى الدولة؛ والحقيقة بدلا من التأثير الديني وعـلى المسـتوى الاجتماعـي او العلاقـات البشرية، فان العلمانية تقوم على ان لا تحكم المعتقدات الدينية العلاقات الاجتماعيـة وطريقـة حل افراد المجتمع الخلافات؛ ومن جانب اداري تحرص الدولة العلمانية على فصـل الـدين عـن تشريع الدولة وادراة العملية القضائية بقوانين بشرية عوضـا عـن التشريعـات السـماوية سـواء كانت مسيحية او اسلامية او خلافها.

العولمة: ان العولمة تعني جعل العـالم مجـالاً لممارسـة النشـاطات المتعـددة الاقتصـادية والسياسية والاجتماعيـة والثقافيـة او بمعنـى اخـر امكانيـة ممارسـة النشـاطات المتعـددة عـلى مسـتوى العـالم دون ايـة قيـود او حـواجز وميـزه هـذا التعريـف انـه يتنـاول الظـواهر كواقـع موضوعي دون محاولة اضفاء وصف ايجابي او سلبي عليه وهذا مـا تقتضـيه الدراسـة العلميـة المنهجية للظاهرة لان التقييم يـأتي في مرحلـة لا حقـة (د.عبـد الرشـيد حـافظ في كتابـه الاثـار السلبية للعولمه على الوطن العربي وسبل مواجهتها).

ويرى د. ريتشار هيجوت في كتابه "العولمة والاقلمة" ان العولمة هي ما اعتدنا في العالم الثالث ولعدة قرون ان نطلق عليه اسم "الاستعمار".

ويقول د.مصطفى عبد الغني في كتابه "الجات والتبعية" الثقافية ان هناك تعريفاً واحداً للعولمة لايحتاج الى جهد كبير للحاق به، العولمة تعني" الامركة" بكل وضوح.

وبرأي ستيفن كاستلار فان العولمة هي فرض تغيرات قاسية على المجتمع بواسـطة قـوى جبارة من الاعلى.

ولابد بداية ان نميز مصطلح العولمة عما قـد تشـتبه بـه مـن مصـطلحات، هنـاك بعـض المصطلحات التي قد تبدو قريبة من مصطلح العولمـة لاشـتباهها بـه لفظيـاً ولكـن لا صـلة لهـا بالعولمة كمفهوم محدد.

ومن تلك المصطلحات التي قد تشتبه بمصطلح العولمة: العالمية "الدولية" الامر الذي يدعو الى التمييز بين هذين المصطلحين ومصطلح العولمة لتجنب اللبس بين هذه المصطلحات:

1- **العولمة والعالمية :**

يقصد بمصطلح العالمية تلك الدعوة الى تبني القضايا والهموم المشتركة للبشر جميعاً والسعي لتسخير امكانيات العالم لصالح الانسانية جمعاء باعتبار البشر جميعاً شركاء في هذا العالم.

فالعالمية بهذا المفهوم دعوة اخلاقية تسعى لجلب الخير للناس جميعاً وتجنبهم المخاطر والشرور وفي ظل هذا المفهوم تاتي دعوات توحيد الجهود في العالم كله لتحقيق مصالح عامة البشر او درء الاخطار عنها ومنها على سبيل المثال: الدعوة الى تكثيف الجهود العالمية لاكتشاف مصادر جديدة للغذاء او الطاقة والبحث عن حلول معالجة ظاهرة الاحتباس الحراري ومواجهة ظاهرة انتشار المخدرات وعلاج الأوبئة المنتشرة ومواجهة خطر اسلحة الدمار.

وليس لمفهوم العالمية هذا أية علاقة بمفهوم العولمة، فالعولمة تعني فقط جعل العالم مجالا لممارسة اي نشاط اقتصادي اجتماعي او سياسي او ثقافي.. بغض النظر بعد ذلك عن ان يكون هذا النشاط ايجابيا او سلبيا نافعاً او ضاراً وبغض النظر عن الجهة التي تقوم بهذا النشاط.

2. **العولمة والتدويل**

يقصد بمصطلح التدويل جعل قضية من القضايا محور اهتمام أو تدخل أو نشاط دول عدة. أما العولمة فهي وصف لظاهرة تعني امكانية القيام بنشاط ما على مستوى العالم دون اعتبار أي كيانات أو حدود أو حواجز داخله، فالعولمة تتعامل مع العالم كرقعة واحدة أو كيان واحد.

اما التدويل، فهو إشارة إلى ان هناك كيانات متميزه ومتعددة وهـو أن الـدول تتجـه إلى القيام بدور ما في قضية من القضايا، فلكل من المصطلحين معنى محدد مختلف عـن الاخـر ولا صله بينهما.

وبالعودة الى العولمة فان هذا المصطلح السياسي إستخدم منذ فترة طويلة لكنـه لم يـبرز بحدة وعلى نطاق واسع الا بعد الحرب الباردة ونهاية دور الاتحاد السـوفياتي وهيمنـة القطـب الواحد وبشكل خاص مع بروز اتفاقية واشنطن عام 1989.

ولا شك ان الانجازات العلمية الهائلة التي حدثت في الربع الاخير مـن القـرن العشريـن مع تطور تقنية الاتصالات والمعلومات واحتلالها مكانـة اولى بـين السـلع المطروحـة في الاسـواق والانجازات غير المسبوقة في مجال الاستنساخ سرعت من اتجاهات العولمة وربطتها بكل ما هـو حديث ومتقن وسريع وتبرز في هذا المجال تقنية الانترنت وشبكات الفضائيات التي تعمل عـلى مدار اليوم والتجارة الالكترونية واسواق المال والاقتصاد.

وفي وجهها الاقتصادي ارتبطت العولمة بنشاط الشركـات المتعديـة الجنسـية ومؤسسـات التمويل الدولي وعمليات التكامل والادماج المستمرة لاقتصاد الدول في دائـرة الاقتصـاد العـالمي وذلك من خلال البرامج الهادفة لتحرير التجارة العالمية والغاء العوائـق ومـن ضـمنها الحـواجز الجمركية.

ان العولمة هيكل شامل لمنظومة تسعى ويخطط لها بقيادة الولايات المتحـدة، والعولمـة ظاهرة تاريخية بانماط متعددة لا تهدف الى اعادة انتاج نظام الهيمنة القـديم فحسـب بـل الى صياغة نظام جديد قائم على احداث تبدلات نوعية في منظومة الهياكل والقيم السائدة.

فعلى سبيل المثال تناولت الاتفاقيات التي تم التوصل اليهـا خـلال جولـه مفاوضـات الاوروغوي عام 1985 جميع جوانب العلاقات الاقتصادية والتجارية والعسكرية والابداعيـة والثقافيـة الدوليـة ووضـعت شروطـا صـارمة عـلى الـراغبين الالتحـاق بركبهـا او المـرغمين عليه، تتعدى حـدود التجـارة الى مختلـف جوانـب الحيـاة كافـة حتـى ان نشـاط منظمـة التجـارة العالميـة نمـا وتعـزز بسرعـه مذهلـة وأصـبح نشـاطا مهيمنـاً ومشرفـاً عـلى تنفيـذ

منظومة متنوعة ومتكاملة من الاتفاقيات والبروتوكولات والقرارات الصادرة التي تنظم التجارة الدولية أو بحكم الخلل السائد في توازنات القوة الاقتصادية فان من غير المنطقي تصور ان التجارة العالمية تدور بين اطراف متكافئة بل بين مجموعات تختلف من حيث وزنها الاقتصادي والسياسي الى درجة يصعب معها التوصل في المفاوضات الى حلول وسط تضمن مصالح الجميع ومن المؤكد ان الدولة النامية باعتبارها الأقل انتاجية تكون الخاسرة في المفاوضات.

اذن فان قدرة الدولة النامية على الاستفادة من عضويتها في منظمة التجارة سترتبط بمدى مرونه سياستها الاقتصادية وقدرتها على تعديل هياكلها الانتاجية لتواكب الظروف الجديدة، وهذا التعديل لابد من ان يكون موضع رضى الدول الصناعية المتقدمة والمستفيدة من تحرير التجارة بسبب الفوارق الضخمة في المقدرات الاقتصادية.وكاقطار عربية لابد لنا لنتجنب الوقوع في شرك التبعية الاقتصادية من التنسيق الاقتصادي كمقدمة لتحقيق الوحدة الاقتصادية بدءا بالتنسيق في المواقف وانشاء الاسواق الحرة في ما بيننا وانتهاءاً بتحقيق التكامل الاقتصادي بل والتسريع باندماجها.

3. السوق العربية المشتركة

وحتى لا نكون في خط التبعية لابد من تزخيم وتفعيل اتفاقية السوق العربية المشتركة التي مضى على ابرامها اكثر من 45 عاما والتي لم توضع موضع التنفيذ الحقيقي على الرغم من ان التكامل الاقتصادي العربي لحظ تطوراً جذرياً نظريا وتطبيقيا غير انه بقي تطوراً خجولاً ما لبث ان انحسر لصالح الشركات القابضة المشتركة والعمل المشترك الثنائي غير الشامل مما شكل محاولة للتملص من النمط المرحلي المتكامل.

ان الدعوة لاحياء اتفاقية السوق العربية المشتركة بدات تاخذ شكلاً اكثر الحاحاً لانها ليست مسالة خيار اذا رغبنا ان نعيش فاعلين في منظومة الاقتصاد العالمي الجديد وليس على هامشها، وهذا الامر لا يكون الا من خلال تلاقي المعلومات التشريعية وادراك الظروف الاقليمية التي تمر بها المنطقة العربية وطبيعة الاقتصاد العالمي.

والتعاطي مع منظومة التجارة العالمية ومن منطلق تكاملي فاعل وايجابي يتطلب الاجراءات الأتية :

- ايجاد رؤية عربية مشتركة للتكامل الانتاجي والتسويقي.
- الانتقال من الانتاج التقليدي الى الانتاج التكنولوجي الحديث.
- تدعيم منطقة التجارة العربية الحرة.
- تنويع القواعد الانتاجية.
- تحويل المجتمع العربي من إستهلاكي الى انتاجي لتحقيق التكامل الاقتصادي العربي القادر على التعامل بكفاءة مع العولمة.

مصطلح العولمة وتأثيره على "الهوية الثقافية"

ولا بد في وقفتنا مع العولمة من اطلالة على علاقتها بالهوية الثقافية، في هذا الاطار قدم د.محمد عابد الجابري استاذ الفلسفة في جامعة محمد الخامس (الرباط - المغرب) عشر اطروحات تهدف الى رسم اطار عام بين العوله والهوية الثقافية كما يمكن ان ترصد اليوم في الوطن العربي سواء كعلاقة قائمة او كما يمكن ان تقوم في المستقبل وهذه الاطروحات هي :

1- ليست هناك ثقافة عالمية واحده بل ثقافات
2- الهوية الثقافية لها مستويات ثلاثة، فردية جمعوية، ووطنية وقومية والعلاقة بين هذه المستويات تتحدد اساسا بنوع الآخر الذي تواجهه.
3- لا تكفل الهوية الثقافية الا اذا كانت مرجعيتها: اجماع الوطن والامة والدولة
4- ليست العولمة مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالي بل هي ايضا وبالدرجه الاولى ايديولوجيا تعكس اراده الهيمنة على العالم.
5- العولمة شيء والعالمية شيء آخر، العالمية تفتح الثقافات الاخرى على العالم (وهي الاحتفاظ بالخلاف الايديولوجي – اما العولمة فهي نفي الآخر واحلال للاختراق الثقافي محل الصراع الايديولوجي)

6- ايديولوجيا الاختراق تقوم على نشر وتكريس جمله أوهام هدفها التطبيع مع الهيمنه والاستتباع الحضاري (وهذه الاوهام هي) وهم الفردية ووهم الخيار الشخصي ووهم الحياد ووهم الاعتقاد في الطبعية البشرية التي لا تتغير، ووهم الاعتقاد في غياب الصراع الاجتماعي.

7- نظام يعمل على افراغ الهوية الجماعية من كل محتوى ويدفع للتفتيت والتشتيت ليربط الناس بعالم اللاوطن واللا أمة والا دولة، او يغرقهم في آتون الحرب الأهلية.

8- العولمة وتكريس الثنائية والانشطار في الهوية الثقافية العربية، وهي ثنائية تكرس الأزدواجية والانشطار داخل الهوية الثقافية بمستوياتها الثلاثة الفردية، والجمعوي والوطني- القومي.

9- إن تجديد الثقافة، اي ثقافة لا يمكن ان يتم الا من داخلها بإعادة بنائها وممارسة الحداثة في معطياتها وتاريخها والتماس وجوه من الفهم والتأويل لمسارها تسمح بربط الحاضر بالماضي في اتجاه المستقبل.

10- إن حاجتنا الى الدفاع عن هويتنا الثقافية بمستوياتها الثلاثة لا تقل عن جاجتنا إلى اكتساب الاسس وفي مقدمها العقلانية والديمقراطية.

ازمة البحث العلمي،

للبحث العلمي اهمية في تطوير العالم من خلال ازدياد العلم والمعرفة والانتاج التكنولوجي ما يسهل حياة الانسان ويدعم العلم والصحة والحفاظ على البيئة ورغم هذه الاهمية فان البحث العلمي في العالم العربي لا يزال متخلفاً عن الدول المتقدمة بسنوات، حتى ان ما يصرف على البحث العلمي يبلغ نحو 22 دولاراً للفرد العربي الواحد في السنة باستثناء الدول النفطية كما ان مستوى الانفاق للفرد العربي حتى عام 1979 والى اليوم 0.5 بالمئة من الناتج القومي بينما في اسرائيل 1 بالمئة.

ان متوسط انتاجية الوطن العربي من حيث نشر الابحاث اقل من 1 بالمئة، اننا اضعنا بالتخلي عن البحث العلمي فرصة المشاركة في النمو الحضاري التي تتوالى دون

مشاركتنا. فمثلا لم نشارك في الثورة الصناعية ولا في عصر الفضاء ولاعصر الذرة وبقينا مبهورين بغيرنا ومستوردين من غيرنا واليوم يقفز عصر المعلومات بخطى فائقه ونحن لا نزال في مؤخرة العالم، متلقين، لناحية الانتاج وكل ذلك بسبب غياب الرؤية السياسية والإرادة السياسية في مجال البحث العلمي الى جانب الفجوة المعرفية في منظومة البحث العلمي. ومثال على ذلك تخلف طرق تدريس العلوم في المراحل التعليمية الى جانب تفشي ظاهرة الاعتماد على الغير والقاء اللوم على الاخرين.

اخيرا ان تحقيق معدلات عالية من النمو الاقتصادي والتوسع الحضاري في الدول العربية شكل ضغوطاً كبيره على الموارد الطبيعية العربية، لذلك لابد من التعامل مع هذه الموارد والامكانات في ضوء التنمية المستدامة التي تلبي احتياجات الحاضر دون الاخلال بقدرة الاجيال القادمه على تلبية احتياجاتها.

الفصل السابع

مفاهيم مصطلحية في مجال الإعلام

الفصل السابع

مفاهيم مصطلحية في مجال الإعلام

الحركة المصطلحية في اللغة العربية:

من أهم القضايا التي تواجه الوضع الثقافي للأمة العربية، حاليًا، الموقف من التفاعل اللغوي مع الحياة العصرية بكل ملابساتها التكنولوجية المعقدة وكيف تستطيع الأداة اللسانية العربية أداء وظيفتها العصرية ومحاورة العلوم والمعارف الحديثة بلغة علمية مواكبة، قوامها المصطلح الدقيق والعبارة الدالة.

لم تعد اللغة العربية تعطي بنفس الزخم والثراء اللذين عرفتهما أيام النهضة العلمية في تاريخها الأثيل. فهي الآن تأخذ كثيراً وتكاد لا تعطي إلا النزر اليسير، وإذا كان الرصيد العلمي الذي تسعى إلى تكوينه قد

حصل بفعل الاستعارة من لغات أخرى وعن طريق النقل منها، فلا غرابة أن ينصب البحث على إشكالية إيجاد المعادل المصطلحي للكلم الأجنبي حيث يغزر الإنتاج في مجال العلوم الحديثة ومن ضمنها ميدان الإعلام والمعلوماتية ....

فالعربية ما فتئت تأخذ عن غيرها مثل سائر اللغات الحية التي تأخذ وتعطي بناء على مبدأ التأثير والتأثر الجاري به العمل في سائر الثقافات، والعربية حاليًا في أمس الحاجة للانفتاح على غيرها من اللغات، فهي مجبرة

على استقبال أرتال من الكلمات الوافدة، فتعمل على تكييفها واستيعابها، فتتعرب ويكتب لها مقام طيب برحاب لغة الضاد. وبعض

المفردات الوافدة تستعصي على الاندماج فتبقى غريبة محتفظة بزيها الأعجمي دخيلة، لكن اللغة العربية تحتاج إليها وإلى مثيلاتها المعربات لما لها من خطورة في النفاذ إلى الحياة المعاصرة. ولقد دعت الحاجة إلى هذه المرونة حتى تستطيع اللغة العربية التصدي

إلى هذا الكم الهائل من الألفاظ المستحدثة التي تتدفق في كل المجالات العلمية وبوتيرة مذهلة تتطلب ملاحقة دينامية وبنفس السرعة وعلى نفس الوتيرة.

وإذا كان توفير المعادل المصطلحي في العربية ليس مستعصيًا في بعض العلـوم الإنسـانية مثل اللغويات والأدب والاجتماعيـات إلـخ... بحكـم مـا تـراكم في اللغـة العربيـة مـن مخـزون معجمي غني وكاف لكي يمنح منه المصطلحيون بكل ارتياح، فإن الأمر يختلف في مجـال العلـوم التجريبية والتقنية التي نمسي فيها ونصبح على كم غزير يسـتحدث بـلا انقطـاع، تحـاول اللغـة العربية أن تلاحقه ولو على مستوى المواكبة، أما الإنتاج فهو يتوقف طبعًا على مسـتوى البحـث العلمي الذي توضع بمقتضاه المفاهيم والتي تبنى عليها المصطلحات.

ليست المشكلة إذن في المصطلحات الجديدة بقدر ما هي في المفاهيم التـي تعـبر عنهـا، وسنحاول أن نستدل على ذلك من خلال هذه الدراسة التي تتخذ لها كموضـوع مشروع إعـداد قائمة بأهم المصطلحات الرائجة في الإعلام والاتصال التي تعالج مفاهيم تعبر عن الثقافة العربية والإسلامية.

الإعلام والاتصال : المفاهيم والمصطلحات:

لقد أصبح الإعلام علمًا قائمًا بذاته، لـه مبادئـه ومجالاتـه ومناهجـه ولـه مصـطلحاته التي تحدد تصوراته العلمية. والتحكم في هذه المصطلحات يجب أن يمر عبر مفاهيم دقيقـة خصوصًا عندما يتعلق الأمر بالتعبير عن التراث الإسلامي، وهو مجال ثقافي معقـد ومتـداخل يتسم بنوع من الراهنية السياسية والإيديولوجية [1] تروج له لغـة مسـتحدثة عـبر الوسـائط المكتوبة والمرئية والمسـموعة مـن الصـعوبة الاقتنـاع ببراءتهـا. ذلـك أن مصـطلحات الإعـلام ليســت كلهـا تقنيـة، فنسـبة كبـيرة منهـا تحيـل إلى مفـاهيم لهـا أبعـاد ثقافيـة تـرتبط بالهويةالعربية والإسلامية التي تعكسها اللغة العربيـة، وهـي في نظـر كثـير مـن المفكـرين" تشكل أحسن أداة لنقل مبادئ القومية"[2]. ولقد نبتت هـذه المصـطلحات أصـلاً وترعرعـت في منـاخ فكـري ذي منظـور غـربي ينطلـق مـن تصـورات مغـايرة تحـاول اللغـة العربيـة

استيعابها من أجل توطينها وتعريبها. لكن عملية التوطين هذه ليست عملية هينـة ولا مـيسرة، فهي قد تمت بالنسـبة لهـذه النوعيـة مـن المصـطلحات عـن طريـق النقـل والترجمـة، وعمليـة الترجمة تقتضي الالتزام بمنهجية صارمة تساعد على الحد مما يعتري المفاهيم المنقولة من جنوح أو خلل، وهذا ما يستدعي الوقوف على عينة من القضايا المصطلحية التـي نسـعى مـن خلالهـا أولاً إلى استجلاء المادة المعجمية المختارة لاختبار مدى صلاحيتها لنقـل هـذه المفـاهيم في إطـار مرجعيتها الثقافية، ومن هذه القضايا نسوق ما يلى :

في الإحالة المعجمية للمصطلح الإعلامي:

كان المتن المصطلحي الذي اشتغلنا عليه يتألف من زهـاء ثمانمائـة وخمسـين مصـطلحًا (850)، قمنا بجرده من عينة اختـيرت مـن عـدة قـوائم مصـطلحية في مجـال الإعـلام والاتصـال متنوعة في عدة معاجم متنوعة، لكن التركيز كان أساسًا على خمسة منها، وهي :

- المعجم الموحد لمصطلحات الإعلام: إصدار مكتب تنسيق التعريب بالرباط سنة 1999م.
- المعجم الموحد لمصطلحات المعلوماتية: إصدار مكتـب تنسـيق التعريـب بالربـاط سـنة 1999م.
- معجم المصطلحات الإعلامية.د. كرم شلبي - دار الشروق. ط. 1. 1989م.
- Glossairedetermes des telecommun-ications (F.A.A.E). (UIT-UAT-PNUD-FADSE) Genéve 87.
- أعمال ندوة : الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، ط، 2. الرياض. د. ت.

ولقد اتضح لنا خلال عملية التحليل لهذه المادة المصطلحية أن المصطلح الإعلامي يتسم بالغزارة في مساحة واسعة من المحاور المتعـدد يمكـن للباحـث أن يتيـه في أرجائهـا، وأن هـذه المحـاور، إذا مـا لقيـت العنايـة الجـديرة بهـا فهـي قمينـة أن تعقـد لكـل محـور منهـا دراسـة مسـتقلة بهــا، فهنــاك مــثلاً: الإعــلام الصــحافي المكتــوب - والإعــلام الإذاعــي والتلفــزي -

والبريد- والقنوات الفضائية - والإنترنيت ... إلخ ثم إن المصطلحات الرائجة بهذه المحاور منها ما هو تقني محض كالمسميات المتصلة بالوسائط والأجهزة والآلات، ومنها ما هو إحالي ثقافي، يعبر عن دخول مصطلحات جديدة تروج لمفاهيم يختلط فيها السياسي والفكري والعلمي، مثل (الحركات الإسلامية) و(الأصولية) و (الإرهاب) و(المجتمع المدني) و(حقوق المرأة وحقوق الطفل) ... إلخ.

وهذا النوع من المصطلحات يطرح جديًا عدة قضايا، على رأسها: نوعية العلاقة بين المعجم والمصطلح من جهة، وبين المصطلح وما يحيل إليه من مفاهيم من جهة أخرى. خصوصًا عندما يتعلق الأمر بالبعد الاجتماعي والثقافي الذي يتحرك فيه هذا المصطلح. فالسياق الاجتماعي والثقافي يعكس نوعية المفاهيم التي ينقلها المصطلح على مستوى الحياة التي يعيشها المستعملون له أفرادًا وجماعات، كما يعكس أيضًا نوعية العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاجتماعي [3]، ومما يؤخذ على اللسانيات النظرية، وهي تهتم بالمعنى، أنها اتخذت لها منهجًا داخليًا (يعتمد في تفسير المتغيرات على ظواهر لغوية محضة) [4]، أي أن هذا المنهج يغفل السياق أو الموقف أو المقام، فاللسانيات الاجتماعية هي التي تعطي أهمية للسياق الذي يحدث فيه الاتصال اللغوي، والمقصود به اعتبار الموقف أو المقام.

ونحن عندما نتحدث عن الموقف لا يمكن تصوره دون العوامل الفاعلة فيه، وهي العوامل الاجتماعية التي تؤثر في النص الملفوظ وبه تحدث صياغة العبارة ونوع الأسلوب المستعمل كالأمر والنهي والإقناع والتأكيد ... إلخ من هذه الزاوية الخارجية لعملية الاتصال.

ينظر ج. ما طوري إلى مفردات المعجم، فهو يرى أن دراستها هي دراسة المجتمع، وأن (الانطلاق من دراسة المفردات إنما يكون لمحاولة تفسير مجتمع معين)[5]. فالمعجمية تتناول اللغة كظاهرة اجتماعية، وبالتالي فالمعجم -حسبه- لا يدرس لذاته وإنما يدرس لتفسير المجتمع، كيف ذلك؟.

ينظر ج. ما طوري إلى المفردات باعتبارها أفعالاً اجتماعية، وهي تصنف في مجموعات تسمى حقولاً، وتصنف هذه الحقول (حسب التصورات والمفاهيم الخاصة بكل مجتمع والخاصة بكل حقبة زمانية) [6] ومعنى هذا أن اللغات يمكن أن تلتقي في أمور عامة، لكنها تختلف في تصوراتها ومفاهيمها الخاصة، والذي يهم في اختلاف اللغات (هو في رؤية العالم) وبالنسبة للمصطلحات، فجورج ما طوري لا ينظر إليها باعتبارها مفردات مجردة، وإنما ينظر إلى القيمة الاجتماعية التي تمنحها أهميتها، بمعنى أن أهمية كل مفردة إنما تحدث بفعل وضعها داخل السياق الاجتماعي والثقافي للغة التي يتحرك فيها المصطلح، أما خارجه فهي-كما يقول- مجرد سديم.

المعنى المعجمي والمفهوم المصطلحي:

رأينا سابقًا كيف أن الألفاظ عمومًا تتأثر بسياقها الاجتماعي، والسياق الاجتماعي مشروع بنوعية التصورات والمفاهيم السائدة، وقد أشار ج. ما طوري إلى إمكانية إيجاد قواعد مشتركة بين اللغات على المستوى النحوي والصرفي بل وحتى البلاغي، لكن المستوى المعجمي يتميز بحمولته الثقافية الخاصة بكل شعب حسب عاداته وتصوراته وقيمه. فالنظام المعجمي- يختلف عن النظام النحوي (وهو نظام قاعدي)، فالأول مفتوح [7]، وقواعده التي تحكمه لا يقصد بها محدودية هذه القواعد على غرار القواعد النحوية والصرفية، فالتقابلات في المعجم مثلاً واردة لكنها تحمل مدلولاً مختلفًا من التقابلات التي تحكم النظام النحوي، فإذا أخذنا مثلاً مجال "السكن" كحقل من الحقول الدلالية فهو يشتمل على عدة مفردات، منها كلمة "منزل" التي لا تقابل كلمة "عمارة" مثلاً...

تتسم المعاني المعجمية نسبيًا بالخصوصية وهي لا تجمعها قاعدة واحدة على نحو ما نجد في القواعد النحوية التي تتصف بالنظامية والاطراد [8]، لذلك جعله اللغوي بلومفيلد مجرد ذيل للنحو يتضمن قائمة من الاستثناءات الأساسية [9]. فالمعجم إذن نظام

مفتوح لما يتضمنه من معان تتغير وتتلون بحسب التجارب والأحقاب إلى حد يمكن وضع مخطط لحركية المفاهيم التي تعبر عنها الألفاظ.

والمعجميون يميزون بين التحليل المعجمي والتحليل المصطلحي والتعريف المصطلحي، فالألفاظ على مستوى التعريف المعجمي تساوي مدلولاتها حتى بين اللغات المختلفة وإلا استحال النقل من لغة إلى أخرى وبالتالي يصعب تصور فكرة "الترادف الكوني"، ومعنى هذا المفهوم هو افتراض أن لكل لفظ ما يوجد مرادف بالضرورة وبالقوة مرادف له، فإن لم يوجد بالفعل فهو كائن بالقوة، ويجب استنباطه [10]. وهذا الافتراض يتصل بافتراض آخر يتعلق بإمكانية الاستنساخ الثقافي الذي يطرأ بواسطة الترجمة أي إمكانية الرحلة من ثقافة إلى أخرى دون اعتبار لما بينهما من اختلافات عن طريق الترجمة.

هذا عن التعريف المعجمي، أما التعريف المصطلحي فهو "تعريف يختص بالألفاظ التي تتصل بمجال من المجالات المعرفية في العلوم الطبيعية أو الإنسانية لدى جماعة من الباحثين في ميدان معين" [11]، يتحدث هذا التعريف عن المجالات المعرفية أي المفهومية، فالمفاهيم هي موضوع التحليل المصطلحي، يقول هـ فيلبر أن التعريف المصطلحي ينبني على إيجاد " صيغة تصف مفهومًا بواسطة مفاهيم أخرى معلومة وتميزه عن المفاهيم داخل المجال المفهومي، كما تحدد موضعه فيها" [12] فالمصطلح يحاول ضبط المفهوم في مجال محدد ولذلك تجده يشكل المادة الأساسية للمعاجم المتخصصة، وتتميز هذه المعاجم بطابعها الاختزالي حتى لا يقع تشويش على المفهوم وعلى تحديده بدقة وصرامة مثلما نجد في المعاجم الطبية والبيولوجيا والفيزياء وغيرها... فالتركيز في هذه المعاجم على المفهوم العلمي جعل الصلة بالمظاهر اللغوية الأخرى في عملية الشرح ضئيلة، فالذي يهم هو "أن يحدد المصطلح بلغة واصفة بواسطة مفاهيم أخرى محددة"[13].

فإذا كانت المفاهيم تشكل قوام التعريف المعجمي والمصطلحي، فما دورها في التعريفات الموسوعية؟ الواقع أن التدقيق في المفاهيم يحتل مرتبة ثانوية في التعريف الموسوعي؛ لأنه بطابعه يتعارض مع الاختزال والإيجاز، ويميل أكثر إلى التفصيل، ويتطرق

إلى عدة مجالات بلا ضابط معين، فهو يستثمر كل المعلومات التي يراها المؤلف تهم القارئ في المدخل الذي يحرره.

وسنأخذ مثالاً لمادة "حمْل Grossesse"، كيف عولجت في معجم لغوي، ثم في معجم مصطلحي وآخر موسوعي؟

الأول- في المنجد: الحمْل: مص. ما في البطن، ثمر الشجر. ج. أحمال وحِمَال وحُمُول.

الثاني-في معجم الطب لاروس: الحمْل

(Grossesse): حالة المرأة الحامل: يبدأ مع التلقيح وينتهي مع الولادة (تدوم فترة الحمل من 270 إلى 280يومًا).

الثالث- في معجم لاروس الموسوعي: 1-"الحمْل: حالة المرأة الحامل من التلقيح إلى الولادة، مدة الحمل الطبيعية 280يومًا.

2- الحَمْل خارج الرحم حيث تستقر البويضة خارج الرحم وهناك تنمو/ الحمل العصبي هو مجموعة من المظاهر العصبية التي تشي بحالة الحمل دون أن يكون هناك تلقيح، وهي تتصل بحوافز, لا شعورية. يبدأ الحمل بتعشيش البويضة الملقحة في الرحم .... تتحَّول البويضة إلى مضغة، في حدود الشهر الثالث يتشكل الجنين الذي يحمل معه تحولات في جسم المرأة، فالرحم يتسع رويدًا ويتخذ حجمًا أكبر إلى حد يملأ البطن في الشهر التاسع. وابتداء من الشهر الرابع يمكن للمرأة أن تحس بحركات الجنين في بطنها الذي يسبح في السائل الأمنيوتيكي كما يمكن للطبيب أن يسمع دقات قلبه، في نهاية الشهر التاسع يصل الحمل إلى نهايته مع الولادة، وهي عملية الدفع بالجنين خارج الرحم".

مفهوم الحمل لا يتغير في المعاجم الثلاثة، لكن منهجية المعالجة اختلفت فيها سواء من حيث نوعية المعلومات أو كمها.

في المنجد اقتضى الشرح ثمانية ألفاظ مع الجمع بين حَمْل الإنسان وحَمْل النبات (الإثمار).

في المعجم المصطلحي: ارتفع عدد الكلمات إلى أربـع عشرة كلمـة، مـع حـذف معنـى إثمار النبات من عملية الحمل، وهذا طبيعي؛ لأن المعجم يحدد المفهوم في مجـال محصـور هـو مجال الطب.

أما في المعجم الموسوعي، فقد بلغ عدد المفردات إلى ما يفوق مئة وعشر كلمات وفيه عولج الحمل جسديًّا ونفسيًّا وفيزيولوجيًّا وعلاجيًّا ... إلخ.

انطلاقًا من هذه المعطيـات المنهجيـة والإجرائيـة عمـدنا إلى حصر مفـاهيم الإعـلام في المجال الإسلامي، وعند فرز المصطلحات التي انتقيناها كعينة ممثلة مما ينيف عن عشرين ألف مصطلح، لم نجد في المعالجة التي بين أيدينا منهجًا واضـحًا يمكـن الاسـتناد إليـه، فالمصـطلحات تارة تعالج من وجهة لغوية، ولاسيما إذا كانت تدل على الآلات والأجهزة، مثل : خط - هـاتف- سلك- كشاف - كراس - قرص مدمج- تلفاز- بث - لازمة إعلانية ... إلخ.

وتارة من وجهة مصطلحية يغلـب عليهـا طـابع القصـد والإيجـاز- كـما هـو مـألوف في المعاجم المخصصة، لكننا وجدنا نسبة كبيرة من المفاهيم اختلطت في معالجتهـا المعـايير، لا مـن ناحية النوع، ولا من ناحية الكم، والسبب حسبما رأينا يعود إلى طبيعة المفاهيم المنقولة أساسًا عن المناخ الفكري، الذي أنتجت فيه، ومنه هاجرت إلى اللغة العربية بحكم الجدل السـياسي في وسائل الإعلام والذي لا بد أن يكون للثقافة العربية موقف منه، سواء على مستوى المصطلح أو على مستوى المفهوم الذي ينقله المصطلح. بالنسبة للمسـتوى الأول يجـد الباحـث نفسـه أمـام قضية كيفية صياغة لفظ المصطلح بقطع النظر عن مفهومه، هل يتم ذلك عن طريـق التأصـيل والتأثيل أو بواسطة تعريب المصطلح وتدجينـه؟ وبالنسـبة للمسـتوى الثـاني يقـتضي الأمـر مـن الاقتناعات التي يحملها وقد تكون صادمة أحيانًا كثيرة لما يؤمن به من أفكار ومبادئ.

تأصيل المصطلح الإعلامي في الثقافة العربية:

هنالك هرمية تلتزم بها جل المنهجيات التي توظف في وضع المصطلح ينطلق فيها مكتب تنسيق التعريب من مبدأ "إعطاء الأسبقية للمصطلحات التي وضعتها المجامع ثم المصطلحات التراثية "ويلخصها مجمع العراق في: "تفضيل اللفظ العربي على المولد، والمولد على الحديث، واستعمال اللفظ العربي الأصيل إذا كان المصطلح الأجنبي مأخوذًا عنه..."[14]. وهو نفس ما أكدت عليه قرارات اتحاد المجامع في مبدئها الأول الذي ينص على " الحرص على ما جاء في التراث العربي من مصطلحات عربية أو معربة، وتفضيل المصطلحات التراثية على المولدة" [15].

والواقع الذي نلمسه في لغتنا أنها لم تتحرج في الأخذ عن غيرها، والكلمات الوافدة تعرف اللغة العربية كيف تستوعبها، ولقد حاول علماؤنا منذ القديم اللجوء إلى ما هو متاح من وسائل الصرف والاشتقاق والنحت والاستعارة: وإذا أعوزتهم الحيلة عرَّبوا. أما التراث اللغوي فمن الصعوبة استسهال التصرف فيه على غرار ما فعل الأوربيون مع تراث اللغتين اليونانية واللاتينية الميتتين. فتراثنا، رغم القرون السالفة، ما يزال حيًّا في وجداننا بلفظه وبمفاهيمه، وما يتطلبه المصطلح من تخصيص وشفافية في التدليل يتعارض مع ألفاظ التراث التي ما تزال تجنح إلى التعبير وإلى الإبداع، مما يؤدي بحكم التاريخ والمجاز إلى تعدد الدلالة، وتعدد الدلالة في الألفاظ عملية غير اصطلاحية؛ لأن تحديد المفهوم فيها يرتبط بالسياق وليس بالميدان التخصصي الذي تندرج فيه، من هنا كان التعامل مع الألفاظ التراثية صعبًا، فمما يروج في صحافتنا العربية حاليًّا وبإلحاح مصطلحات مثل: إرهاب، أصولية، صحوة، إسلامي... إلخ، لها مفاهيم قدحية عند الغرب ونحن ننقلها أحيانًا بظلالها العنصرية دون احتراز، وهناك مصطلحات ترجمت إلى العربية على عجل وشاعت، مع أن لها مفهومًا خاصًّا في الثقافة الإسلامية مثل: (استنساخ) المأخوذة عن (clonage) : والمصطلح علمي يشير إلى هذه التجربة التي تمت على حيوان ثديي (نعجة) استخرج منه العلماء حيوانًا مماثلاً انطلاقًا من خلية له ناضجة

(نعجة أخرى سموها دولّي)، وقد أثارت عملية "الاستنساخ" الحيواني زوبعة من الردود السلبية والإيجابية خوفًا من أن تمتد العملية إلى الإنسان... لكن المصطلح قُبِل دون اعتراض، مع أن مادة "نسخ" ومزيدها "استنسخ" لا تعني "المماثلة" وإنما حسب المعجم تعني "الإزالة والإبطال والمسخ" وقد كان شيوخنا يطلقون على نسخ العقود مصطلحًا آخر هو "النظير" (الأصل ونظيره) للابتعاد عن معنى "الإبطال" الذي يوحي بها مدلول "النسخ".

هناك أيضًا كلمة "السخرية" لها مفهوم قدحي في الثقافة الإسلامية، لكنها في الثقافة الإعلامية ترجمت عن "satire" وهي تعني نصًا مكتوبًا أو ملفوظًا يعمد فيه صاحبه إلى نقد معاصريه من المشاهير والسخرية من صورهم ومن أفعالهم وأقوالهم. وفي الإذاعة والتلفزة برامج خاصة يومية لتمثيل الشخصيات البارزة بشكل كاريكاتوري وفي مواقف هزلية تشيع مثالبهم... أما الألفاظ الأخرى مثل "أصالة" و"قومية" و"سني" و"شيعي" و"سلفي"... إلخ، والتي يشيع لها الغرب بمفاهيم قدحية، فهي في الثقافة الإسلامية لها عمقها التاريخي المجيد. لكنها بحكم مفهومها التراثي والتاريخي يصعب التعامل معها كمصطلحات عصرية وإلاّ وقعنا في الشرك الثقافي العربي، ثم إن المنهج الاصطلاحي في حد ذاته ينفر من المنهج التاريخي التحاقبي على اعتبار أنه لا يتجاوز في التدليل "الحالة المعاصرة لنظم المفاهيم والمصطلحات الدالة عليها" [16] فالتعامل مع التراث لتحيين مصطلحاته عملية جذابة من الناحية النظرية، لكنها عمليًّا تدفع إلى مسالك وعرة قد لا يكون المحصول في أهميته على قدر ما فيه من جهد ووقت.

تأصيل المفاهيم

هل هناك حاجة إلى تأصيل المفاهيم التي تعبر عنها المصطلحات؟ هل هي قابلة لذلك أصلاً؟ من البديهي معرفة أن المفاهيم تتعارض وفكرة التعدد، وبالتالي فهي عصية عن التغيير. فالمفروض في المفهوم أن يكون دقيقًا وواضحًا "وقد بلغت العلوم الدقيقة ما بلغته اليوم بفضل التطور الذي شهدته مفاهيمها في مستوى الدقة والوضوح" [17] وحتى يتحقق ذلك يجب الابتعاد عن الإبهام وتعدد المفهومات في الدلالة على نفس المصطلح،

وكذلك السقوط في تعدد المصطلحات للدلالة على نفس المفهوم. في الصحافة المكتوبة والمنطوقة رُوِّج أخيرًا (مثلاً) لمصطلح "المعتزلة الجدد" فما الذي يميز هؤلاء عن القدماء؟ ولماذا الابتعاد عن مصطلح "السلفية" الذي يحمل بعدًا فكريًا ونهضويًا مشرقًا؟ هل يمكن اعتبار مصطلح التأميم الذي خبا وهجه في المعترك السياسي مقابلاً للخوصصة (أوالخصخصة)؟

هنالك مصطلحات كثيرة تروج لها الصحافة المكتوبة والمسموعة بإهاب تراثي، يراد لها أن تدل على مفاهيم مستحدثة ومستوردة، بدافع استنباتها في الثقافة العربية الإسلامية مثل: "الردة" و"السلفية الجديدة" "السبئية" إلخ ... وقد عالج نماذج منها الشيخ عبد الله العلايلي في كتاب له تحت عنوان "مقدمات لا محيد عن درسها لفهم التاريخ العربي" وشرح فيه عينة من هذه المصطلحات القديمة في إطار قومي عربي ...

وحتى تتضح البلبلة التي لحقت بالاتصال المفهومي في الإعلام العربي الحديث نسوق هنا-على سبيل المثال- مصطلحًا أثار زوبعة من التأويلات التي تصل أحيانًا إلى حد التناقض من حيث فهمه وتأويله، ونعني به مصطلح "المجتمع المدني" الذي شغل جمهور المعلقين والمحللين العرب، وسنعرض لثلاث صور لتأويل هذا المصطلح الطارئ على الثقافة السياسية العربية بقلم ثلاثة صحافيين من ألمع الكتاب والمحللين المشهورين العرب، وفي أعداد متفاوتة في صدورها، نكتفي بتأمل النص فهو يغنينا عن الإحالة إلى كاتبه أو الصحيفة التي نشر بها :

النص الأول:

المجتمع المدني: مصطلح قديم نسبيًا، غامض في تعريفه ومفهومه الحديث، لكن لندع المفهوم جانبًا لندرك أنه تعبير مؤدب وخجول عن مطالبة المثقفين بالديمقراطية ودولة القانون والنظام ومجتمع المساواة في الفرص والحقوق والواجبات والحريات..

النص الثاني:

تدور هذه الأيام نقاشات متفاوتة الحدة والعمق حول "المجتمع المدني" حاولت البحث عن تعريفه ... فيما أقتني من قواميس ... المفاجأة الكبرى أنه لا وجود لهذا

المصطلح. هناك القانون المدني (روما) والهندسة المدنية والمدن والحقوق المدنية، لكن لا وجود "للمجتمع المدني". ربما لأن القضية غير مطروحة في الأساس. وأحد تعريفات كلمة "مدني"... أنها "كل ما ليس عسكريًّا أو كهنوتيًّا"، غير أن التعريف الوحيد الذي عثرت عليه في كتاب فرنسيس فوكوياما (صاحب نهاية التاريخ) ... يعرف المجتمع المدني بأنه "مجموعة من المؤسسات التطوعية والمعاهد"....

... ومفهوم المجتمع المدني مصطلح أوربي ولد في النصف الثاني من القرن الثامن عشر للتعبير عن تحول حكومات أوربا الغربية من الحكم الفردي والاستبدادي المطلق إلى الديمقراطية البورجوازية. وفي أواخر القرن التاسع عشر اختفى ذلك المفهوم ولم يعد للحياة إلا في مطلع القرن العشرين على يد المفكر الإيطالي غرامشي الذي أراد الرد على ستالين وإثبات خصوصية علم اليسار الأوربي في مجتمعات كرست بعض أشكال التقاليد الديمقراطية والتعددية[18].

إذا تأملنا هذه النصوص الثلاثة نجد أن الهاجس الذي تعبر عنه ليس هو حصر المفهوم بقدر ما هو العمل على إيجاد تصور له في الواقع، والمصطلح كما أسلفنا إنما ينبني على مفهوم متجذر في الواقع وفي مجال محدد، وليس موجودًا على مستوى الافتراض. تعبر هذه النصوص، أيضًا، عن البحث على ملامسة المفهوم داخل الحقل الثقافي العربي بإيجاد جذور له وأصول، فيصيب الباحث أحيانًا ويختل التحليل عنده كثيرًا، وهذا نموذج لمحاولة صريحة لتأصيل مفهوم مصطلح آخر مستحدث هو "حقوق الطفل" من خلال (وثيقة إسلامية بديلة لاقتراح الأمم المتحدة)، وبهذا النص الرابع، نختم هذا الحديث :

النص الرابع:

أعدت اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل بالمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة وثيقة إسلامية للطفل تكون بديلاً عن وثيقة الأمم المتحدة للطفل.... وقد قال المدير العام للمجلس الإسلامي العالمي (بصدد هذه الوثيقة البديل): ... إن وثيقة الأمم المتحدة لم تشر إلى الدين بأنهعامل فعال من عوامل تنمية الطفل بل اعتبرت الأديان والعقائد من العوامل التي تدعو إلى التفرقة بين الأطفال ...

ولم تـؤكد (هذه الوثيقة) على

البعد الروحي والاجتماعي لتربية الطفل

بنفس المعدل الذي أكدت فيه على أبعاد الانحلال الأخلاقي .... ولم تركز على دور الأسرة في تنشئة الأطفال بل ركزت على الأسرة البديلة... ولفظ الأسرة البديلة غير الشرعية ذكر في 106 بنودٍ من بنود الوثيقة وذكرت لفظ الأسرة صراحة 12 مرة. فوثيقة الأمم المتحدة تعطي الطفل انطباعًا سلبيًا لإخراجه من الأسرة بنفس الطريقة التي أخرجت بها المرأة في وثيقة مؤتمرات المرأة- ولا تذكر هذه الوثيقة تعريفًا للأسرة على أنها وحدة مكونة من رجل وامرأة مرتبطين بعلاقة زواج شرعي ولكنها استخدمت بديلاً بأن للأسرة عدة أنماط مختلفة، وبذلك يشيع الأطفال والأبناء والأطفال غير الشرعيين في مجتمعاتنا الإسلامية مثل ما حدث في الغرب.

هوامش الفصل

1- يقول د. محمد المنجي الصيادي في كتابه: التعريب وتنسيقه في الوطن العربي. بيروت 1980 ص370 : **"إن التعريب إنما هو اختيار سياسي وحضاري"**.

2- نفس المرجع. ص 375.

3- د. عباس الصوري: الرصيد المعجمي في اللغة العربية، الرباط 1995.

4- د. نهاد الموسي: نحو اللسانيات الاجتماعية في اللغة العربية. مجلة "الدراسات اللغوية"، الخرطوم 1985.

5- جورج ماطوري: منهج المعجمية، ترجمة د. عبد العلي الودغيري 1993.

6- المرجع نفسه.

7- موسوعة:"La pleiade" ص 284.

8- د. علي القاسمي: علم اللغة وصناعة المعجم. ص : 6.

9- المرجع السابق.

10- د. عباس الصوري: بين التعريب والتوحيد، ضمن ندوة "قضايا المصطلح في الأدب والعلوم الإنسانية " سنة 2000م.

11- د. حلام الجيلالي: تقنيات التعريب بالمعاجم العربية المعاصرة (منشورات اتحاد الكتاب العرب) 1999 ص: 137.

12- نفس المرجع.

13- نفس المرجع.

14- د. محمود أحمد السيد: المبادئ الأساسية في وضع المصطلح وتوليده، مجلة "التعريب"، العدد 200/19.

15- ندوة "إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي وسبل توحيده وإشاعته" المنعقدة بدمشق أكتوبر 1999.

16- د. محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح.

17- د. علي وطفة: إشكالية المفهوم/ مجلة "التعريب 2000/19.

18- للأستاذ الدكتور عباس محمد الصوري

الفصل الثامن

أزمة الثقافة العربية والمواجهة الإعلامية

الفصل الثامن

أزمة الثقافة العربية والمواجهة الإعلامية

تتكالب على الأمة العربية الرزايا وتعصف بها الأزمات وتداهمها التحديات والأخطار الداخلية والخارجية ويطمع بأراضيها الطامعون ويمزق نسيجها الاجتماعي والقومي والثقافي الذين يريدون أن تكون هذه الأمة ضعيفة ومتفسخة وممزقة الجسد ومنهكة القوى ومنتهكة الحقوق.

وتعيش هذه الأمة واقع التفسخ والتجزئة والضعف والهوان وواقع التبعية الاقتصادية والسياسية والتعرض للـهيمنة الاقتصادية والسياسية والثقافة الأجنبية؛ ولا تحشد الموارد الفكرية والتنظيمية والمادية والسياسية الكافية للدفاع عن القضية العربية ودعمها؛ لقد أثارت وتثير هذه الحالة البائسة همم عدد من الباحثين الذين انبروا لتحديد مواطن الضعف في هذه الأمة ومصادر التهديد والأخطار والداخلية والخارجية وهبوا للمنافحة عن حقوقها بأفكارهم وأقلامهم.

وإنني وأنني لست مؤيد للباحثين الذين يرون أنه لا فائدة من أبحاثهم في تجنيب هذه الأمة للمحن التي تصيبها وفي تخليصها من الواقع الذي تجد نفسها فيه معللين ذالك بأن القوى السياسية والاقتصادية والعسكرية الأجنبية وحجم الغزو الثقافي الغربي تبلغ من الشدة ما يستحيل تقريبا عنده التصدي للتحديات الأجنبية التي تواجه أمتنا؛هذا بالإضافة إلي عدم تدعيم أبحاثهم وعدم تفعيل الدراسات التي تجري علي كيفية التصدي لغزو الثقافي والفكري الغربي.

وكما أسلفت فإن الشعب العربي يتعرض في الوقت الحاضر لغزو ثقافي مستمر ومكثف تؤازره قوى غربية لها أهدافها الخاصة بها؛ وقدر كبير من القيم والأفكار التي يحملها هذا الغزو مستهجنة وغير سليمة من المنظور القومي العربي؛ وبسبب قوة هذا الغزو والصفات المغرية التي تتصف بها بعض القيم والأفكار التي يحملها هذا الغزو

تسللت قيم وأفكار كثيرة في نسيجنا الثقافي العربي وحلت محل قيم غربيه كثيرة، مما أدى إلى إضعاف شخصيتنا الثقافية الأصيلة والى إفقادنا لتوازننا الثقافي والى حرماننا من القدرة على معرفة شخصيتنا الثقافية الحقيقية؛ ولهذه الأسباب من الضروري أن تسخر أقلام الباحثين والمفكرين لحل هذه المشكلة ولتوضيح الأخطار المترتبة عليها و الطرق التي تعالج بها؛إن تسخير أقلام ألباحثين منا من شأنه أن يكون خدمة جليلة لازمة نقدمها للشعب العربي؛ولذلك من اللازم تشجيع وصول الأبحاث العربية التي تتضمن تبيانا وتحليلا للتحديات التي تواجه الأمة العربية إلى مختلف بقاع الوطن العربي.

ويجدر بي الإشارة إلي الحدود الجغرافية للوطن العربي وهي تتحدد بالرقعة الجغرافية التي يستوطنها العرب في الوقت الراهن؛وهي تشمل المنطقة التي تقع في أسيا وأفريقيا بين خطي العرض37.10شمال خط الاستواء وخطي الطول15غرباو57شرقا وهي المنطقة التي نعنيها حينما نطلق كلمة البلاد العربية أو الوطن العربي؛وهذه الرقعة الجغرافية المترامية الأطراف تبلغ مساحاتها حوالي اثني عشر مليونا من الكيلومترات المر بعه وتمتد من المحيط الأطلسي غربا حتى الخليج العربي شرقا؛ويحدها من الشمال الساحل الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط وساحله الشرقي وهضبة الأناضول؛ويحدها من الجنوب بحر العرب والمحيط الهندي وهضبة الحبشة ومنابع النيل والصحراء الكبرى.وتضم في الوقت الراهن

دول مستقلة عن بعضها هي في أسيا: العراق، سوريا، لبنان، فلسطين، الأردن، اليمن؛ دول الجزيرة العربية (السعودية، الكويت، دولة الأمارات العربية، قطر،البحرين، عمان) وفي أفريقية توجد: مصر، سوريا، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا، السودان، الصومال، جيبوتي وهي كلها أعضاء في جامحة الدول العربية وفي منظمة المؤتمر الإسلامي.

وسيقوم الباحث باستعراض لأهم التحديات الثقافية التي تواجه أمتنا العربية ذالك لأن الثقافة هي عماد ألامه وهي التي تعبر عن هوية الشعوب وهي التي تحمي قوميتنا أملأ في الإسهام بشي ولو قليل في حل هذه المشكلة ورغبتا في وحث الجهات المعنية

لتفعيل الأبحاث والدراسات التي أجراها علمائنا؛لنؤدي حق وطننا وامتنا العربية وليجعل اللـه أقلامنا خير المدافع وخير الحصون التي نحمي بها أمتنا.

أزمة الثقافة العربية وتحديات المستقبل:

مبحث التمهيدي: العولمة ودورها في أزمة الثقافة العربية:

لاشك أن التغيرات والظروف التي اجتاحت البشرية في العقود الأخيرة من القـرن المـاضي طالت وأصابت سهامها كل منـاحي الحيـاة سـواء كانـت سياسـية أو اقتصـاديه أو اجتماعيـه أو ثقافية أو حضارية مما أدى إلى دفع الإنسانية إلى الدخول في مرحله جديدة من مراحل تاريخها وهو ما أطلق عليه مرحله (العولمة) أي كان لها دور كبير في إخراج كثير من القضـايا مـن افقهـا المحلي الضيق إلى إطار أوسع وعالم رحب فسيح لتكون متاحة أمام العالم أجمع مـن دون قيـود أوحوا جز أو موانع تعيق مسيرتها وتحولاتها.

ولاشك أيضا أن العولمـة بتجلياتها المختلفـة فرضت علـى المجتمعات الانفتـاح والتلاقـي متناسيه خصوصيات الشـعوب الثقافيـة والحضـاريـة والـدينيـة والاجتماعية مما أحدث سـجالا عميقا بين الأفراد سواء عـلى مسـتوى النخـب أو عـلى مسـتوى العامـة - مـابين رافـض وبشـدة للعولمة باعتبارها طمس لهويـه وخصوصـية الأمـم والشـعوب وتـذويب لقيمهـا ومبادئهـا عـلى حساب نشر قيم غريبة عنها وصبغ العالم بصبغه واحدة لا ثاني لها هي الصبغة الغربية،وما بـين مقبل على العولمة بنهم وشغف دون أدنى تحفظ على كـل أو جـزء مـن تجلياتها،فأحـدث ذلـك سجلات كثيرة عـلى المسـتويات كافـه السياسـية والاقتصـادية والاجتماعيـة والثقافيـة مـا زالـت أحداثها تدور إلى هذه الساعة.

يصعب علينا القول أن منطقتنـا العربيـة والإسـلامية بعيـدة عـن العولمـة وتجلياتهـا وذلك لأنها -العولمة- أصبحت واقعا مفروضا لا يستطيع احد التعامي عنـه أو التغـاضي عنـه والانكفـاء عـلى ذاتـه لان ذلـك سـيلحق بـه -وبـلا شـك – أقصي الضرر لان قافلـة الحضـارة الإنسانية تسير بسرعة فائقة ويكفي أن نعلم أن التطورات التقنية التي حدثت في العــالم في العقـــد الأخـير مـن القـــرن المـاضي تعـادل مـا حققتـه البشريـة عـلى مـدى قـرن كامـل

-بل أكثر من ذلك - لذا فان التقوقع على ألـذات صـعب وشـاق في ظـل هـذه الظـروف،إن مـا يهمنا في هذا كله هو -وفي هذا المقام - هو ألازمه الثقافية التي نعيشها وما هـو دور تطـورات العولمة وتطور وسائل تكنولوجيـا المعلومـات ونظـم الاتصـال والمواصـلات في تشـكيلها التحـدي الأكبر للثقافة والمثقف العربي.

ومن جانب أخر تعتبر وحدة اللغة عنصر هام من عناصر الوحـدة القوميـة وأنهـا أكـبر عامل يولد في نفوس الناس إرادة الانتظام في أمة واحدة، وإذا كان الإنسان يتميـز عـن الحيـوان بأنه مدني اجتماعي وأنه ناطق مفكر، فإن الشعوب تتميز بعضها عن بعض بأن لكل منهـا لغـة خاصة تتكلم بها، فمما لاشك فيه أن اللغة هـي أقـوي ربـاط معنـوي بـين الأفـراد، وكـما قـالوا فاللغة أصوات يعبر عنها كل قوم من أغراضهم، ومعني هذا أن لكل قوم لغتهم، ومتـي تفـاهم الأفراد بلغة واحدة تقارب تفكيرهم، ونشأ فيهم شعور بالتعاطف، قلـما ينشـأ مثلـه بـين أفـراد يتكلمون لغات مختلفة، وهذا التعاطف أمل عظيم في جعل المتكلمين لغة واحدة يؤلفـون أمـة واحدة، ولما كانت اللغة هي عـماد الثقافـة للأمـة، والثقافـة بالنسـبة للأمـة هـي بمثابـة الـروح بالنسبة للإنسان، لذلك يذهب البعض إلي أن الأمة ليست ملايين من البشر، يعيشون علي نفـس الأرض أو يرجعون لأصل واحد فحسب، بـل الأمـة أيضـا وحـدة مـن الفكـر والشـعور، والإرادة، والعمل، ومن أجل المشاركة في الفكر والشعور والإرادة والعمل، لابـد وأن يكـون هنـاك اتصـال بين أعضاء الجماعة القومية، ومن ثم كان للغة المشتركة أهميتها وأثرها كأداة فعالـة في تشـكيل الوحدة القومية.

أزمة الثقافة العربية الراهنة:

إن ما جعلنا نشعر بأزمة الثقافة في مجتمعاتنا العربية وكبر حجمها هو مـا ورد في هـذا التمهيـد البسـيط لواقـع الحـال الـذي طغـت فيـه العولمـة عـلى كـل منـاحي حيـاة الإنسـان فدفعته بقوة للبحث عن ذاته أولا ثـم عـن جـذوره، سـواء الجـذور الثقافيـة أو الاجتماعيـة أو

العرقية، رغم إن ثوب العولمة الخارجي يتحدث عن صهر البشرية كلها في إطار منظومة واحدة من القيم الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية [1].

1- مفهوم الثقافة والمثقف:

ولكن قبل الحديث عن واقع ألازمه من الأفضل أن نعرف مفهوم "الثقافة " و"المثقف" وذلك من خلال وجهات نظر مختلفة لباحثين وأكاديميين وخبرا في مجالات مختلفة لنشاهد التجليات المختلفة لهذه المفاهيم وذلك لكي نتمكن من إعطاءها حقها أثناء البحث والنقاش.

أ- الثقافة:

قد يكون من أقدم التعريفات للثقافة.. وأكثرها شيوعاً حتى الآن وذلك لأهميته وقيمته التاريخية هو ذلك التعريف الذي قدمه "إدوارد تيلور" في نهايات القرن التاسع عشر في كتابه "الثقافة البدائية" والذي يقول فيه إلى أن الثقافة هي:

"كل مركب يشمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف و كل ما يمكن أن يكتسبه الإنسان من إمكانيات وعادات على اعتبار انه عضواً في مجتمع".

-أما المفكر العربي" د. محمد عابد الجابري" فانه يعرف الثقافة بأنها:

"ذلك المركب المتجانس الذكريات والتطورات والقيم والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحفظ لجماعة بشرية تشكل أمة.. أو ما في معناها بهويتها الحضارية.. في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل دينامكيتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء".

- أما "د/طلال عتريس "فانه يعتبر أن الثقافة:

---

(1) - د.عبد الرشيد عبد الحافظ، الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها، مكتبه مد بولي، 2005.

- د.عبد العزيز التو يجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة،دار الشروق،200

هي محصلة التفاعل بين ثلاث علاقات مع الـلـه (العقيدة والذات) ومع الآخر (المجتمع والطبقة) ومع الذات (الرغبات والغرائز والحاجات).

- ويعرفها" د. نبيل محمود" علي بأنها :

ما يبقى بعد زوال كل شيء، والمعلومات: هي المورد الإنساني الوحيد الذي لا يتناقص بل ينمو مع زيادة استهلاكه، والثقافة تصنع الموارد البشرية كما هي صنعتها.

تختلف التعريفات تبعا لنظرة الباحث والزاوية التي ينظر منها للمفهوم ولكن القواسم المشتركة للمفهوم تجبر الجميع على التوحد حول نقاط مشتركه، وفي تعريف الثقافة فان لا احد ينكر أن قاسمها المشترك هو : " أن الثقافة هي ما انبثق عنه الفكر الإنساني من إبداع وتعبير وتطور وتمدن؛ ساهم في صبغ المجتمع بصبغه (هوية) ميزته عن غيرة من المجتمعات فمنحته خصوصيته التي يعتز بها ويدافع عنها ويغار عليها من الاعتداء أو المساس، وساعدته على تشكيل أسس حضارته، وهذا ما يؤكد عليه كثير من الباحثين على أن الحضارة هي نتاج الابتداع الثقافي الذي قدمه مجتمع ما،وهنا يتداخل المفهومان معا (الحضارة) و(الثقافة) فيشكلان مزجيا يصعب فصل أجزأه عن بعضها البعض،لأنهما يشكلان جناحي طائر،احدهما يمثل الجناح المادي (الحضارة) والأخر يمثل الجناح ألقيمي والمعنوي وهو (الثقافة).

ب- المثقف:

ولعلنا في هذا المقام نعرف "المثقف" وخير ما نورده هنا أحدث تعريف للمثقف وهو الذي قدمه المفكر العربي" د/فهمي هو يدي" في محاضرة له في مركز شومان الثقافي في عمان في ابريل 2007 وهو :

"أن المثقف هو كل من تسلح بالمعرفة ووعى طبيعة عصره وعبر عن ضمير أمته وشرعيته لا تقاس بحجم معارفه وإنما بمقدار التزامه الأخلاقي إزاء مجتمعه " وهنا يؤكد الدكتور هو يدي على أهميه الدور الأخلاقي الكبير الذي يقع على عاتق المثقف فغي بناء مجتمعه وحمل رسالته.

2- أزمة الثقافة العربية الراهنة:

تعيش الثقافة العربية أزمة منظورة لا يستطيع احد إنكارها أو التغاضي عنها تتجلى ملامحها بنقاط كثيرة ومتعددة قد نستطيع أن نجملها بما يلي:

أولا: النقطة الأولى التي يجب أن تتصدر ملامح أزمة الثقافة العربية هي ما أوردة "د/ خالد الكر كي" :

وهو أن الثقافة في زماننا بعيدة ونائية عن واقع الحياة المعاش وغائبة عن مشهد الحياة، لذا فهي لا تلعب دورها في صناعه حياة حرة كريمه تقوم على نشر وزرع قيم العدل والتسامح والاحترام للذات وللآخرين لأنها تقبع في وسط زحام كبير من تيارات الشد والجذب المتناحرة التي تعيشها امتنا والتي يحاول كل تيار فيها أن يثبت ذاته ويتفوق على غيرة[1].

أن هذه التيارات التي مزقت ثقافة ألامه سهلت مهمة دخول ثقافات غريبة ـ تهدف إلى الاستغلال والنهب الحضاري والمادي ـ إلى مجتمعاتنا العربية فمزقت جسد ألامه وعاثت فيه نهبا وتخريبا، فسادت قيم العنف والتطرف والهيمنة وغياب أدنى حقوق البشر التي اقرها الشرع الحكيم وليس لأحد فضل في منحها لأحد، وساهمت أيضا بسهوله تقسيم الجسد الواحد وتقطيع أوصاله وأدخلت ألامه في تيارات العولمة ألاقتصاديه الجارفة فادخلنها إلى أقفاص الرأسمالية العالمية عنوة عنها رغم أنها لا تستطيع إلى ذلك سبيلا.

ويدخل في إطار هذه النقطة ما أوردة "د/ خالد عربيدات" من كلام يشخص واقع حال المفكر العربي حيث يقول:

إن معضلة المفكر العربي انه أصبح لا يقيم على ارض الواقع العربي،فالمفكر العربي اليوم في اغلب الأحيان ليس نتاجا لواقعنا وليس نتاجا لهمومنا فهو إما نتاج غربي

---

(1) دراسة منشورة - للدكتور/خالد الكر كي-بعنوان-(الثقافة القومية والثقافة الدينية صراع أم حوار)-نشرت في صحيفة الرأي الأردنية.

أو نتاج تاريخي وفي كلا الحالتين أصبح ليس منا فرحل عنا وهو برحيله هذا ترك الميدان لحميدان [1].

ثانيا: حاله الإحباط التي يعيشها المثقف العربي:

إن حاله الإحباط التي يعيشها المثقف العربي والتي تجعله قاصر عن القيام بما تمليه عليه رسالة الثقافة التي يحملها وهي صياغة منظومة فكريه من القيم الإنسانية التي تساهم في صنع كرامه الإنسان، ولعل ما عاشره المثقف - باعتباره مواطنا – من أزمات تاريخية كان لها دور كبير في تكوين تراكمات إحباطية في نفسيته ورثها لغيرة على مدى الأجيال، ولعل العودة بحركة التاريخ إلى الخلف قليلا ترينا مشهدا اسودا قاتم لما عانته البلاد العربية من ظروف صعبه في كافه مناحي الحياة سواء كانت السياسية أو ألاقتصاديه أو الاجتماعية كان أولها الاستعمار الذي لعب الدور الأكبر في تحطيم منظومة الثقافة داخل المجتمعات وادخل إليها ثقافة مشوهه أراد تسويقها واستأصل بدلا منها قيم الثقافة المحترمة التي كانت تهدف إلى حرية العقل الإنساني وحرية الإبداع والفكر البشري، مما ساهم بولادة ثقافة قاتمة ضعيفة عاجزة عن حمل رسالتها إلى العالمين.

ثالثا :دور الاستعمار:

ساهم الاستعمار الذي جثم فوق كاهل هذه ألامه لفترة ليست بالقصيرة في خلق حاله من الضعف في النظام العربي ككل متكامل دفعت به إلى التبعية التامة لهذه القوى المستغلة مما جعله ضعيفا هشا ليس له شخصيه مستقلة فكان لهذا الإستتباع اكبر الأثر على المشهد الثقافي العربي الذي بدا غائبا كل الغياب عن واقع مجتمعه وأمته واضعف دورة في الإسهام بنهضة ألامه وإخراجها من الظلمات التي غرقت بها لفترات ليست بالقصيرة.

---

(1) دراسة منشورة –للمفكر/خالد بعيدات-عنوان-(دراسة في الفكر العربي).

رابعا :حالة التفكك التي تعيشها أمتنا:

إن حاله التفكك التي تعيشها امتنا نتيجة لتراكمات تاريخية طويل – سبق سرد جزء منها – أدت إلى غياب مفهوم للامه الواحدة المتجانسة التي تجمعها روابط اللغة والدين والتاريخ والنسب والمصير، وطفت بدلا من ذلك على السطح ظواهر تنبئ عن حاله من التشرذم والتشظي والانقسام أسهمت في جعل كل عرق أو طائفة أو مذهب يبحث عن ثقافته الخاصة ويعطيها كل الاهتمام والاعتزاز وينسى – بل يتناسى- الثقافة الواحدة للامه الواحدة، فنشأ فينا ما يسمى بالثقافة المجزئة أو المنقسمة،فاضعف ذلك من شان الثقافة والمثقفين وقزم من دورهم في صناعه مجتمع القيم النبيلة المحترمة التي جاءت بها الرسالات السماوية التي تنادي باحترام الإنسان والإعلاء من قيمته لأنه محور الكون وأساسه.

خامسا :الظروف التاريخية:

لعبت الظروف التاريخية دورا بارزا في غياب العنصر الأساسي الذي تنشأ في ظله الثقافة وتترعرع وتقوم بما هو مطلوب منها على أتم وجه ألا وهو " الديمقراطية " لأنها ملاذ العقل ومنطلق الفكر ومنبر المنطق الذي يجعل من المجتمعات تنعم بقيم الحرية والعدل والمساواة من خلال حضور الثقافة وأهلها الذي ينهضون بهموم ألامه ويصلحون من شانها من خلال دورهم الذي لا غنى عنه.

سادسا :الفقر المعرفي لدي الطلبة والمثقف العربي:

الفقر المعرفي لدى المثقف العربي جعله يدخل كل جحر يسكنه المثقفون في أنحاء الدنيا – وخاصة الغربيين – مما جعله بتسول على أعتاب الثقافات الأخرى يأخذ منها ما تطرحه من أفكار لا تناسب واقعه وأمته وظروفه الحياتية فأصبح يجتر ثقافة الغير ينادي في تطبيقها في بلادة وعلى أبناء جلدته،مما صنع جيلا من المثقفين بعيد كل البعد عن هموم أمته وواقعها بل انه أصبح ينادي باستعمار جديد من نوع جديد تهيمن فيه ثقافته القزمة وقيمه الرخيصة الباليه على مجتمعاتنا العربية والإسلامية فأصبح المثقف عاله على

أمته بدلا من كونه عونا لها،لان المفكر هو صاحب الدور الأكبر في التعبير عن أحلام وطموحات أمته – كما يقول د. خالد عربيدات "لأنه هو الذي يصنع ضميرها و يمثل عقلها فهو المسئول إذن عما لحق بها من تدهور بسبب الوعي الغائب عن رؤية صادقه وصحيحة وعما لحق بسياستها وأبنائها عموما من ضمور وعدم تبصر.

سابعا :التعليم ودورة في بناء المحصلة الفكرية للإنسان:

التعليم هو القاعدة الأساسية لبناء محصله فكريه لدى الإنسان،فمن الصعب أن تترعرع الثقافة وتنشأ في ظل أجواء من ألأميه والتخلف والرجعية العلمية – وان حصل ذلك تبقى ثقافته قزمة وهشة -،وان نظرة متفحصة لواقع التعليم في بلادنا العربية – رغم ما يبدو للوهلة الأولى في المشهد الخارجي من تطور وتقدم في هذا المجال كازدياد عدد الجامعات والمدارس ودور العلم ومراكز البحث والتطوير – يصاب بالذهول والدهشة نظرا لارتفاع نسبه ألأميه وتخلف البحث العلمي وتدني الإنفاق عليه، وعدم احترام العقول المفكرة بل دفعها إلى الهجرة وترك موطنها بحثا عن لقمه العيش أو عن الاستقرار النفسي أو الحياتي أو هربا من واقع سياسي بغيض لا يرحم، انه سبب بارز في نشؤ أزمة المثقف والثقافة في بلادنا العربية.

ثامنا : انصراف المثقفين:

لقد انصرف المثقفين - رغم حملهم لهموم الثقافة- إلى البحث عن لقمه العيش في ظل أوضاع اقتصاديه مقيتة وانشغالهم برغيف الخبز قبل انشغالهم في الإبداع، وصدق من قال :"قبل أن تسألني ماذا أبدعت اسألني هل شبعت " إن البطون الخاوية لا تفكر، بل أنها تمقت الفكر والتفكير إنها معضلة العصر التي حرفت المثقف العربي عن دربه الصحيح وتراجع دورة العظيم في صياغة مستقبل ألامه وحمل آلامها وهمومها والإسهام في نهضتها ورفعتها وخاصة إن الثقافة هي أهم أدوات صنع التنمية في المجتمعات - وانشغاله بثانوية الأمور.

تاسعا : تضاؤل مساحه الحرية الممنوحة للفكر:

تضاؤل مساحه الحرية الممنوحة للفكر لينطلق من عقاله وذلك بسبب العلاقة التاريخية الصعبة بين المفكر والسلطان،حيث أن انعدام ثقة احدهم بالأخر له الأثر الأكبر في خلق ثقافة ضعيفة وهشة وخاصة إن الأدوات التي يملكها السلطان هي دائما أقوى مما يملكه المثقف وخاصة في ظل غياب مقومات أخرى أو توفر عوامل مساعدة سبق الإشارة إليها،إنها إشكاليه تاريخية لا نهاية لها.

عاشرا :اللغة ودورها في حماية الثقافة العربية:

اللغة هي الحصن الرئيسي والملجئ الآمن للثقافة وبدونها لا يمكن لامه مهما كانت قوتها أن تصنع ثقافة معبرة عن تراثها وحضارتها وتميزها،وقد كانت اللغة العربية في ذات زمان هي الوعاء الذي استوعب كل ثقافات الدنيا بل أنها كانت مصدر الثقافات،فهي لغة الشعر الذي عجزت عن نظمه كثير من لغات الأرض، وهي لغة الأدب الذي تنعم في فيائه البشرية اليوم وهي لغة العلم الذي أسهم في صناعه التقدم التقني الذي افرزه فكر البشرية المعاصر.

لقد كانت بغداد ودمشق والأزهر والزيتونة والأندلس وغيرها من عواصم الديار العربية هي حواضر للعمل ومراكز إشعاع للمعرفة والثقافة والفكر والإبداع، إما اليوم فلا احد يستطيع أن ينكر تراجع الاهتمام باللغة العربية والعناية بها على حساب الاهتمام بالغات الأخرى ويتضح ذلك جليا من خلال مشاهدة حضورها في المحافل الثقافية الدولية وعلى قنوات الشبكات العالمية للمعلومات،انه تراجع رهيب ينذر بخطر كبير قد تكون له أثار لا تحمد عقباها،وهذا مظهر هام وبارز من مظاهر ألازمه التي تعيشها الثقافة العربية اليوم،يستدعي منا جميعا النهوض بهمه عالية لمواجهته.

إن ما أوردته من ملامح لازمه الثقافة العربية هو فيض من غيض،ليس الهف منه السرد فقط بل لعله يكون الحافز والدافع نحو النهوض من الكبوة ومعالجه مكامن الخطر والخطاء لإصلاحها، وخاصة أن أهم مميزات امتنا أنها أمه مرنه قابله للتأقلم مع الظروف

والتكيف مع المستجدات لأنها أمه قد تنام ولكنها لا تموت فسيأتي زمان العرب وستنهض ألامه من كبوتها وتصحو على ثقافة عريقة تستمد معاصرتها من أصلتها لا تتنكر لماضيها وتحترم حاضرها وتبني لمستقبلها وتؤسس لتاريخ جديد فيه من الإشراق واللمعان ما يخطف أبصار الطامعين ويعمي أعين الحاقدين.

الثقافة العربية وتحديات المستقبل.

إن التغيرات التي عاشتها وتعيشها البشرية وخصوصا منذ بداية القرن العشرين إلى اليوم وخاصة التطورات الهائلة التي حدثت في العقد الأخير من القرن الماضي والتي أفرزت نظاما عالميا جديدا ومرحله إنسانيه جديدة هي العولمة وما ظهر من ثورة هائلة في نظم الاتصال والمواصلات والتطورات التقنية الهائلة كلها عوامل كان لها اكبر الأثر في تشكيل تحديات من نوع جديد ينفرض على واقع الحياة العربية وكان أكثرها تأثرا هو الثقافة لأنها روح ألامه وهويتها،وقد نستطيع أن نجمل هذه التحديات في نقاط سريعة نعطي لها بعض التفصيل وذلك للمزيد من المعرفة حولها مع تصورات واقتراحات لما يجب أن نقوم به لنستوعب هذه التغيرات المتسارعة من حولنا لندخل في ركاب الإنسانية ولا نبقى حبيسين في ذواتنا منغلقين عما يدور حولنا، ولعل من ابرز هذه التحديات ما يلي:

أولا: الثورة الهائلة في التكنولوجيي:

والتي شملت نظم الاتصال والمواصلات والتي جلبت معها أنماط جديدة من الثقافة - وخاصة المرئية - والتي أصبحت شبكه الانترنت والفضائيات أهم أدواتها بما تحتويه من معارف -ثقافة - رقميه كان لها الدور البارز في إنتاج ما سمي (بالثقافة الرقمية)، وهنا يبرز التحدي الأكبر أمام ثقافتنا العربية لكي تثبت ذاتها وتظهر على السطح بقوة إمام هذا العملاق المعرفي الهائج الذي يلتهم الأضعف ويبقي على الأقوى.

وإن المراجع لمصادر ثقافتنا العربية يرى أنها تنطلق من ركائز شديدة القوة والمتانة لأنها ثوابت لا تقبل التغيير ولكنها تستوعب الآخر بما يحمله من ثقافة ومعرفه

وعلوم،واهم هذه الركائز هي "القرآن وألسنه" اللذان يشكلان مصدرا يعجز اللسان عن وصفه من مصادر الثقافة والمعرفة والعلم والأدب والفلسفة، وتشكل اللغة العربية مركزا أخر لا يقل قوة عن هما وذلك لأنها لغة القران الكريم وأداة خطابه ووسيلة الثقافة التي أرادها الله للعالمين والتي لديها القدرة على استيعاب كل معارف وعلوم الدنيا، وهذا الكلام ليس تبجحا لان التاريخ شاهد عليه حيث استطاعت اللغة العربية أن تستوعب علوم الرومان واليونان والقدماء أجمعين وتترجمه وتضعه على طبق من ذهب كإرث حضاري يغني المعرفة الإنسانية ويزيد ها رسوخا وشموخا.

إن التقنيات الحديثة تفرض علينا أن نجعل من لغتنا أداة للمعرفة على نوافذ شبكه الانترنت العالمية ليطلع الآخرين على نتاجنا ومعرفتنا ولنفرض أنفسنا على الساحات الثقافية والعلمية والمعرفية العالمية وذلك بعد غياب طويل،إننا قادرون على استيعاب كل مضامين العلوم والمعارف وتضمينها لغتنا القوية وجعلها أسس لثقافة جديدة تؤسس لعموم ومعارف رقميه يجب أن تكون في متناول ومقدور كل واحد من أبناء ألامه.

ثانيا: عولمة الثقافة وثقافة العولمة:

لا شك أن عولمة الثقافة وثقافة العولمة هي من اكبر التحديات المعاصرة لثقافتنا العربية وهي لا تنفصل بالضرورة عن النقطة السابقة وذلك لان التطورات التقنية هي إفراز كبير من إفرازات العولمة وأداة من أدواتها فبغير التكنولوجيا المتقدمة لا تستطيع العولمة تحقيق أهدافها والتي نمن أهمها صهر الكرة الأرضية كلها في منظومة واحدة من القيم والمفاهيم وإلغاء الخصوصيات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادي، وخاصة أن بلادنا العربية مستهدفه سياسيا واقتصاديا وكذلك ثقافيا،فهناك هجمة قويه على الثقافة العربية من جوانب شتى تهدف إلى تغييب المشهد الثقافي العربي عن الحضور الدولي والإسهام في مسيرة الحياة الإنسانية، وان خير ما نورده هنا هو ما قاله د. نبيل علي "بان الثقافة العربية والإسلامية تتعرض إلى التشويه والإساءة باستخدام الإنترنت دون أن يتاح لنا الدفاع عنها ونشرها وتسويقها بسبب عدم مواكبة المعلوماتية فمواقع

الإنترنت العربية (سواء كانت باللغة العربية أو اللغات الأجنبية) هي في الغالب ساذجة ومحدودة ولا تكاد تساوي شيئا بالنسبة للمواقع الأجنبية "، وهنا لابد من التمسك بالثوابت والخصوصية مع الأخذ بما هو جديد ومواكبه كل تطور واستيعابه ضمن المنظومة الثقافية العربية.

ثالثا:النظام الدولي الجديد:

النظام الدولي الجديد وتغير وجه العلاقات الدولية هو من اكبر التحديات التي تواجه الثقافة العربية، حيث تغير وجه التاريخ بعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي وغيابه كعملاق يحفظ التوازن عن الساحة الدولية،كل ذلك كان له الدور الأكبر في بروز وظهور أشكال جديدة من الثقافة أهمها كما اشرنا الثقافة الرقمية وثقافة الصورة التي تبهر الألباب وتسحر الأنظار، وأيضا نشؤ مفاهيم ثقافية جديدة تقف كالجبل الشامخ في وجه الخصوصيات هي أيضا ما اشرنا إليه وهو ثقافة العولمة التي لا تهدف إلا إلى نشر وترسيخ مفاهيم وقيم الثقافة الغربية وإلغاء العقول الأخرى وأهمها العقل الشرقي والعربي خصوصا، وخاصة في ظل النداءات الكثيرة التي بات العالم يصحو عليها كنهاية التاريخ وصراع الحضارات التي ليس لها نتيجة إلا سيادة النمط الغربي الحضاري وانتصار القفاه والحضارة الغربية باعتباره نهاية المطاف الذي ليس بعدة بعد.

رابعا:التحديات الداخلية:

إن التحديات الداخلية التي تنبع من جسم ألامه ذاتها والتي ابرز ضعف إرادتها وشخصيتها وخضوعها وتبعيتها لغيرها، وبروز ظواهر مرضيه مقيتة في جسدها أهمها النزاعات العرقية والمذهبية والطائفية والحزبية والتي لا تؤدي إلا إلى انشغالها عن الحفاظ على ثقافتها التي هي الحصن الأخير الذي تحتمي فيه هويتها كأمه خالدة ذات رسالة إنسانيه مقدسه.

ساهم ذلك كله إلى تفكيك أوصالها وضعف قوتها فعاد لها الاستعمار من جديد بأثواب مختلفة ومسميات جديدة أهمها إقناع المواطن بأنه مهضوم الحقوق ومسلوب

الإرادة ومكمم الفم ولابد من إنقاذه وحمايته ونشر قيم الحرية والتسامح وحقوق الإنسان في ربوع أرضه، رغم أن كل هذه القيم هي جزء أصيل من ثقافته وحضارته وبنائه الكلي،ولكن يبدو أن النتيجة كانت عكسية حيث ازداد العنف والتطرف والإرهاب والاقتتال والانقسام والانشغال عوضا عن التقدم والنهوض مما ساهم في تراجع دور الثقافة على حساب أولويات أخرى سياسية واقتصاديه.

التحديات الثقافية التي تواجه أمتنا العربية

التحديات التي تواجه اللغة العربية في أوطانها

تواجه العربية جملة من التحديات التي تعاني من أجلها نوعاً من العزلة عن الحياة اللغوية.

وأول هذه التحديات عزلة اللغة عن الاستعمال العام، حيث حلت اللهجات العامية محلها وأخذت مكانها في ألسنة الناطقين العرب ونتج عن ذلك نشوء مجموعة اللهجات المحلية التي تختلف من بلد لآخر داخل القطر الواحد، فإذا كان عدد البلاد العربية اثنتين وعشرين دولة هي مجموع الأعضاء في جامعة الدول العربية، فإن لدينا اثنتين وعشرين لهجة عامة، تتفرع عنها لهجات بلدية تتميز كل منها عن الأخرى ببعض الخواص الصوتية، وعندنا في مصر ــ مثلاً ــ لهجة مشتركة بين جميع المواطنين، ولكن صعيد مصر (الوجه القبلي) له لهجته الخاصة المتميزة، كما أن للدلتا لهجتها المتميزة.

وقد يكون لمواطني الإسكندرية خواصهم اللهجية التي لا تجري على غير ألسنتهم؛غير أن مجموع المواطنين في مصر يتفاهمون بالعامية المشتركة التي تتبناها أجهزة الإعلام، وتنشر بها رسالتها، سواء في ذلك الإذاعة والتلفزيون وأفلام السينما؛وهكذا الحال في كل قطر عربي، غير أنهم يقتربون من اللغة الفصحى عند مستوى ثقافي معين، فيخلطون مستوى الفصحى بمستوى العامية، وتنشأ عن ذلك لغة (فصح عاميه)، أي: خليط من الفصحى والعامية، وهذا الخليط يختلف نسبياً من دولة إلى دولة.

وإن كانت كمية الاختلافات قليلـة، نظـراً إلى انتشـار وسـائل الإعـلام التـي تسـتخدم في أحيان كثيرة المستوى (الفصح عاميه)؛ولسنا نستطيع أن نتجاهل عـاملاً خطـيراً مـن بـين عوامـل عزل الفصحى، وهو اسـتعمال المشـتغلين بالتـدريس في المـدارس العامـة (حتـى نهايـة المرحلـة الثانوية) لـلـهجات، أو لمستوى رديء من الفصح عاميه (1).

وقد نتساءل بعد ذلك عن حقيقة (الفصحى) ما هي ؟ وغاية مـا يمكـن أن نقولـه هـو : أنها مستوى من الأداء اللغوي ملتزم بالنمط القـرآني، حفاظـاً عـلى شـكل الكلمـة العربيـة وزنـاً ومعنى، ووصلاً ووقفاً وضبطاً والتزاماً بالمعجم الذي يشير إلى الجائز والممتنع، مع عـدم تجاهـل ما أوصت به المجامع العربية اللغويـة؛والقرآن الكـريم هـو دسـتور اللغـة الفصـحى المعـاصرة، ولاسيما في أدائه المتميز، فيما عدا الالتزام بأحكام تجويده.

ونـحن بهذا التعريف لا نشق على الناطقين بالفصحى، لأن حفظ القرآن يطلق الألــسنة الحافظة (العربية) بنمط الأداء القرآني دون أدنى مشقة؛ وللقرآن - كما نعلـم - دور في الحفـاظ على الفصحى والإبقاء عليها رغم كل عوامل الإحباط التي تحوطها، حتى لقد كـادت أن تتحـول إلى لغة خاصة، أو بالأحر لغة أرستقراطية، لا يسـتعملها إلا مـن تتـوفر فـيهم مواصـفات أدبيـة وعقدية معينة.

ولعل من عجائب القرآن أن تقوم بحفـظ وإتقـان أدائـه ألسـنة أعجميـة لم تـذق حرفـاً عربياً، ومع ذلك نجد أطفالاً وشباباً، ذكوراً وإناثاً يحفظون عن ظهر قلـب، بـل ويجيـدون أداءه بأحكام التجويد، وهم لا يفهمون جملة واحـدة مـن جملـه، أو آيـة مـن آياته؛قـد شـاهدت في ماليزيا مسابقة لحفظ القرآن الكريم وإتقان أدائه، واستمعت إلى شابة في ربيع العمر تقلد أحد قراء مصر المشهورين، وهي مع ذلك لا تعرف شيئاً من العربية، إننـي أزعـم أن هـذا الـتجلي لم يتحقق لنص في أية لغة من لغات العالم ما عدا القرآن، رغم ضخامة حجمه، ودقة أحكامه.

---

(1) د/عبد الصبور شاهين-محاضرة له بعنوان"التحديات التي تواجه لغتنا الجميلة-الخميس2006/9/9

ويجد ربنا الإشارة إلي أنه قد يكون لمواطني البلدان العربية خواصهم اللـهجية التـي لا تجري على غير ألسنتهم؛وأخطر من ذلك تأثيراً استخدام أساتذة الجامعات في الكليات التي تهتم بتعليم اللغة العربية للعامية (اللـهجات المحلية)، ولـيس ذلـك مـن بـاب المبالغـة أو التجنـي، فنحن لا ننكر وجود أساتذة يحترمـون اللغـة الفصحى، ويلتزمـون بأدائهـا في محـاضراتهم. وفي مقابل هؤلاء نجد بعض من يدرسون مادة (النحو العربي) ويسـتخدمون اللـهجات العاميـة في مخاطبة الطلاب بقواعد النحو وسائر علوم العربية.

فإذا كانت هذه هي الحال في كليات الآداب، وبخاصة في علوم العربية، فإن الحال أسـوأ في سائر الكليات التي تتخصص في الفنون والعلوم المختلفة، بحيث لا يسمح للعربيـة أن تـدلف إلى قاعات المحاضرات والبحوث. وربما جاز لنا أن نقول: إن جماهير الأساتذة في علـوم الهندسـة والطب والحقوق والعلوم والزراعة والفنون التشـكيلية، والمـواد التربويـة وغيرهـا مـن الكليـات الأخرى هؤلاء جميعاً لا يعرفون شيئاً من قواعد العربية الفصحى، وممارسة الحـديث بها؛وهـذا تصوير غير مخل للوضع الذي تواجهه الفصحى في أوطانها العربية، فهي لا تجد لخطواتها مكاناً يسعها، اللـهم إلا في بعض خطب الجمعة ــ على قلـة ـــ فأمـا مجـالات الخطـاب الجماهـيري، كمجـالس النـواب والشـورى والمجـالس القوميـة المتخصصـة فقـد أخلصـت ولاءهـا للعاميـة، وخاصمت الفصحى قولاً واحداً.

وعلينا أن نتصور الجهد الهائل الذي بذله المعلمـون لتطويـع ألسـنة التلاميـذ كي تنطـق بالأصـوات والتراكيـب التـي لا تألفهـا في لغاتهـا الأصـلية؛وقد شـهد التـاريخ إبـان زحـف الفـتح الإسلامي لأقطار آسيا من أدناها إلى أقصاها، شهد جهوداً بذلها المجاهدون الذين حملوا الإسـلام إلى تلكم الأقطار، ونشروا راية القـرآن، وعلمـوا تلـك الشـعوب خصـائص اللسـان العـربي، حتـى استبدلته بلغاتها الأصلية، وبرزت جماعات العلماء من أبناء تلكم الأقطار البعيدة، وقد نبغـوا في فنـون العربيـة، وصـاروا أئمتهـا، الـذين يفتـون في مشـكلاتها" كسـيبويه، وابـن سـينا، والفـارابي، والبيروني، والرازي وغيرهم" آلاف مـن العلـماء العبـاقرة، تنطـق آثـارهم بعظمـة مـا اسـتكن في قلوبهم من حب للعربية وولاء للقرآن.

ولقد مرت على الشعوب الإسلامية في آسيا قرون لا تعرف لها لساناً تتخاطب به غير العربية على حين توارت اللغات القومية كالأردية، والأفغانية، والتركستانية والاندونيسية، وغيرها، وسادت رموز الكتابة العربية؛ولقد أدرك أعداء الإسلام أن حربهم ضده يجب أن تعتمد على محاربة اللغة العربية، وإحياء اللغات القومية، سعياً إلى تقليص وجود القرآن، وتهميش عقيدته.

ولقد تحقق لهؤلاء الأعداء ما خططوا له، إبان العهد الاستعماري، والمرحلة الشيوعية، فارتدت أغلبية الشعوب الإسلامية إلى أحلامها القومية، وانتشرت فيها لغات المستعمرين، كالإنجليزية والروسية وتوارت العربية وضعف شأنها تبعاً لضعف شأن العرب في أقطارهم.

بل إن العرب أنفسهم قد تخلوا عن لغتهم، وعزلوها عن موضوعات الحضارة، واستخدموا بدلاً منها لغة المستعمر كالإنجليزية والفرنسية، ولاسيما في المجالات العلمية كالطب والهندسة والعلوم والرياضيات.

بل لقد اغتربت العربية في أوطانها، حتى صار التعليم العام، من أول مراحله يستخدم الإنجليزية، وصار التعليم بالعربية مقتصراً على بعض البيئات المتواضعة مادياً؛ومعنى ذلك أن البلاد العربية تزداد تخلفاً من الناحية المادية، فليس لها دور في إنتاج شيء جديد، ولا دور للعربية في تسمية منتج جديد. وهكذا آل أمرها إلى الفقر الشديد.

المبحث الثاني:التحديات التي تواجه تعليم اللغة العربية في المدارس والجامعات العربية.

يحتل الكتاب والمناهج المدرسية في العالم العربي أهمية كبيرة في تشكيل ثقافة ووعي الطلاب العرب وتتزايد تلك الأهمية في الوقت الحالي الذي يشهد هجمة قوية على المناهج والمقررات الدراسية العربية، وتتهمها بأنها تدعو للعنف والتطرف، ويعتبر تدريس اللغة العربية من أهم القضايا التي تشغل أساتذة التربية باعتبارها اللغة التي تعبر عن هوية الأمة العربية الإسلامية، وتمثل حمايتها واجبًا على الجميع لوقف زحف اللغات الأجنبية في مناهجنا الدراسية وفي وسائل الإعلام ولافتات الشوارع.

وحول "اللغة العربيـة في التعلـيم العـام" أقامـت كليـة (دار العلـوم بجامعـه القـاهرة) مؤتمرها السنوي الذي أكد على ضرورة الاهتمام باللغـة العربيـة في المنـاهج الدراسـية العربيـة، وعدم تدريس اللغات الأجنبية في المراحـل الدراسـية الأولى، وتعريـب العلـوم ليدرسـها الطـلاب بلغتهم القومية؛كما أشار المؤتمر إلى أن هناك فجوةً بين السياسة العامة للتعليم في العالم العربي، وما يحدث في المدارس، وطالب بضرورة ردم هذه الفجوة فورًا حتى تسـتطيع الـنظم التعليميـة في العالم العربي مواكبة التطور الكبير الذي يشهده العالم.

ولقد أشارد/ علي عبـد الـرحمن يوسـف" رئـيس جامعـة القـاهرة" إلى ضرورة الاهـتمام باللغة العربية في مراحـل التعلـيم العـام والفنـي باعتبارهـا لغـة القـرآن والحضـارة، مشـيرًا إلى ضرورة توصل المؤتمر إلى أطر للسياسـة العامـة في التعلـيم، ويشـمل الكتـاب المـدرسي ومادتـه، وأهداف تعليم اللغـة العربيـة، وتقـويم الامتحانـات والاختبـارات في التعلـيم العـام، مؤكـدًا أن مشكلات التعليم واحدة في الدول العربية؛ويؤكد د/ علاء الدين عبد المحسن شاهين"عميد كلية دار العلـوم- بجامعـة القـاهر ه" إلي ضرورة التحـام السياسـة بـالتعليم- وأن تبـادل الجامعـات العربية والمسئولين عن التربيـة والتعلـيم الخـبرات لإنقـاذ التعلـيم العـربي مـن المشـكلات التـي يُعانيها، مشيرًا إلى أن الوقت الحالي يفرض إعادة دراسة وتقييم الكتب المدرسية وأهداف تعلـيم اللغة العربية، وأوضاع معلمي اللغة العربية التي لا ترضي أحدًا، مؤكدًا أن حماية اللغة العربيـة وتدريسها بشكل جيد أصبح فرضًا على جميع المعنيين والمتخصصين في العالم العربي.

ويضيف أن التعليم أصبح حلبة الصراع بين الدول المتقدمة لتحقيـق التفـوق، مشـيرًا إلى أن أزمة التعليم التي يُعانيها العالم العـربي في ظـل ثـورة المعلومـات التـي تجتـاح العـالم تفرض التحرك بسرعة وفعالية للحاق بركب هذه الثورة، وأكد أن مَن يفقد مكانتـه في هـذا السباق العلمي والتكنولوجي فمن المؤكد أنه سيفقد إرادته في أقـرب فرصـة؛وأكد أن اللغـة العربية هي رمز الهوية والاستقلال في عالم تتزايد فيه الضـغوط ومحـاولات طمـس الثقافـة الوطنيـة للعـالمين العـربي والإسـلامي، موضـحًا أن العربيـة هـي التـي تـربط بالتـاريخ العـربي والإسـلامي، وأنـه لـن يتحقـق للعـالم العـربي نهضـة تعليميـة شـاملة دون الاعتـزاز

بلغتنا القومية؛مشيرًا إلى أنه ليست هناك دولة حققت سيادة واستقلالاً وإرادة دون لغتها القومية.

وأشارت الدكتورة "نادية جمال الدين" إلى دور الأسرة الجوهري في عملية التعليم؛ حيث تعتبر السنوات الست الأولى هي الأساس في تعليم الإنسان، الأمر الذي يفرض توجيه الأسر عناية أكبر بتعليم أبنائها خلال تلك هذه الفترة وما بعدها، وأضافت أن 13% فقط من الأطفال المصريين ينتظمون في "رياض الأطفال" في حين أن باقي الأطفال لا يتلقون أيَّ رعاية قبل دخول المدرسة، وطالبت بأن تكون مرحلة رياض الأطفال إلزامية؛وأضافت أنه في الوقت الذي أشارت فيه الدراسات إلى أن 50% من لغات العالم مهددة بالاندثار مع نهاية القرن الحالي فإن ذلك يفرض اهتمامًا أكبر باللغة العربية، منتقدة دور وسائل الإعلام، التي تقدم عددًا كبيرًا من أنواع التلوث اللغوي.

وطالب الدكتور "مصطفى الشكة"- عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- بإغلاق مدارس اللغات التي أثرت بشكل كبير على مستوى اللغة العربية لدى التلاميذ، منتقدًا تدريس اللغات الأجنبية في سنوات الدراسة الأولى، وأشار إلى ضرورة أن يتعلم الطالب مواد باللغة العربية ثم يدرس اللغات الأجنبية بشكل مستقل حتى تؤثر تلك اللغات على مستوى التلاميذ في اللغة العربية.

ولقد أشار "د/سعيد بن محمد آل يزيد"- الأستاذ بكلية المعلمين بالسعودية- إلى أهمية دراسة علم النحو باعتباره ركيزة أساسية يقوم عليها البناء التعليمي بأكمله، فمتى استقام لسان الطالب في التعليم الإلزامي فلن يعوج بعد ذلك؛وأوصي بإتاحة الفرصة لأساتذة النحو في تقويم الطلاب شفويًّا وتحريريًّا، وزيادة عدد الساعات المقررة لدراسة النحو والصرف؛وأشار إلي أن وسائل الإعلام التي ساهمت في تكوين صورة سلبية عن معلم اللغة العربية مسئولية عن تغيير تلك الصورة فورًا، فضلاً عن دور الأسرة والمعلم نفسه في تثقيف نفسه ذاتيًّا وتطوير أدواته، وطالبت الدراسة بضرورة إعداد مؤسسات فاعلة قادرة على تأهيل المعلمين ثقافيًّا وتربويًّا ولغويًّا بشكل يؤهله لتدريس اللغة العربية بصورة مناسبة.

وأشار الكاتب الصحفي "أحمد يوسف القرعي": إن وضع السياسات من جانب وزارة التربية والتعليم في مصر ليست كافية لإصلاح أوضاع التعليم؛ لكن يجب أن يكون التنفيذ بصورة جيدة تتماشى مع طموح الأمة العربية في الوقت الحالي، وطالب بمشاركة المجتمع كله مع المدرسة في تنفيذ السياسات التعليمية وعدم انفراد الوزارة بتنفيذها.

وأشار الدكتور "كمال بشر"- أمين عام مجمع اللغة العربية-إلي طريقة تدريس اللغة العربية في المدارس وأوضاع معلمي اللغة العربية، وتساءل كيف تظهر اللغة العربية ببناء متميز في ظل واقع سياسي واقتصادي واجتماعي متردٍّ، مشيرًا إلى أن هناك كارثة موجودة في طريقة تعليم اللغة العربية منذ سنوات عديدة، وستستمر إذا ظلت الأوضاع دون تغيير، وشرح أبعاد تلك الكارثة قائلاً:

إن مدرس اللغة العربية يتحدث بالعامية داخل الفصل في المدارس؛ بل وفي أقسام اللغة العربية بالجامعات، فضلاً عن مستوى هؤلاء المدرسين الضعيف أصلاً في اللغة العربية؛ وأشار في هذا الصدد إلى خطورة تعدد الجهات التي تخرج مدرسي اللغة العربية من كليات التربية ودار العلوم والأزهر والآداب؛وأضاف أنه لا أمل لإصلاح أوضاع اللغة العربية في ظل معلم جاهل وكتاب عقيم.

ومما سبق يتضح لنا أن التحديات التي تواجه اللغة العربية في الدول العربية وهي كما يلي:

1. زحف اللغات الأجنبية في مناهجنا الدراسية وفي وسائل الإعلام ولافتات الشوارع.
2. تدريس اللغات الأجنبية في المرحل الدراسية الأولي من حياة الطفل العربي.
3. الفجوة بين السياسة العامة للتعليم في العالم العربي، وما يحدث في المدارس.
4. عدم تقييم الكتب الدراسية والانصراف عن أهداف تعليم اللغة العربية في المدارس والجامعات.

5. طريقة تدريس اللغة العربية في المدارس والأوضاع السيئة لمعلمي اللغة العربية.
6. تحدث معلمي اللغة العربية باللغة العامية داخل حجرات الدراسة.
7. تعدد الجهات التي يتخرج منها مدرسي اللغة العربية.
8. عزل اللغة العربية عن الاستعمال العام.
9. إحلال اللهجات العامية محل اللغة العربية وسيادة اللغة الفصح عامية محل اللغة العربية.
10. سيادة اللغة العامية في مجالات الخطب الجماهيرية كما في مجالس النواب ومجلس الشعب.

خطر الغزو الإعلامي والثقافي على المجتمع العربي.

تعتبر مسألة الغزو الثقافي والإعلامي من أولى المسائل التي واجهت وتواجه الأمة الإسلامية والوطن العربي تحديدا فقد وعت الدول الغربية العظمى إلى خطر يهدد قوتها واستمرار سيطرتها على العالم، وهذا ما لا يروق لها بل ويقض مضاجعها فبدأت بوضع وتكريس كافة إمكانياتها للوقوف في وجه هذا التهديد وتنبهت للطرق الأسهل والأسرع فتوجهت للفكر العربي من خلال إعلام صنعته لغرض تغريب هذا الفكر وجعله أسيرا لما يراه ويشاهده.

فمما لا شك فيه أن الإعلام بكل أنواعه وتقنياته قد أحرز نجاحاً باهراً في جميع المجالات وهو من أقوى وسائل الإقناع الذاتي في أتباع الأسلوب الهادئ والرزين دون اللجوء إلى العنف؛ لكنه في نفس الوقت أنفذ إلى القلوب من السهام وأشد وقعاً على النفوس، إذ له ظاهر أنيق ومنظر جذاب وهيكل أخاذ إضافة إلى مجموعات الإثارة الكاملة والمواد الغزيرة والمعلومات المتدفقة إلى ما لا نهاية، من التصوير والإضاءة وما شابه؛ فلا بد من تأثيره الفعال ونفاذه إلى الأعماق بصورة سريعة ومباشرة، والغرب من حيث طول الباع لديه في هذا المجال واهتمامه التام في تطويره قد قطع شوطاً مهماً في

سبيل ذلك؛ولكن هـل نصـدق كـل مـا يقولـه الإعـلام الغـربي عـن الإسـلام والمسـلمين وأنـه مـن نتائج(صـدام الحضـارات) الـذي يـدعو إليـه ساسـة الغـرب ومفكـروه، وأن الحمـلات الإعلاميـة المتعاقبة التي لا يكاد ينجو منها بلد مسلم ليست إلا وجهاً من وجوه حـرب الإسـاءة والتشـويه التي اعتمدتها سلاحاً ماضياً في صراعها.

إنه قوة هائلة لا قبل لنا بها كاسحة في التأثير تغطي القارات الخمس بلا منازع لتزرع في أذهان الشعوب ما تشاء من الصور، لا تبالي في ما تتناوله من أحداث العـالم بـالعرض والتحليـل إلا ما تراه يخدم مصالحها وينجح في إيصال ما تريد وترغب وقـد لعبـت ثـورة الاتصـالات دورا كبيرا في نجاح هذا الإعلام وجعلت منه قوة تفوق قوة السلاح فبعد أن كان توزيـع الصـحيفة لا يتجاوز البلد الذي تصدر به جاءت وسائل الاتصال الحديثة من أقمار صـناعية وإنترنـت لتلغـي حدود الدول وتوصل المعلومة للقارئ أينما كان، فشعوب العالم لا تعرف في معظم الأحوال عـن الإسلام وقضاياه إلا من خلال ما تتلقاه مـن الإعـلام الغـربي مـع كثـير مـن التحريـف والتضـليل والإساءة، وحذرت دراسة علمية من ظاهرة الغزو الإعلامي الأجنبي في وسـائل الإعـلام العربيـة، وبالذات الـبرامج الواقعيّـة المعربـة مـن الـبرامج العالميـة، وأظهـرت الدراسـة (الغـزو الإعلامـي والانحراف الاجتماعي: دراسة تحليليّة لبرامج الفضائيات العربيـة) التـي أعـدها "د/يـأس خضر البياني" [(1)]

أظهرت أن وسائل الإعلام العربية شاركت في تعميق الغـزو الإعلامـي الأجنبـي، مـن خلال ما تعرضه من البرامج الغربية،وبالأخص ما يسمى ببرامج (تلفزيون الواقع) مـن دون أن تضع تلك الفضـائيات بالحسـبان قـيم المجتمـع العـربي وتقاليـده وأنماطـه الاجتماعيـة فمنذ متـى تعـرض الفضـائيات العربيـة برنـامج تقـوم فكرتـه عـلى عـرض فتيـات للـزواج ومرافقة الكاميرا لهن حتى في غرف النوم وهذا مـا تقـوم عليـه فكـرة برنـامج (عـلى الهـوا سـوا)الـذي بثتـه إحـدى القنـوات الفضـائية ولاحظـت الدراسـة مـن خـلال الإحصـائيات

(1) الأستاذ في كلية المعلومات والإعلام والعلاقات العامة بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجي.

العلمية الجديدة، بأن بـرامج القنـوات الفضـائية العربيـة تقـتصر عـلى المـادة الترفيهيـة وأفـلام الجريمة والعنف والرعب والجنس، أي أن ثقافة الصورة تطغـى عليهـا أكـثر مـن ظـاهرة سـلبية تتمثل بالاغتراب، القلق، إثارة الغريزة، الفردية، العدوانيـة، دافعيّـة الانحـراف، وكلهـا مفـردات تتأسس في إدراك الشباب وسلوكهم ومعارفهم بحيث تتحول من مجرد صورة ذهنيـة إلى نشـاط عملي عن طريق المحاكاة والتقليد وعمليات التطبيع الاجتماعي.

هذا بالإضافة إلي أن الأطفال والمراهقين والشباب يتأثرون بنتائج هذه الثقافة الإعلاميـة، ومن المحتمل أن تخلق برامج الفضائيات العربيـة الاضـطراب الاجتماعـي، وعـدم الاسـتقرار في العلاقات العامة الاجتماعية، وتنمية الفردية والروح الاستهلاكيّة، والهـروب مـن التصـدي لواقـع الحياة، والاستسلام له، والانبهار بالموديل الأجنبي على حساب الهويـة الثقافيـة، وكـذلك تراجـع الانتماء لـلـهوية وازدياد اليأس والإحباط.

ووجدت الدراسة أن القنوات الفضائية العربية،وبالـذات الخاصـة، بـدأت تتسـابق عـلي إرضاء الجمهور العربي، وخاصة الشباب، واجتذابها لهم بـأي صـورة مـن خـلال المـواد الترفيهيـة التي تتعارض مع التنشئة الاجتماعية العربية ومقوماتها، خاصة في إشاعة الـنماذج الغربيـة مـن البرامج المستنسخة التي تحفل بأنواع فنون الإثارة الجسدية والغريزية وبمواصفات قد لا نجدها حتى في القنوات الفضائية الأجنبية فمثلا أصبحنا نـرى عـلى الفضـائيات الأغنيـة المصـورة أو مـا يسمى (بالفيديو كليب) وما يرافقها من مشاهد خلاعة تجعلنـا نـنسى أننـا نتـابع أغنيـة ذات مضمون ومعنى، ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل أصبحنا نلمس في مجتمعاتنا العربية التقليـد الأعمى لهذا المضمون الهابط فمثلا أصـبحت الفتـاة تقـوم بحركـات المغنيـة الفلانيـة أو تختـار ملابس شبيهة بملابس الفنانة الفلانيـة وكـأنهن اتخـذن تلـك الفنانـات قـدوة لهـن في كـل شيء وأشارت الدراسة إلى ضرورة الانتباه إلي هذه الظـاهرة عـلى أنهـا قـد تحمـل توجهـات سياسـية وفكرية ملغومة تريد تدمير الواقع العربي وثقافة المجتمع وقيمه.

وخرجت الدراسة بعدد من التوصيات أبرزهـا ضرورة الاعـتراف بـان انفجـار المعلومـات والمنجـزات التقنيـة في زمــن العولمــة لا يلغــي الحقيقــة بــأن الثــورة الحضــارية ينبغــي

استيعابها وتقبلها بوعي حضاري واستيعاب ذكي، بما يجعلنا قادرين علي الاستفادة منها، بمعنى اقتناء المفيد من المعلومات والبرامج وأخذ ما يتناسب مع واقعنا العربي وأهمية تعميق وعي الشباب العربي وثقافته وممارسته للديمقراطية وتعويده على التعامل الحضاري مع المعلومة بايجا بياتها وسلبياتها، إضافة إلي أهمية وضع خطة إعلامية من قبل الدول العربية تأخذ مسارين:

- الأول : خطة إعلامية لمواجهة الغزو الإعلامي والثقافي.
- الثاني : خطة إعلامية لتحصين الشباب.

بمعنى أن مواجهة الغزو لابد أن تستند على خطة تتعلق بالطرق والوسائل الكفيلة للتقليل من طوفان المادة الإعلامية الأجنبية في التلفزيون العربي، ومحاولة منع ظاهرة البرامج الواقعية التي لا ترتبط بقيم المجتمع وثقافته، وتطوير وسائل الإعلام الوطني ومضامينه، كذلك تأتي مسألة الغزو الثقافي للمجتمع الإسلامي من أولى المسائل التي أخذت الحيز الكبير لدى الباحثين نتيجة الأثر الواضح الذي خلفه هذا الغزو في البلاد العربية والإسلامية والذي قامت على نشره وترويجه مؤسسات ومنظمات ومراكز متعددة منها الصهيونية والتبشير والاستعمار والأيديولوجيات المعادية للإسلام كالديموقراطية الليبرالية والشيوعية والقومية والفلسفات الهدامة فنتيجة الصحوة الإسلامية المعاصرة تفاقمت نزعة العداء نحو الإسلام من قبل أعدائه، وبالتالي ازدادت جهودهم لتوسيع المفاهيم الخاطئه عن الإسلام في أذهان الغربيين من جهة، وتصعيد عمليات الغزو الثقافي للعرب من جهة أخرى.

والمؤسف أن بعض المفكرين يرفضون مصطلح الغزو الثقافي أو الفكري لأن (الغزو) مصطلح عسكري، ويطالبون بأن نتحدث عن (استيراد) فكري أو إيديولوجي بمعنى التفاعل مع الغرب، ولهذا فإن الحديث عن (الغزو الفكري) في رأيهم يعني الانغلاق على الهوية، وهو ما يجب أن يتحاشاه المسلمون، ولكي نوضح أن ما يحدث هو غزو وليس تبادلاً فكرياً نورد بعض أشكال وأساليب هذا الغزو حيث نجد أن أهم ما يلجأ إليه الغرب في حربه ضد المسلمين والإسلام هو عرضه الخبيث للفارق بين واقع

المسلم وواقع المواطن الغربي من جميع النواحي، فهم يصورون الغربي على حالـة مـن الرفاهيـة والنعيم التي يصعب على المسلم أن يصل إليها، ويصورونه في حالة من الحرية والرخـاء وحريـة القول والعمل، بينما المسلم مكبوت مضطهد لا يستطيع أن يتصرف أو يتكلم بحرية.

وبعد أن يرسخ أعداء الإسلام هذه المفـاهيم في الأذهـان وكأنهـا أمـر واقـع لا سـبيل إلى تغييره يمضون في بث الشعارات والمفاهيم المغرضة، ولنعترف بأن هـذه المفـاهيم المغلوطـة قـد تكونت لدى كثير من الأجيال المعاصرة واستطاعت أن تحدد للدين دوره بمعزل عن الحيـاة وفي زاوية ضيقة يلخصها شعار- فصل الدين عن الدولة -أو تلغـي دوره مـن الحيـاة أساسـا، فهـو لا يرتبط بالواقع من خلال المعاني التي تصنع القوة والحركة والتقدم، بل ينظر إليه باعتباره سـبب الضعف والجمود والتأخر كما تدل على ذلك شعارات كاذبة مثل " الـدين أفيـون الشـعوب " و "الدين ضد العلم ".

ويمكن أن نعدد أيضا من أساليب الغزو الثقافي المحاولات التالية:

1. توظيف السينما والتلفزه، فثمة مئات من الأفلام السينمائية الغربية التي تحاول تشـويه صـورة العـرب والمسـلمين، ويوميـاً تبـث القنـاوت الفضـائية عشرات المسلسلات التلفزيونية التي تكرس فكرة تخلفهم.
2. توظيف الكثير من الكتاب والمؤلفين ليكتبـوا مـا يشـوّه صـورة الإسـلام بأسـلوب خبيث ذكي وليتسرب بذلك السم إلى عقولنا.
3. تشجيع الخلافات المذهبيـة بـين المسـلمين وتعميقهـا ثـم إبرازهـا عـبر القنـوات الإعلامية على أنها تمثل الإسلام.

ويشـير" د. محمـد عبـدا لعلـيم مـرسي[1] "إلي مفهـوم الغـزو الثقـافي وأثـره عـلى المجتمعـات العربيـة واصـفاً إيـاه بأنـه أحـد أشـكال الاسـتعمار الجديـد ويسـميه «الصـليبية الجديدة» التـي تعمـل عـلى تنصـير العـالم ومحاولـة فـرض التغريـب عـلى بعـض الأقطـار عـبر

(1) محمد عبد العليم: كتاب المنظور الإسلامي للثقافة والتربية،ص 150.

النخب الحاكمة والمثقفين المنبهرين بحضارة الغرب ويشير الكاتب إلى أن بعض الدول العربية تأخذ ماهو سطحي وخالي من المضمون من المادة الإعلامية الغربية وتقدمه للمتلقي العربي رغم تعارضه مع مبادئ الدين الإسلامي؛ وقد وصل الغزو الثقافي إلى حد إهمال اللغة العربية في الكليات العملية وبالتحديد الطب والصيدلة والهندسة، حيث يجرى التدريس فيها باللغة الإنجليزية.

مقارنا ذالك بموقف اليابان التي رفضت بإصرار شديد، أي تعديل في لغتها من جانب الأمريكيين عند توقيع معاهدة السلام عام 1950م، ونلاحظ في بعض الدول العربية مسألة شيوع اللهجة العامية في بعض القنوات الفضائية والإذاعات منها إذاعة الجنوب اللبنانية التي تلقي معظم برامجها باللهجة العامية و لكن بالحقيقة ماهي إلا محاولة من إسرائيل التي كانت تسيطر على هذه الإذاعة لتشويه اللغة العربية وإفراغها من محتواها وشيوع العامية وقد وجدت إسرائيل ضالتها في تحقيق ذلك من خلال بعض المفكرين والشعراء اللبنانيين أمثال الشاعر(سعيد عقل) الذي دعا إلى التخلص من قيود الفصحى ونشر العامية على أساس أنها لهجة قريبة من المتلقي وأسهل للفهم، إلا أنه أمر بعيد كل البعد عن الحقيقة فالمشاهد أو المستمع الذي يفهم لهجة بلده مثلا ليس بالضرورة يستطيع فهم اللهجات الأخرى وبالتالي تكون الفصحى أكثر فهما لجميع الأقطار العربية.

وللغزو الثقافي جوانب تشمل تقلص حجم العلوم الشرعية ومقررات الهوية الإسلامية في المدارس والجامعات العربية والتوسع في إقامة المدارس الأجنبية في بلاد المسلمين، وهنا تأتي أهمية الثقافة في أنها تعمل على تماسك البناء الاجتماعي داخل المجتمع، وتحقيق الطمأنينة للفرد وإشباع حاجته للأمن، وتحفظ للمجتمع تراثه القديم، وما نراه من غزو ثقافي أمريكي تجاه المنطقة في صور التعاون المشترك في مجال البحث العلمي والبحوث المشتركة والذي بدأ يتزايد مع بداية القرن العشرين.

وتشير أحدث الإحصائيات أنه في إيران تم إنشاء108 مدرسة غربية، وفى تركيا 450 مدرسة، وفى سوريا 95 مدرسة، وفى مصر 200 مدرسة؛غير أن الفترة التالية

للحرب العالمية الثانية كانت هي الأخطر؛ حيث بـرزت بـرامج تعليميـة ناجحـة وهادفـة، مثـل مشروع "فأولبرايت" للتبادل التعليمي عام 1949، ثـم مشروع "فـران كلـين" عـام 1952، والـذي وزع في سنواته العشر الأولى 30 مليون كتاب أمريكي في سـعيه لهيمنـة الثقافـة الأمريكيـة عـلى الثقافة العربية وجعل القارئ العربي في موضع مقارنة بين الثقافة الأمريكية التي تروجهـا هـذه الكتب والثقافة العربية التي تصفها بالتخلف والبعد عـن الواقـع، وعـلى مـدى خمسـة وثمـانين عاماً، ظلت الجامعة الأمريكية في مصر تدافع علناً عن النظم الاجتماعيـة الغربيـة، واسـتحدثت الجامعة قسم الدراسات الممتدة الذي افتتح في عام 1924م للإسهام في فحـص المجتمـع المصري، وجمع أكبر قدر من المعلومـات عنـه وبنـاء تصـور لمشـكلاته، ومـن أهدافـه التـأثير في الخلفيـة الاجتماعية لطلاب الجامعة الشرقيين، وفي الأقطار المسلمة (عادات وتقاليد اجتماعية) التي تمثل أكبر عائق أمام تغريب الطلاب، والتأثير في طلاب الجامعة الذين سيناط بهم قيـادة المجتمـع في المستقبل.

كما أن معظم القائمين على تـدريس التـاريخ الإسـلامي هـم أسـاتذة مسـيحيين أجانـب، ويقومون أيضاً بتدريس تاريخ الشرق الأوسط والحركـات الإسـلامية المعـاصرة، حتـى المدرسـات المسلمات يتم تصعيد المعاديات للإسلام منهن لهذا القسم ومنهن هدى لطفي مدرسـة التـاريخ الإسلامي، والتي تشكك في القرآن وتـرفض الحـديث مـن منظورهـا المعـادي للإسـلام إضـافة إلى الندوات التثقيفية التي تديرها الجامعة لكبار العلمانيين في مصر تدور مثلاً حول تـفشي ظـاهرة الحجاب كأنها مرض سببه الفقر، أما المتحدثات عن حقوق المـرآة؛ إلى جانـب سلسـلة النـدوات التي كانت عن الصراع العربي الصهيوني،.وغيره من الأمور التي نجحت في ترسيخ مـا تريـده مـن أفكار في عقول الطلبة العرب[1].

ففي دراسة عن "الهوية العربية الإسلامية ودور المؤسسة التعليمية في تشكيلها "قام بهـا "د/أحمد ثابت" أستاذ العلوم السياسية جاءت نتائج عينة الجامعة الأمريكية كما يلي:

(1) شبكة النبأ المعلوماتية -الاثنين 2008/9/19 - 1426/11/16.

1. 71.5% من طلاب الجامعة الأمريكية لا يعرفون لون العلم المصري أو ترتيب ألوانه.
2. 38.5% يرون أن ارتداء الحجاب يعد مظهراً للتخلف ومؤشراً لسلوك الفقراء.
3. 27.5% على شوق جارف للحصول على الجنسية الأمريكية، 19.5 % يرون في تبادل القبلات بين الطلبة والطالبات مسألة حضارية ولا تتنافى مع التقاليد المصرية.
4. 75% يرون أن الوجود الأوروبي الاستعماري في مصر كان تعاوناً وتنويراً ولم يكن استعماراً، وأن مشاكل المجتمع المصري عندهم هي في قلة أماكن اللهو، وضوضاء أماكن العبادة، وعدم وجود أماكن لانتظار السيارات، وسوء فهم المجتمع للاختلاط بين الجنسين وحتى اللهو في هذه المدارس يتميز بالانحلال الأخلاقي، حيث تقام حفلات مختلطة مستمرة على أنغام الديسكو، وتعرض تمثيليات قصصية مترجمة منها ما هو عن المسيح وغيره من الأفكار الغربية المنحلة، وذلك في مناسبات الكريسماس وغيرها من الاحتفالات التي حلت مكان الاحتفالات الدينية كعيد السنة الهجرية وعيد المولد النبوي.

دور المؤسسات التربوية في مكافحة الغزو الثقافي، ويتلخص هذا الدور في الآتي[1] :

1. قيام علماء التربية بكشف أهداف المدارس الأجنبية المقامة في البلدان الإسلامية، وتفنيد مناهجها ومقرراتها الدراسية ونشاطاتها وتوضيح مخاطرها على الأمة، واقتراح مناهج ومقررات بديلة، ودراسة آثار خريجي هذه المدارس على المجتمعات المحلية التي ينتمون إليها ويعملون في مؤسساتها.

---

(1) سليم علي جواد - نحن والآخر - مجلة الراية - العدد 203 - بيروت - 1988 .

2. أن تعرض البرامج والمواد الإعلامية المستوردة من الخارج على لجان متخصصة من أساتذة التربية والإعلام، لكي يبدوا رأيهم فيها قبل أن تقدم للمجتمع.
3. إعداد كوادر للعمل الإعلامي وذلك في مرحلة التعليم الجامعي، مع عدم إغفال البعد التربوي في هذه العملية، ويقتضي ذلك أن يشارك أساتذة التربية في وضع الخطط الدراسية لكليات الإعلام..
4. قيام الدعاة وخطباء المساجد بتبصير الناس بمخاطر الغزو الثقافي وأساليب عمل مؤسسات هذا الغزو، وأن تعتمد الخطب على البيانات والمعلومات الموثقة.
5. ومن هنا نرى أن الإعلام والغزو الثقافي الأجنبي أصبح يشكل أكبر تهديد للثقافة العربية والإسلامية، لأنه يكون كوادر موالية للحضارة الغربية، وبالتالي إزالة أي أثر لثقافة الشعوب وحضارتها وهو ما تسعى بكل ما أوتيت به لإكمال سيطرتها على العالم

الفصل التاسع

وسائل الإعلام والتوعية اللغوية ونشرها

الفصل التاسع

وسائل الإعلام والتوعية اللغوية ونشرها

مِن الملاحظ أن ثورة الإنترنت، ووسائل الاتصال الحَديثَة قَدْ جعلت لغات العـالم كلهـا - باستثناء الُلغَة الإنجليزية- تواجه مَجْمُوعَة من التَّحَدِيات أكثرها خطورة الاضـمحلال، والتـواري، وَربَّمَا الانقراض، فعلينا الاعتراف أن الُلغَة الأولى، والأقوى في عالم الإنترنت هِيَ الإنجليزية.

وَالُلغَة العَرَبية تواجه التَّحَدِيات نفسها، إضافة إلى شـيوع اسـتخدام العاميـات، وانتشـار استعمال الحرف اللاتيني أو ما يعرف بأسـلوب "العربيـزي" بـدل العـربي في الكِتابَـة مـن خِـلال وسائل: الإنترنت، والخلويات، وَربَّمَا يمتد الأمر إلى الْحَياة العادية.

تتمثل مُشْكِلَة الدراسة في الكشف عن دور وسائل الإعلام في التوعيـة اللغويـة ونشرهـا، والعمل عَلَى تَقْدِيم مَشْروع بديل يَعْمَـل عَـلَى تقويـة الُلغَـة العَرَبيـة، وَجَعَلَهَـا أكـثر جاذبيـة في وسائل الإعلام.

وستنطلق هَذِهِ الدراسة من تَعْريف وسائل الإعلام بأنها أي وسـيلة اتصـال لَهَـا جُمْهـور غَيْر مُتَجَانِس، وتصل إلى عدد كَبِير من النَّاس، من خِلال رسالة مرسلة، وقائم بالإتصـال، وعمليـة تفاعل من المتلقيين.

أمَّا التوعية اللغوية فيقصد بِهَا الْعَمَلِيَّة الاتصالية الَّتِي تعمل عَـلَى إيصـال رسـالة لِلْنَـاسِ تبين أهمية الُلغَة الأم (العَرَبية) في حياتهم، وَكَذلِكَ تظهر لَهُم مخاطر الذوبان الثقافي الَّذِي يأخذ في أحد أشكاله التخلي عَن الُلغَة، وإعتماد غيرها في مُخْتَلِف مناحي الْحَياة، ثمَّ العمل عَلَى إقناع ذلِكَ الجُمْهور بلغته، ونشرها بشتى الْوَسائِل.

أمَّـا المشروع المقـترح فسيتضـمن كيفيـة نشر الُلغَـة العَرَبيـة، وتقويتهـا، وَجَعَلَهَـا جاذبـة للقـائمين عَـلَى الاتصـال، والمتلقيـين في الوَقْـت نفسـه، كَـمَا يتضـمن اقتراحـات بتـدعيم

استعمال الُّلغَة، وبث ثقافة بناء الجُمْلَة العَرَبية، وَمَهَارَات الُّلغَة بِطَرِيقَة سلسة، وسهلة بَعِيداً عن التعقيد، وَالُّلغَة الخشبية.

العلاقة بين الإعلام واللغة

طبيعة العَلاقَة بَيْنَ الإعلام، واللغة لا تَسِير بالضرورة في خطوط متوازية، ذلك لأن الإعلام هو الطرف المتحكم أحياناً باللغة، لهذا ينعدم التكافؤ بينهما، وللإعلام مستويات لغوية لعلنا نلمسها يومياً في وسائل الاتصال المختلفة؛ المرئية، والمسموعة والمقروءة.

تبدو العلاقة بين اللغة العربية والإعلام علاقة متلازمة، فالإعلام دون لغة رصينة، مبسطة، لا يستقيم أمره، واللغة دون إعلام متطور، لا يمكنها أن تؤدي رسالتها في الانتشار وتعميم الذوق الراقي، والمساهمة في توفير شروط النهوض بالمجتمع، نحو الأفضل. وكما أن اللغة هي واحدة، من الأدوات الرئيسة، لتبليغ مكونات الحضارة، والاهتداء بسبل التقدم، وهي دعامة أساسية للعملية التربوية، والتعليمية إن هي خضعت لقوالب مرنة في التعلم والتلقين نجد الأمر ذاته بالنسبة للإعلام، باعتباره مجموعة من الآليات، والقنوات الناقلة للمعرفة، وللرسائل الحضارية، شريطة أن يفهم دوره ووظائفه، وتستوعب مكوناته التقنية، فهو رسالة، ووسيلة. وكلاهما يعتمدان على اللغة، وهذه الأخيرة تعتمد عليهما. ويمكن للإعلام، أن يرتقي باللغة، ويساهم في تطويرها، ويمكنه أيضاً أن يكون عنصر تأخر لَهَا، في حالة غياب الشروط الكفيلة بفهم واستيعاب الإعلام في مكوناته وشروطه[1].

غير أن أمر هذه العلاقة ليس سهلاً يسيراً، فمن النادر أن نجد في مجتمع من المجتمعات وحدة لغوية يسهل معها التعامل مع الإعلام، ويسهل على هذا الأخير التعامل

(1) بن الشيخ، عبد القادر، التلفزيون الهوية الثقافية، منشورات اتحاد الدول العربية، سلسلة بحوث ودراسات عدد 43، 999 ص28.

مع اللغة، فغالبية المجتمعات، تتكون من أعراق، ومجموعات بشرية، قد لا تستعمل لغة واحدة، بل لغات متعددة.

وَهَذِهِ التعددية ليست عائقاً في حد ذاته للرسالة الإعلامية، ما دامت تعددية اللغة داخل المجتمع، تعكس مكوناتها عرقية مختلفة، مما يتطلب معها، تعاملاً إعلامياً، يرتكز على منهجية محددة، تراعي هذه الخاصية، وتتجاوب مع مثل هذه الحالات، ولا تناقضها. إلا أن الإشكال يبرز حينما تكون في مجتمع ما لغة واحدة تجسد تلاقياً حضارياً لهذا المجتمع أو ذاك، لكن هذا التلاقي حول اللغة، لا يستدل على ركيزة معرفية قوية للارتقاء باللغة إلى درجة التعامل مع المستحدثات التكنولوجية في مجال الإعلام[1].

وبهذا نكون أمام صورة بناء جدلي للعلاقة بين اللغة والإعلام، أو بين الإعلام واللغة، وجدلية العلاقة تفرز دوراً خطيراً متميزاً للغة في تطوير الفكر، وليست مجرد مرآة تعكس الفكر فحسب. وهي ظاهرة اجتماعية كما ذهب عدد من الباحثين، من هنا فإن هذه العلاقة تحتم علينا أن ننظر للغة لا باعتبارها مجموعة من الآليات التقنية المرتبطة بالمسلك النحوي وقواعده، بل ننظر إليها كسلوك فردي واجتماعي يمكن وسائل الإعلام من الاستفادة من اللغة الفصحى المشتركة[2].

وتؤدي اللغة عملياتها الوظيفية الاتصالية في الإعلام من خلال مستويات عدة [3]:

1. وظيفة إعلامية: تكمن هذه الوظيفة في عملية توصيل المعلومات وإبلاغ الحقائق.

---

(1) لبيب، سعيد، برامج التلفزيون والتكنولوجيا الحديثة للاتصال في الوطن العربي، المجلة العربية للثقافة، عدد 11 آذار،1991، ص10

(2) مهنا، فريال، لغة الإعلام العربي بين الفصحى والعامية، مجلة اتحاد الإذاعات العربية، عدد2، 2000، ص29.

(3) عامر، عبد الحليم محمد، الإعداد اللغوي للإعلاميين، مؤتمر علم اللغة الأول، 2002، اللغة في وسائل الإعلام، القاهرة.

2. الوظيفة التعبيرية: وذلك من حيث التعبير عن المشاعر، أو تحريكها، والاتجاهات المستقبلية للرسالة الإعلامية.

3. الوظيفة الإقناعية : ذلك يأتي من خلال استخدام اللغة في إقناع الجماهير المستقبلة للرسائل الإعلامية برأي، أو وجهة نظر معينة.

4. الوظيفة الواقعية : هذه الوظيفة تنقل صورة الواقع لتساعد على الاطلاع على العالم الحقيقي المعاصر، من خلال البرامج الإعلامية، وبعض البرامج الثقافية والسياسية.

5. الوظيفة غير الواقعية- الخيالية: حيث تساعد على الهروب من الوَاقِع، ومن الضغوط النفسية، والاجتماعية، ونسيان المتاعب، لكي يلاقي الإنسان نفسه في عالم مغاير للذي يعيشه، وذلك من خلال تقمص الشخصيات عبر مشاهد في الإعلانات التجارية، والتمثيليات والأفلام الدرامية[1].

اللُّغَة ومكونات العَمَليات الاتصالية

ويتطلب فهم العلاقة الوظيفية بين اللُّغَة، والإعلام استجلاء واقع مكونات العمليات الاتصالية في عالمنا العربي، والتي تتحدد في الآتي:-

1- منتج المادة الاتصالية.

2- مضمون المادة الاتصالية.

3- لمن توجه هذه المادة.

4- وبأي وسيلة اتصالية سيتم إرسال هذا المضمون.

5- وما هي التأثيرات التي يحدثها هذا المضمون[2]

يعتمد المكون الأول (منتج المادة الاتصالية) مقولة اتخاذ الإعلام الحديث محوراً لمنظومة المجتمع الحديث، وانطلاقاً من هذه المقولة عمدت الشركات الإعلامية العملاقة أو

---

(1) الدليمي، عبد الرزاق، عولمة التلفزيون، ط1، 2005، دار جرير، عمان الأردن، ص30.

(2) عواطف عبد الرحمن، قضايا التبعية الإعلامية، الثقافة في العالم الثالث، ص92.

الشركات العابرة للقارات والقومية إلى احتكار السوق المستهلك، فهناك أربع وكالات أنباء عالمية معروفة باسم الكبار؛ وهي الأمريكيتان اسوشيتيد برس، يونيتد برس، ورويترز البريطانية، وآجنس فرانس برس الفرنسية[1].

ويسجل المكون الثاني وهو مضمون المادة الاتصالي أعلى أنواع الاحتكار وأشدها خطراً على المتلقي، ويشمل حقلاً واسعاً من المعلومات السياسية، والاجتماعية، والثقافية والسياسية، أو ما يمكن إدراجه في بعدين أساسيين: أولهما يتعلق بالاتجاهات، والقيم وأنماط السلوك، وثانيهما يتعلق بأنماط التنظيم، والإنتاج والاستهلاك.

وتكمن خطورة المضمون، أو الرسالة عبر وسائل الإعلام، من مصدر أو منتج غربي، إلى دول العالم الثالث، في مقصد هذا المضمون، وموقفه وظروف تكيفه، فالمضمون هو نص لغوي في الأساس، ولا يتم إنتاجه إلا بتوافر عناصر تكوينه؛ أي الحدث، والموقف والمرسل، وإنتاج النص هنا لمعناه، أي الرسالة تنتج دلالتها في التركيب الداخلي لأجزائها، هذا التركيب إلى يتضح فيه التعليق المتراتب للأجزاء على الكل.

ويتضمن المكون الثالث الجمهور المتلقي، للرسائل الإعلامية، والمفهوم السائد في الإعلام العربي، فالمتلقي يستقبل ما يوجهه إليه المرسل، بمعزل عن التفاعل معه، أو التواصل، وبغياب التواصل بمعناه الواسع الذي يتجاوز إبلاغ الرسائل إلى مهمة التعليم، والتعلم، والترفيه، واسترجاع المعلومات، والتحاور والتسامر من خلال حلقات النِّقَاش، وعقد المؤتمرات عن بعد.

لذا فإن الضرورة تحتم إجراء تعديلات جوهرية على صعيد محورية المتلقي، سواء من حيث إنتاج السلع الإعلامية المتميزة، القادرة على المنافسة، أو من حيث تنظيم أو أسلوب الإدارة والتسجيل، وإلا بقي المتلقي العربي أمام أحادية الخيار، أي اقتناء السلعة الثقافية من الخارج[2].

---

(1) الراعي، نبيل، الثقافة العربية وعصر المعلومات، ص354.

(2) الراعي، نبيل، الثقافة العربية وعصر المعلومات، ص368.

يختص المحور الرابع بالوسائل الإعلامية التي يتم من خلالها إرسال المضامين الإعلامية، على تنوعها، تلك التي تسهم في تشكيل الأنماط الاستهلاكية، وهنا يؤدي كل من الإعلام المرئي، والمسموع دوراً رئيساً، وتليهما الصحف والمجلات، والنشرات المهنية والكتب والأسطوانات، وشرائط الفيديو ووكالات الأنباء، والشبكات الدولية لِلْمَعْلوماتِ، مَع الانتباه إلى خطورة وسائل الإعلام الَّتِي تستعمل الإنترنت، وقدرتها عَلى النمو، والتمدد السريع، وَكَذَلِكَ التأثير الكبير عَلى النَّاس.

ويتعلق المحدد الخامس بالتأثيرات التي تحدثها الرَّسائِل، والمضامين الإعلامية الثقافية، والاجتماعية لَدَى الجماهير المتلقية من شعوب العالم الثالث، ومنها العربية، عبر الإعلانات وسواها من المواد الإعلامية، والاتصالية، سواء المنشورة في الصف أو المذاعة في الإذاعات، والمعروضة عبر شاشات التلفزة.

ولاختلاف الوظائف التي يقوم بها الإعلام تختلف المضامين أحياناً، وتتآلف أحياناً أخرى، إلا أنها على اختلافاتها جميعاً، تتفق أنها تتكون من عناصر محددة، وهي: المرسل، الرسالة، المستقبل، وتختلف في نوعية هذه العناصر، من وجهة نظر إعلامي لآخر، لأن الكلام مركب من ثلاث عناصر هي: من القائل، ومن مقول فيه، ومن الذي يوجه إليه القول(1). فلا يمكن أن يخلُ أي مضمون إعلامي من هذه العناصر الثلاث، حتى لو تباينت المضامين، فهي متفقة بشكل عام بهذه العناصر.

وللإعلام دور في تحقيق التنمية اللغوية، فهناك من يرى بأن الإعلام يبعث اللغة من ركودها، وهناك من يقول بأن الإعلام يسرع في موتها، أو تشويهها بلغته الخاصة التي تشتت ما عهدناه من سجية لغوية، بتحويلها للحقائق والمعاني، فتصبح الكوارث الطبيعية بأنواعها مثلاً : في لغة الإعلام "غضب الطبيعة" ويصبح العالم العربي والإسلامي دول عالم ثالث، إشارة للتخلف وتراجعه أمام دول العالم المتقدمة.

---

(1) ابن رشد، أبو الوليد، تلخيص الخطابة، تحقيق: محمد سالم، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1967، ص51.

ولعلنا نرى اليوم أن الإعلام حقق انتشاراً لغوياً، نتيجة اتساع رقعته وتأثيره في المجتمعات، وساهم بتداولها وإن كانت تتفاوت صحة هذا التداول، من أقصى الأرض إلى أقصاها، وهو الأمر الذي يخدم أعراض التنمية اللغوية بالمعنى الشامل للتنمية المعتمد في الخطاب المعاصر، وليس في التضخم اللغوي خطر على اللغة.

مما شك فيه أن لوسائل الإعلام تأثيرات مهمة في لغتنا، على معانيها، وهي تفعل ذلك بطرق عديدة، فهي تنشئ كلمات جديدة لها معان جديدة تتصل بها، وهي توسع المعاني الموجودة لدينا عن تعبيرات موجودة من قبل، وهي تستبدل معاني جديدة بأخرى قديمة، وذلك عن طريق إزاحة المعاني القديمة جانباً، وفوق ذلك كله، فهي تعمل على استقرار عادات المعاني بالنسبة لمفردات اللغة التي تستخدمها، لذا فإن استقرار معاني اللغة باتت إحدى وظائف وسائل الإعلام، ومعناها تدعيم الاستخدام الحالي للكلمات والمعاني، بالرغم من التغيرات التي طرأت عليها[1].

ووسائل الإعلام تؤثر في الطرق التي نتحدث بها، وعلى قواعدنا، وصرفنا، وتركيب الجمل، وتؤثر على اللغة بوجه عام، فتوسع الكلمات التي نستخدمها، وتعدلها، فتستقر معانيها، مثل ما دخل إلى معجم لغتنا اليومي، من كلمات قذفها الإعلام إلينا مثل عبارات: الخصخصة، الشرق الأوسط، دول الطوق، محور الشر، تحديد النسل، السلام العادل، عقوبات ذكية، وغيرها....الخ.

فقد تمكن الغرب في غالب الأحيان من قيادة اتجاه إعلامنا العربي، الذي بدوره يقود اتجاهاتنا، وأفكارنا، وعلاقاتنا الفردية والجماعية، فترى بشكل واضح، حضور الثقافات الغربية في مضامين الرسالة الإعلامية في الإعلام العربي، حتى أنه ملاحظ بأن الغرب يبرر ذلك بأن العرب مأخوذون بكل ما هو غربي، سواء على مستوى البرامج الإعلامية، أو الأفكار العامة، أو حتى الإعلانات، فالاسم الأجنبي يسهم في التحكم

---

(1) روكيتش وآخرون، نظريات وسائل الإعلام، ترجمة كمال عبد الرؤوف، ط5، 2004، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ص370.

بأسعار المبيعات، ويتناسب وزمن الاتصالات والعولمة، ويظهر السلعة بمظهر جديد، غير مكرر، وراق ومشهور.

ولعل كل هذا بسبب الاختراق الثقافي الغربي الذي أساسه حركة انتقال الأفكار والعقائد والقيم، والعادات والتقاليد الغربية، بشكل مكثف، وغير مسيطر عليه إلى المجتمعات الأخرى، والاختراق الثقافي، كسياسة وإستراتيجية تنتجها بعض الدول، يهدف إلى التدخل في شؤون الغير، بقصد التأثير في ثقافاتهم وسلوكهم، ومعتقداتهم، وتدخل كلياً، أو جزئياً، بمختلف الوسائل، أم وسائل الاختراق الثقافي فهي مجموعة الأنشطة الثقافية والإعلامية والفكرية التي توجهها جهة معنية نحو جهات مقصودة[1].

إن محتوى وسائل الإعلام العربية أخذ بالتأثر في أنماط الإعلام الغربي، من حيث التباين في الشكل والمضمون، بمستويات إعلامية لغوية غير مألوفة، وذلك كالمستوى الهابط الذي يثير استياء النقاد والمجتمع بشكل مستمر، والمستوى الذي لا يثير الجدل كالبرامج الموسيقية والأفلام الوثائقية الجامدة، وكذلك مستوى الذوق الراقي الذي يرقى بالأخلاق والتعليم، كالموسيقى الجادة، والمناقشات والحوارات الهادفة والدراما الهادفة.

إن الكلام عن اللغة العربية واستعمالاتها في الإعلام، يطرح تساؤلاً منهجياً وهو أي لغة نعني؟ هل اللغة العربية في إطارها البنائي الفصيح هي المقصودة، وهل هي قادرة على التعبير عن مضمون الرسالة التي نريد إبلاغها مهما كان هذا المضمون، وهل اللغة العربية الفصحى في وضعها الحالي، يمكن أن تشكل تعبيراً وحدوياً عن باقي شرائح المجتمعات العربية.

إننا حينما نتكلم عن الفوائد المتبادلة بين اللغة العربية في استعمالاتها في الإعلام، أو استعمالات الإعلام لها، يفرض علينا المقام أن نؤكد على أن ما يعرفه الإعلام من تطور تكنولوجي، وبالأخص على مستوى البث الفضائي، الذي زاد من دقته وساعد على انتشار وتعميم الرسالة الإعلامية وفرض صياغة ما يمكن أن نسميه: بمنهجية التوازن

(1) الدليمي، مرجع سابق، ص200.

بين القدرات الأدائية لوسائل الإعلام المرئية خاصة، وبين قدرات اللغة على التعامل مع هذا المعطى" ولقد أدى هذا الأمر إلى إبراز لغة وسطى انطلقت من أرضية توافقية، اعتمدت تهذيب اللهجات ورفعها إلى مستوى اللغة، حيث إن اللغة الوسطى هذه، اعتبرت بمثابة "لغة مشتركة" بإمكانها أن تكون" لغة الإعلام"[1].

فحينما نتكلم عن إمكانية استعمال اللغة العربية، في المجال الإعلامي، نطرح تساؤلاً منهجياً يتعلق بمدى إمكانية اللغة العربية على استيعاب التقنيات الحديثة للإعلام، وهل بإمكانها أن تستجيب لمتطلبات المستحدثات الاتصالية في مجال الإعلام، وهذا الأمر يرتبط موضوعياً بما اصطلح عليه بمصطلح " التحرير الإعلامي" الذي يحتاج إلى صياغة تمتاز بالجودة في التأليف، وإلى قدرة كبيرة ودراية علمية في موضوع من الموضوعات، التي تتطلب البحث في التراكمات المعرفية على مستوى التراث العربي، الذي يزخر بأمثلة متعددة في هذا الصدد، من ذلك أن المبدعين القدامى كانوا يشترطون في الكتابة السليمة القابلة للنفاذ والاستيعاب، توافر ثلاثة عناصر متصلة ببعضها وهي:

- يتعلق الشرط الأول بدقة اختيار الألفاظ.
- ويهم الشرط الثاني نظم الكلام.
- أما الثالث فيخص مراعاة الغرض المطلوب من الكلام، وقد اشترط وجوباً الإشارة إليه، مما يتطابق ومضمون الكلام بمقتضى الحال[2].

وفي الفهم المعاصر فإن الشروط الأساسية "للتحرير الإعلامي" تختصر في أن الإعلامي عليه أن يختار الألفاظ المناسبة ويربط فيما بينها ليكون التأليف مناسباً، ومطابقاً، مع مقتضيات قواعد اللغة في صياغة تشكل كلاً متكاملاً منسق الأجزاء مترابط الوحدات الداخلية، خالياً من الشذوذ والنشاز، على أن هذه الصياغة – السليمة لغوياً- المراعية لقواعد اللغة العربية، لا يمكن أن تكون كذلك إلا بالتشبث بقواعد النحو، حافظة على

(1) شرف وخفاجي، النحو لرجال الإعلام، الطبعة الأولى، القاهرة 1982، ص30.

(2) بن مراد، إبراهيم، في مسألة الاستعمال اللغوي في البرامج الإذاعية والتلفزيون، مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية. عدد 2-2000 ص43.

ترتيب الكلمات. واعتماداً على ذلك، فإن السياق العام "للتحرير الإعلامي" لا بد أن يعنى بدراسة وتأليف الكلام، تأليفاً دقيقاً، مرن الصياغة، سهل الاستيعاب بخصوص الرسالة الإعلامية(1).

وبالتأكيد، فإن ما نقصده "بلغة الصحف"، هو الذي قصده غيرنا مشيرين إلى تأثير الدارج من لغة بعض الصحف، وسموه "بلغة الجرائد" حيث كان الغرض منه إدخال تصويبات لغوية تهم الدارج من كلمات تذاع عبر التلفاز (2).

غير أن الاستعمال والتداول اللغوي، في وسائل الإعلام، سجل خروجاً عن المألوف اللغوي، الذي تفرضه قواعد اللغة العربية تحديداً. وهو ما أدى إلى حالة من التساهل في استعمال اللغة العربية الفصحى، ما نتج عنه "اللغة الوسطى" أو اللغة الثالثة.

ونجد في الأدبيات الصادرة خلال العقد الأخير، نماذج متميزة، مما ساهمت به وسائل الإعلام، في تركيب وإعادة تركيب اللغة عن طريق نشر مصطلحات جديدة وتداولها، بعد إخضاعها إلى ما اعتبر عادياً ومألوفاً من قواعد اللغة العربية، وتتعدد الأمثلة على ذلك كاستعمال:

- اسمين للدلالة على الظرفية والمكانية.
- اسم يليه اسم تلحق به ياء النسب مثل نحو: افروا أسيوي.
- علم يليه علم بينهما شرطة فاصلة مثل قمة بوش-بلير.
- ظرف يدل على المكان والزمان، يليه اسم تلحق به ياء النسب مثل " الأشعة فوق البنفسجية" (3).

---

(1) المصدر السابق، ص44.

(2) التلاوي، محمد نجيب، وسائل حضور الفصحى في وسائل الإعلام، مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية، عدد 2، 2000، ص49.

(3) التلاوي، محمد نجيب، وسائل حضور الفصحى في وسائل الإعلام، مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية، عدد 2، 2000، ص50.

ولقد أثار هذا المنحى اللغوي الجديد، والمرتبط بوسائل الإعلام، جدلاً واسعاً حول مدى قدرة هذا الاتجاه على صياغة اللغة العربية، صياغة جديدة وحول مدى قدرته على أن يؤثر في المتلقي، فهناك من اعتبر "اللغة الثالثة أو "الوسطى" أو التعبير الإعلامي: خروجاً على ما ألفه العرب من قواعد وتراكيب مؤكدين أن وسائل الإعلام بهذا السلوك تقوم بهدم ما تقوم ببنائه المدرسة في محاولة حثيثة لتعليم اللغة العربية وتحبيبها للنشء.

فاللغة العربية في الإعلام تتعرض يومياً لموجات من التشويه والتحريف، والواقع أن لغة الإعلام في شتى البرامج والأفلام تخترق حرمة اللغة الخاصة التي يكونها كل إنسان لنفسه وتتكون فيه من خلال عائلته وبيئته ووطنه [1].

والحقيقة أنه لا يُطلب من رجل الإعلام أن يتحدث إلى الجمهور بلغة سيبويه، بأن يبالغ في التقعر والتفاصح، وإنما أقصى ما يُطلب منه هو احترام قواعد اللغة والمعايير المنظمة لها، مما يضفي على أسلوبه مسحة من الأناقة والجمالية، وينأى به عن الإسفاف والرداءة والقصور، وعليه يجدر بمن يتصدى لمهنة الإعلام أن يُحسن التقدير في إبلاغ رسالته إلى الجمهور بحيث يوصل محتواها إلى المتلقي دون التجني على اللغة تطرفاً أو قصوراً.

غير أن هذا لا يعني أن في إمكان محبي اللغة العربية، وهم كثر كما نعتقد في طول العالم العربي وعرضه، السكوت دائماً عن تلك المجزرة اليومية التي تنحر اللغة العربية في كل ساعة ودقيقة على الشاشات الصغيرة، في معظمها، إن لم يكن في مجملها، أو عن تلك المجزرة الأخرى التي تطاول أبسط المعلومات وبعض البديهي منها، في برامج عدة.يتحدث فيها مقدموها،أو المشاركون في تمثيل حلقاتها بلغة ذات أداء سيئ أو منحرف،كما في كلام مقدمة أحد برامج الأطفال على شاشة المؤسسة اللبنانية للإرسال الذي يصطبغ بلهجة مطاطة ومتعثرة تعبث بلفظ الحروف وتراكيب الكلمات، وتُخلط دون مبرر،بين العربية والفرنسية والإنجليزية.

---

(1) كرم، جان جبران، التلفزيون والأطفال، دار الجيل بيروت، ط1، 1988، ص59.

ويقينا لا يمكننا أن نحصي أخطاء تعد بالمئات في كل يوم، من نصب الفاعل، إلى جر المفعول به، إلى اعتبار كل كلمة حالاً وتمييزاً، إلى رفع المضاف والمضاف إليه، ناهيك بالكوارث التي تحل بالمبتدأ والخبر وما إلى ذلك، ويصبح الخطر أكثر عندما نعلم أن مجتمعاتنا تكثر فيها نسبة الأمية وتقل فيها نسبة المقروئية.

ويجدر بنا في هذا المقام الإشارة بمرارة إلى دور الكثير من الفضائيات المحسوبة على العربية التي لا زالت تحاول جاهدة أن تكتم ما تبقى من أنفاس اللغة العربية لترديها ذبيحة على سطورها المشبوهة والتي باتت لا تمت إليها بصلة،وحينما تموت لغتنا لن يصلي أحد عليها الجنازة ولا الوحشة إذ الصلاة لا تجوز إلا باللغة العربية !! فرغم الوعي بالحاجة إلى أهمية تجديد الصيغ الإعلامية وجعلها متناسبة مع التطور التقني المهول لوسائل الاتصال وتنوعها،فإن الوعي باللغة لا يختلف عن الوعي بالحرية،أو الوعي بالآخر[1].

اللغة العربية بين مطرقة الإعلام المفتوح وسندان العولمة:

الإعلام سلاح ذو حدين،فإذ أكان بالمستوى المطلوب لغة وأداء، أصبح مدرسة لتعليم اللغة، وهذا يعني أن وسائل الإعلام قادرة على تربية الملكات اللغوية ورعايتها وتنميتها مما ينعكس إيجاباً على الإعلام نفسه، أما إذا تردى الإعلام إلى مستوى من الإسفاف، فإن ذلك نذير شؤم على تحوله إلى مستنقع آسن، يوشك أن يطال المجتمع بأسره ولا تسلم اللغة من عواقبه المؤذية.

ومن الطبيعي أن يؤدي هجر اللغة إلى هجر الثقافة والقيم المرتبطة بها، وبذلك يتأسس فراغ لغوي وثقافي تتدفق اللغات والثقافات الأجنبية إلى ملئه، إن قتل الفكر جريمة أشد من قتل الجسد،إنّه يرد الإنسان مجرد كائن حيواني دون هوية، إن الشعوب تنهار إن لم تكن محصنة من داخلها لا من حولها[2].

(1) ميهوبي، عزالدين، القاموس الإعلامي، صحافتنا وتعويم اللغة، يوم دراسي حول دور وسائل الإعلام في نشر اللغة العربية وترقيتها، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 15 يوليو2002، ص36.

(2) ليلة، علي، الثقافة العربية والشباب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1 2003، ص54.

ولمواجهـة عصر الكوكبيـة والتفجـر المعـرفي المتنـامي لثـورة الاتصـالات والمواصـلات، والسـماء المفتوحة، كان لابد من الرجوع إلى اللغة العربية بوصفها بوتقة الانصـهار العـربي والوجـداني والفكـري لأمة عربية واحدة.اللغة العربية هي التي تصنع وحدة الفكر والعقل [1].

واستعمال الفصحى لغة للإعلام ليس مطلبا عسـير المنـال، فلغـة الإعـلام هـي الفصـحى السهلة المبسطة في مستواها العملي...والمرونة والعمـق، وهـي الخصـائص التـي تجعلهـا تـنبض بالحياة والترجمة الأمينة للمعاني والأفكار، والاتساع للألفاظ والتعبـيرات الجديـدة، التـي يحكـم بصلاحيتها الاستعمال والذوق والشيوع [2].

وعلى الرغم من غنى اللغة العربية وقدرتها الدائمة عـلى اسـتيعاب مختلـف التطـورات، وقابليتها المستمرة للتجديد والتكيف مع التطورات، فإن دعاة وأحبار العولمـة مـافتئوا يروجـون لاغتيال اللغات القومية،مشككين في جدوى قدرتها على الحيلة في عصر الكوكبة، ولاشك أن هذه النظـرة عـلى مايطبعهـا مـن تحيـز تقـوم عـلى "عنصريـة واضـحة تـتهم فيهـا اللغـات العريقـة بالمحدودية والفقر...وترتكز هذه النظرة الدونية للغات الأخرى على وهن طبيعة اللغة العربيـة مثالا، وضعف قابليتها للتكنجـة اللغويـة والأدبيـة والثقافيـة...وعنـدما ننظـر في بعـض المسـائل الدالة ندرك تهم هذه الفرضية مثل علاقة اللغة بالفكر، فاللغـة العربيـة لغـة الـوحي والتقليـد الثقافي العربي برمته، على أن عناصر الثبات فيهـا ليسـت عقبـة أمـام عنـاصر التغـير الطارئـة أو الوافدة، وبالقـدر الـذي نخـدم فيـه لغتنـا، فإنهـا قابلـة لخدمـة تطـور المعرفـة وتكنجـة الأدب والمعلومات [3].

إن مـا آلـت إليـه اللغـة الآن في وسـائل الإعـلام بأشـكاله المختلفـة، لهـو صـورة مماثلـة وانعكاس حقيقـي لحالهـا في المجتمعـات العربيـة، وأن اسـتعمال الفصـيحة في الإعـلام يتطلـب اسـتعمالها بشـكل مـا في المجتمـع نفسـه، فتوحـد اللغـة واللسـان يـؤدي إلى توحـد المجتمـع،

---

(1) عيد، محمد إبراهيم، الهوية والقلق والإبداع، دار القاهرة، القاهرة، ط1 2002، ص64.

(2) شرف، عبد العزيز، الإعلام الإسلامي وتكنولوجيا الاتصال، دار قباء القاهرة،1998، ص107-108.

(3) أبو هيف، عبدالـلـه، اللغة العربية وتحديات العولمة، المجلة العربية للثقافة، ع43 س21، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ديسمبر2002، ص418.

وإعلامه، والاهتمام بها أمر واجب على كل من ينتمي إليه، يقول الثعالبي في هـذا: "مـن أحـب الـلـه، وأحب رسول الـلـه، ومن أحب الرسول أحـب العـرب، ومـن أحـب العـرب، أحـب اللغـة العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضـل العـرب والعجـم، ومـن أحـب العـربي عنـي بهـا، وصرف همته إليها"[1].

وعلى الإعلام كذلك الاهتمام بهـا، فـالإعلام لغـة ريـادة، والريـادة تفـرض عـلى الآخـرين الالتحاق بها، وليس إلحاقها بهم، فكثير من وسـائل الإعـلام كانـت تعتقـد واهمـة أن الجمهـور يفهم رسائلها، في حين أن العكس هو الصـحيح، فلسـت أرى أن الفصـيحة تشـكل عـائق يعـوق العملية التواصلية الإعلامية في عصرنا الحاضر، وهي قادرة على الانفتاح عـلى مسـتجدات العـالم وتطوراتـه المختلفـة، في العلـوم، والثقافـة، والمعلوماتيـة، والسياسـية، والاقتصـاد، والتكنولوجيـا الاتصالية.

إن هناك من يدعو إلى إحلال العامية محل الفصيحة في الإعـلام، وهنـاك مـن يـدعو إلى إزالة الـلـهجات العامية من الوجود وإحلال الفصيحة، وكلتا الدعوتين محكـوم علهـما بالفشـل، فالدعوة الأولى هدم في صرح الأمـة، وتقطيـع لأوصـالها الثقافيـة الوحيـدة التـي تـربط الأقطـار العربيـة والإسـلامية، والثانيـة لا عقلانيـة، ولـن تبلـغ هـدفها لأنهـا مخالفـة لشريعـة الحيـاة، فالازدواجية بين العامية والفصيحة موجودة في كل اللغات، لـذلك لا منـاص مـن التعـايش بـين اللسانين في الوطن الواحد، فالعامية الحياة اليومية، وهي غالباً فرع من الفصيحة وواحـدة مـن وجوهها، وأحياناً تكون اختصاراً وتبسيطاً على نحو من الأنحاء.

وما زالت بعض الأوساط الإعلامية تنادي باستعمال اللغة الوسطى، وتـرى أن الخطـأ المشـهور خـير وأفضـل مـن الصـواب المهجـور، وأن شـيوع الاسـتعمال نتـاج عـن أن اللفـظ المسـتعمل يحقـق الغـرض مـن اسـتعماله في الفهـم والإفهـام، متجهـة بهـذا إلى تقلـيص

---

(1) أبو منصور عبدالملك الثعالبي، فقه اللغة وسر العربيـة، تحقيـق إمـيلي نسـيب، ط2، دار الجيـل، بـيروت، 1998.

دور الفصيحة بدعوى الاستسهال، وتقليل المجهود، وبأن العربية لا تلائم برامج الحياة اليومية، وقصصها.

وإن ما يدعو للاستغراب أنها تلائم قصص وحكايات المسلسلات المدبلجة، التي يتحدث أبطالها لسان فصيح لا يتحدث بمثله أبطال المسلسلات العربية، غافلين عن أن اللغة والقومية والهوية أمران متلازمان ومتعادلان، واللغة هي التي تجعل من الشعوب مجتمعاً متماسكاً يديره فكر ولسان، وعقل واحد، مؤلفين من أنفسهم رابطة وكتلة لغوية واجتماعية واحدة.

ومن هنا فإن التعرف على جوانب القصور لدى وسائل الإعلام في مجال حفظ اللغة العربية الفصيحة وتوظيفها بشكل قوي ومؤثر في الإعلام بأشكاله المختلفة، لإيصال رسائل إعلامية ذات تأثير قوي، خالية من الجماليات اللغوية المستشرقة، أو الجماليات المنمقة بثقافات أخرى لا سيما الغربية، فإننا نوجز ذلك فيما يلي[1]:-

1- استعمالها لغة مترهلة في كثير من وسائلها، ووجوهها، وتكرار طائفة كبيرة من عباراتها، وصيغها التي تعج بالأخطاء اللغوية.

2- تسرب كثير من الألفاظ والمصطلحات غير السليمة في نطقها، وفي تركيبها مما يؤدي إلى التقاط المتلقي لها دون وعي مباشر، مما يسبب إشاعتها، وإلفها، دون إدراك لعدم صلاحها، وسلامتها.

3- تسرب الكثير من الألفاظ والصيغ، والعبارات الأجنبية إلى اللغة العربية الأصيلة، فتتعرض لغتنا بمرور الزمن، إلى تداخل لغوي هجين مع لغات أخرى.

4- استحواذ الصور المتحركة على لب المشاهد، وبذلك يكون اكتسابه للغة والمفردات، والمعاني الجديدة بسيطاً.

---

(1) أبو عرجه، تيسير، الإعلام والثقافة العربية، دار مجدلاوي للنشر، عمان، ط1، 2003، ص118.

وعلى ذلك فإن المطلوب إعلامياً لخدمة اللغة هو يتمثل في الآتي :-

- إشعال روح الغيرة على اللغـة العربيـة في نفـوس أبنائهـا، فهـي رمـز الهويـة، ووعـاء تنصهر فيها الثقافة والتاريخ.
- الكف والتوقف عن التعرض لصورة أستاذ اللغة العربية في الإعلام، وتحسين صـورته، وعدم جعله مادة للتندر والفكاهة والسخرية.
- تقديم اللغة العربية بصورتها الأنيقة والسهلة، وعدم اتهامها بالقصـور، والعجـز، لأن أي لغة تمتلك القوة الكافية للتعبير عن حاجـات أهلهـا، وتوظيفهـا توظيفـاً إنسـانياً حضارياً، لا اقتصادياً نفعياً فقط.
- عدم تبني العامية، واستخدام الـلـهجات، لأنـه أكـبر عامـل في تقطيـع أوصـال الأمـة، وعزل أبنائها بعضهم عن بعـض، فضـلاً أنـه عامـل أسـاسي في تغذيـة روج الجهويـة، والمحلية، والتفكر والتدبر بأسباب انتشار العامية ومحاولة معالجتها.

وهنا يرى نسيم خوري، أن أسباب طغيان العامية في وسائل الإعلام هي[1]:

أ. الحروب: التي تشكل سبباً مباشراً، في تغذية الجهوية.

ب. الطائفية: كوجه من وجوه الصراع اللغوي، فينجذب المسلمون نحو الفصيحة لغـة القرآن، وينجذب المسيحيون نحو العامية، واللغات اللاتينية، والأجنبية.

ج. اللغات الأجنبية: التي كانت جراء احتكاك العرب بغيرهم، وتأثرهم بلغاتهم.

مَشْروع مقترح لنشر الُّلغَة العَرَبية وتقويتها

فِيمَا يأْتِي سَتَكون نقاط مقترحة لمسودة مَشْروع قابل للنقاش، في نقاط مُتَعَدِدَة، لوسـائل عملية نستطيع بِهَا دعم الُّلغَة العَرَبية، وزيـادة قـدرتها عَـلَى مواجَهَـة التَّحَـدِيات، خاصـة فِـيمَا يخص ظاهرة الاضمحلال الُّلغَوْي، وسيادة لغة العالم – الُّلغَة الإنجليزية- وسيطرتها عَلَى مفاصل الْحَياة كلها.

(1) خوري، نسيم، الإعلام العربي وانهيار السلطات اللغوية، ص344.

أولاً: ضَرُوْرَة مُراجَعَة قواعد الُّلغَة العَرَبية، وتهذيبها، وتشذيبها، وإزالة القواعد الميتة غَيْر المُسْتَعْمَلَة فِي الوَقْت الحالي، ومِن المهم تَقْدِيم كتب جَديدَة فِي قواعد الُّلغَة تبعد الأمثلة الميتة، وَتُعْطِي أمثلة عملية سهلة يَتَمَكَّن من خلالها صانع المضمون من إتقان الُّلغَة، وقواعدها، ودراستها بِسُهولَة ويسر.

ثَانِياً: إعادة النظر فِي مناهج الُّلغَة العَرَبية المقدمة فِي المدراس، وتسهيل دروسها، وحذف الكَلِمَات الصعبة مِنْهَا، وَجَعَل تراكيب الجمل مُناسِبَة للفئة العمرية المستهدفة، وَكَذَلِكَ تقليص مناهج الُّلغَة العَرَبية، مَع التركيز عَلَى ما هُوَ مُفيد، وعملي مِنْهَا، ونقل المنهاج من النظرية إلى التطبيق العملي حَيْثُ أمكن ذَلِكَ.

ثالثاً: تحبيب الشباب بدراسة الُّلغَة العَرَبية فِي الجامِعات، ليكونوا فِي المستقبل مدرسين لَهَا، وَكَذَلِكَ تشجيع المتفوقين عَلَى دراستها لِيَكُونَ لَدَيْنا مدرسين أقوياء قادرين عَلَى جذب الطَلَبَة إلى لغتهم.

رابعاً: عمل دورات تأهيلية لمدرسي الُّلغَة العَرَبية ليسهل عَلَيْهِم تقديمها بِشَكْل شائق، وَيُمْكِنُ أيضاً إدخال تقنيات التعليم عن طَرِيق اللعب فِي هَذِهِ الدورات، وَيُمْكِنُ لمجمع الُّلغَة العَرَبية ان يتبنى ذَلِكَ بالتعاون مَع وزارة التَّرْبِيَة والتعليم.

خامساً: تشجيع وسائل الإعلام عَلَى استخدام الُّلغَة العَرَبية الفصيحة السهلة القريبة من النَّاس، البَعيدة عن استعمال كَلِمَات صعبة، وَكَذَلِكَ حث الشَّرِكَات المختصة عَلَى إنتاج مسلسلات درامية تستعمل الُّلغَة العَرَبية الفصيحة، من خِلال التمثيل الجميل، والأداء المحبب لِلْنَاسِ, وَفِي هَذَا المجال يَجِبُ الإشارة إلى خلو مُعْظَم الإذاعات الأردنية عَلَى سبيل المثال من الدراما بسبب تكلفتها العالية نِسْبِيَّاً، وَفِي هَذَا فُرْصَة لتقديم دراما بالعربية الفصيحة تَكُون قادرة عَلَى المنافسة فِي ظل غياب شبه تام من الدراما المقدمة باللهجات العامية فِي الأرْدُنْ.

سادساً: عمل مسابقات جماهيرية من خِلال الفضائيات للأطفال والشباب، لتقديم برامج، وفقرات درامية تستعمل الُّلغَة العَرَبية الفصيحة، وَمُحَاوَلَة نشر مثل

هَذِهِ المُسابَقات بأشكال مُخْتَلِفَة عَلَى وزارات التَّرْبِيَة والتعليم فِي الوطن العربي.

سابعاً: تشجيع القِرَاءَة، ونشرها فِي المدارس خاصة، وتأهيل أمناء المَكْتَبات ليكونوا قادرين عَلَى تشجيع الطَلَبَة عَلَى القِرَاءَة، وعمل مسابقات داخل المَكْتَبات للتشجيع عَلَى ذلِكَ.

ثامناً: عمل دبلوم إتقان العَرَبية الفصيحة، ووضعه واحداً من شروط تعيين المذيعين، بَلْ والموظفين فِي مُخْتَلِف دوائر الدَّوْلَة، وَيُمْكِنُ تطوير المَوْضُوع لعمل ما يشبه التوفل بحيث يشترط الحُصُوْل عَلَيْهِ للتعين، وَدُخُول بَعْض المجالات، وهَذَا يؤدي إلى زيادة المقبلين عَلَى دراسة، واتقان العَرَبية الفصيحة.

تاسعاً: تشجيع الثقافة السمعية، من خِلال إنتاج، وتوزيع مواد مسموعة مثل القَصَص، الكُتُب، الموسوعات، ونشرها فِي المدارس ابتداء، وهَذَا كله يصب فِي صالح الُّلغَة العَرَبية الفصيحة، ونشرها بَيْنَ النَّاس.

الفصل العاشر

أسلوبيّة الخطاب الإعلامي

الفصل العاشر

أسلوبيّة الخطاب الإعلامي

إنّ تحقيقَ التأثيرِ في المتلقي غرضٌ تسعى إليه "الكتابة/ اللغة", ولقد كان للغةِ هذه التقاريرِ الإخبارية -من موقع الحدث أو محيطه- دورٌ لم يستطع أحدٌ أنْ يتجاوزه, بل لعبَ هذا التأثيرُ الذي شوهد على شاشات التلفزة بشكل عام وعلى شاشة الجزيرة بشكلٍ خاصّ دوراً في القرار السياسي والعسكري لما سَبّبه من ضغطٍ جماهيري على أصحابِ القرار.

إنّ تطبيق إجراءاتِ تحليل الخطاب الأدبي من زاويةٍ أسلوبيةٍ على المادّة الإعلاميّة التي تتداخلُ فيها الكلمةُ مع الصوتِ والصّورة، قد يكون مُجدياً هنا في تلمّس مواضع حساسية الأسلوب اللغوي في فعل التأثير, ولعل ذلك يقدّمُ مُقاربةً جديدةً للواقع، تبدو فيها الكلمةُ/اللغة عنصراً مؤثّراً إلى جانبِ مركزيّة الصورةِ في فعل هذا التأثير.

ولعل توظّيف المنهج الأسلوبي في مقاربته اللسانية للنصوص/ التقارير يساعد في الكشف عن مدى فاعلية التقنيات المدروسة في مجموع التقارير وانسجامها، واتفاقها على منهجية أسلوبية عامة محددة مرسومة مسبقاً, كما يكشف عن مدى نجاحها في تحقيق السياسة العامة للقناة ورسالتها. وتتخذ من هذه المقاربة اللسانية محوراً أساسيّاً؛ ذلك أنّها تشكّل النقطة الجامعة للدراسات المتنوعة وزوايا النظر المتعددة التي يُنظر فيها إلى الخطاب، ويحلّل من خلالها, ولا ننسى هنا أنّ اللغة بجانب الصورة تحملان مسؤولية كبيرة في التأثير ـ كما أسلفنا ـ لأنّ التقرير الإخباري يمتاز عن الكتابة الأدبية بميزات متعددة أهمها: محدودية الوقت؛ حيث يُبث التقرير ضمن وقت محسوب بعناية, وهو ليس نصّاً مكتوبا ومتاحا بين يدي القارئ يستطيع العودة إليه متى شاء, ويعيد النظر فيه بين الحين والآخر, لذلك يُطلب من التقرير أن يحتوي على أكبر كمّ من الأخبار بالإضافة إلى أكثف لغة يستطيع كاتب التقرير تقديمها ضمن الوقت المتاح.

ولأن " ممارسة تحليل الخطاب تقتضي بالضرورة القيام بدراسة للتركيب والدلالة"، فإن هذه الدراسة تقف عند هاتين المفردتين من مناح محددة بدت سمة الاطّراد فيها واضحة، فتدرس من الخطاب الإعلامي المقصود ما يلي:

أولا: التقنيات اللغوية من ناحية الجملة وتركيبها، وما يتصل بها من تقديم وتأخير.

التقنيات الدلالية وما يتصل بها من أساليب متنوعة، ومنها:

أ ـ أسلوب الاستدراك.

ب ـ استعمال ألفاظ ذات أبعاد دلالية متدرّجة في العمق (ذوات معان قريبة وبعيدة).

ج ـ استعمال ألفاظ ذات إيحاء شعبي أو رمزي أو مَثَلي أو أسطوري أو من الموروث الديني.

د ـ الكلمة المركزية/ الكلمة المفتاح.

التقنيات اللغوية في تقارير" الحرب على غزة":

تتجلّى التقنيات اللغوية في تقارير الحرب على غزة من ناحية الجملة وتركيبها، والتقديم والتأخير فيها، عبر تأمّل بعض التقارير التي تمّ اختيارها بوصفها نماذج مثالية جامعة:

ورد في أحد التقارير [1]:

لا شيء في يوميات غزة يوحي بهدنة بين إسرائيل وحركة حماس التي تسيطر على القطاع، في الأثناء غارات متتالية للطيران الإسرائيلي حصدت عددا من الفلسطينيين من مقاتلي حماس والجهاد وغيرهم، وعلى الأرض حشود عسكرية وسط تلويح باجتياحٍ الهدفُ منه وقف إطلاق الصواريخ. تراجعت فكرة الاجتياح لدى القرار العسكري الإسرائيلي المعلن، غير أن حركتي حماس والجهاد اعتبرتا الهجمات ترجمة عملية لمقررات مؤتمري أنابوليس وباريس الداعية من وجهة نظرهما لإلغائهما من المعادلة الفلسطينية.

---

(1) تم الوصول إلى نصوص التقارير الصوتية والمصوّرة عبر مراسلة قناة الجزيرة, وفي موقعها على الإنترنت: www.aljazeera.net . هذا تقرير يمثل مجموعة من التقارير الإخبارية التي يستمع إليها ويشاهدها المتلقي في حين يستضيف مقدم البرنامج ضيفا ليعلّق ويوضح بعضا من جوانب الأحداث.

ما الذي استجد إذاً حتى يحث كل من وزير النقل شاؤول موفاز ووزير البيئة بنيامين بن أليعازر حكومة أولمرت على دراسة عرض الهدنة المقدم من قبل حماس؟ وما الذي جعلهما يبديان مرونة غير مسبوقة في شرط عرف في السياسة الإسرائيلية كخط أحمر؟ الاعتراف بإسرائيل أولا. تطور مفاجئ في النظر للعلاقة بحماس جاء هذه المرة على لسان قيادتين إسرائيليتين شغلتا منصب وزير الدفاع سابقا مما يرجح أن يكون للزاوية الأمنية دور أساسي في بلورته، فكلا الوزيرين وعدا بوقف صواريخ القسام وكلاهما تقاسما الفشل في الإيفاء بذلك الوعد لتبقى مدن ومستوطنات عديدة في مرمى الرعب الصاروخي، كما يملك كلاهما تصوراً عن تقدم الحمساويين في العتاد والخبرات القتالية وتوقهم لاتهام التجربة اللبنانية في تكبيد الجيش الإسرائيلي خسائر تجعل سمعته القتالية والأخلاقية في الميزان. مخاوف فضّل معها 64% من مستوطني أسديروت المغادرة فيما لم يخف 78% من قاطنيها معاناتهم النفسية جراء رعب الصورايخ.

بالتأكيد هذا ليس نصرا حاسما لحماس لكنه ورقة بيدها دفعت الإسرائيليين فيما يبدو للتفكير في الخيارات الصعبة، حان وقت الحوار المرّ لكن من حاور اعترف والاعتراف قد يكون بداية الوهن أمام حركة ما تزال تتمسك بفلسطين التاريخية دون أن يمنعها ذلك من التلويح بورقة الهدنة ما دام الهدف الأساس بعيد المنال.

أـ الجملة وتركيبها

يُلحظ في المستوى التركيبي في التقارير المدروسة أنّ جملها طويلة, وترتكز على الجملة الاسمية بشكل لافت, وتتألف هذه الجمل الاسمية من مبتدأ يُفصل بينه وبين خبره بفاصل طويل نسبياً من الكلام, لكن دون تعقيد؛ أي إن الأسماء الصريحة لا تتعدد في الجملة الواحدة بحيث يحصل خلط في إرجاع الضمائر إلى أصحابها. نحو:

لا شيء في يوميات غزّة يوحي بهدنة بين إسرائيل وحركة حماس التي تسيطر على القطاع

(لا شيء) : في الافتتاحية جاءت في محل الابتداء, وخبره : في الجملة الفعلية (يوحي), وبينهما تقع متعلقات المبتدأ والخبر الذي يضع في الحسبان كثيراً من المعلومات التي تترتب عليها أشياء قادمة. فتتعلق بالمبتدأ عبارة: في يوميات غزة, وهي عبارة تنطوي على بعد بلاغي كبير. حيث صوّر غزة كأديبة تدوّن يومياتها في دفاتر الذكريات, ولا

شك في أنها ذكريات مأساوية. ويتعلق بالخبر قوله : بهدنـة بـين إسرائيـل وحركـة حـماس التـي تسيطر على القطاع.

ويغلب على الجملة الاسمية أن يكون مبتدؤها نكرة ([1]), وفي التنكير مـا فيـه مـن قصـد إلى إشعار بمعانٍ متنوعة:

ـ منها على سبيل المثال: الجهل بطبيعة الاسـم المنكّـر المجمـوع, الـذي مـن شـأنه إثـارة التوقع المشوب بالخوف، مثلاً في قوله :

وعلى الأرض حشود عسكرية وسط تلويح باجتياحٍ الهدفُ منه وقف إطلاق الصواريخ

حيـث يعلـم المتلقـي/القـارئ /السـامع مـن خـلال معرفتـه مـدى الفـارق في القـدرات العسكرية بين الجانبين: حماس وإسرائيل, فاستخدام الجمع في قوله : **صواريخ** إشـارة إلى سـلاح حماس لن يبرر الحشود العسكرية (المجهولة العـدد عـلى توقـع بكثرتهـا وتنـوّع عتادهـا) التـي تحضّرها إسرائيل لعملية الاجتياح التي تهدف إلى وقف هذه الصواريخ.

ـ ومنها أن يقصد التنكير إلى تحقيـق مفاجـأة يوضـحها سـياق البنـاء اللغـوي, وذلـك اعتمادا على معرفة القارئ بالأحداث السياسية والعسكرية على الأرض, فيقول مثلاً:

تطورٌ مفاجئ في النظر للعلاقة بحماس جاء هذه المرة على لسان قيادتين إسرائيليتين...

وهنا يؤدي التنكير إلى إحداث ردود انفعالية لـدى المسـتمع تسـاهم في تشـكيل صـورة حزينة قاتمة للوضع على الأرض, وسط تفكير سياسي بإيجـاد هدنـة تنحّـي دور السـلاح القاتـل جانباً, لأنّ (تطوّراً) باتجاه التهدئة لا شكّ مرغوبٌ فيه, لكنّه لـيس إيجابيـاً لأن "حـماس" - كـما يقول التقرير- تتوقع الاجتياح الذي سبقت الإشارة إلى أن إسرائيل تلوّح به.

ومن ذلك قوله في التقرير :

مخاوف فضّل معها 64% من مستوطني أسديروت المغادرة.

---

(1) " إن تحليل الخطاب يتضمن دراسة القوالب اللغوية ومظاهر الانتظام في توزيعها من جهـة، كـما يقـتضي من جهة أخرى مراعاة المبادئ العامة التـي تقـوم عليهـا عمليـة الفهـم، تلـك العمليـة التـي يضـع النـاس بواسطتها معنى لما يسمعون ويقرأون". ج. ب. براون، و ج. يول، **تحليل الخطاب**، ص (ك).

ومما يلحظ في لغة هذه التقارير أيضاً هو ميلها الغالب إلى جعل الخبر جملة فعلية لما فيها من الحركة، ولما فيه من استثمار لهذا التعالق بين نوعي الجملة, تلك الحركة التي يريد بها القائل التدليل على الحراك السياسي المستمر الذي يوازي الحركة العسكرية على الأرض وفي الجو, فالمفهوم من مجمل كلامه (كلام المراسل أو كاتب التقرير) أنه يقدم تقريرا سياسيا يتابع فيه ما يجري في الردهات السياسية, ومن قراراتٍ قيد الدراسة تساير وتواكب العمل العسكري على الأرض, حيث الطيران ينفّذ عمليات عسكرية والحشود على الأرض جاهزة للانقضاض, والسياسيون يدرسون الهدنة التي تعني توقف هذه الأعمال, والتي يفيدنا كاتب التقرير أنها تترامى بين الأطراف بين أخذ وردّ وقبول وعزوف ([1]).

ثم ينحو المتكلم إلى استخدام الفعل لما يترتب على الفعل من ردّات فعل, ولإمكانية تعليقه بفعل آخر, يظهر ذلك عند تحليل الجمل الفعلية في التقرير, حيث الجملة الفعلية تفضي إلى جملة فعلية أخرى. ومن أمثلة ذلك :

غير أن حركتي حماس والجهاد اعتبرتا الهجمات ترجمة عملية لمقررات مؤتمري أنابوليس وباريس.

تطور مفاجئ في النظر للعلاقة بحماس جاء هذه المرة على لسان قياديتين إسرائيليتين

---

(1) يرى د. عبد السلام المسدي أن " اللغة هي أيضا مركز الفعل السياسي، وأن السياسة هي تتويج للفعل اللغوي قبل الإنجاز وبعده"، ويتساءل: " ولكن هل يعد كل فعل لغوي الفعل السياسي الفاعل؟ هل يعد مرمى السؤال اللغة المطلقة أم الكلام المتعيّن؟ وهل القول على عموم دلالته بحيث يشمل كل مستويات الأداء أم أنه على الخصوص، يتحدد بتحويل القول السياسي إلى فن قولي؟"
ويرى المسدي أن " الخطاب السياسي الراهن ما انفك يتزيّن بالصور اللغوية الوافدة إليه من جماليات الأدب وإلهامات الإبداع، إنه في وئام متدرج مستديم مع الصور الفنية، التي هي في مجال النثر السياسي قائمة مقام الصورة الشعرية في النثر الأدبي". عبد السلام المسدي: **السياسة وسلطة اللغة**، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 2007، ص 29.

ويقول:

ويقول :

فكلا الوزيرين **وعدا** بوقف صواريخ القسام, وكلاهما تقاسما الفشل في الإيفاء بذلك الوعد.

ويقول:

مخاوف **فضّل** معها 64% من مستوطني أسديروت المغادرة.

وفي موضع آخر يقول:

مواكب الشهداء في غزة **لم تتوقف**.

حيث الخبر في الجملة الأولى (اعتبرتا), وفي الثانية (جاء) وفي الثالثة (وعدا)، وفي الرابعة (لم تتوقف).

ويقول في تقرير آخر:

القذائف الإسرائيلية لاحقت هؤلاء المدنيين الفلسطينيين.

والمبتدأ سواء أكان ذاتاً أم معنىً, يبقى هو موضوع الجملة أو محورها الذي يدور الفعل حوله في حِراك يعبّر عن حِراك في التفكير السياسي لأصحاب القرار.

ب ـ التقديم والتأخير في الجملة [1]

تعتمد لغة التقارير كثيراً على التقديم والتأخير في إحداث تصور ينقل المستمع من انفعال إلى آخر، كانتقاله من أفق التفاؤل إلى التشاؤم, أو من انفعال ضحل إلى انفعال أعمق, ففي قوله:

في الأثناء غارات متتالية للطيران الإسرائيلي حصدت عدداً من الفلسطينيين من مقاتلي حماس والجهاد وغيرهم، وعلى الأرض حشود عسكرية وسط تلويح باجتياحٍ, الهدفُ منه وقف إطلاق الصواريخ.

(1) قال سيبويه: " إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى , وإن كان جميعا يهمانهم ويعنيانهم ". سيبويه: **الكتاب**. تحقيق عبد السلام هارون, دار الجيل , ط1، بيروت, 1991, ج1، ص 34.

ففي حين يتحدث التقرير عن "الجو" حيث الطيران يقوم بقصف مكثف, يتحول إلى الأرض مباشرة, فيقدم قوله:"وعلى الأرض" حشود. بجعل شبه الجملة "على الأرض" خبرا مقدما للمبتدأ(حشود). حيث يستثمر القرب المكاني (الخطّي) بين "الطيران" و"الأرض" لإقامة علاقة توهم بالضدية بين هاتين الكلمتين اللتين لا تقعان ضمن علاقة طباق معجمية, لكن يبرز هنا دور السياق في تحديد البعد الدلالي للكلمة, وهو تقنية كثيرا ما تتميز بها الأعمال الأدبية. في حين قد يتوقع السامع (المتلقي) أن يسمع عبارة "على الأرض" "هدوء" أو ما شابه ذلك بدل عبارة "على الأرض" "حشود"، مما يخفف من إيقاع الحرب, ولكنه حوّل النظر من الجو المشتعل إلى الأرض, لترى أنها هي الأخرى على وشك الاشتعال بما عليها لا من حشد واحد, بل من حشود بصيغة الجمع, مع أن كلمة "حشد" تفيد معنى الجمع, الأمر الذي يساهم في رسم صورة تضج بالحركة فوق رأس الإنسان ومن تحته.

ومن أمثلة التقديم المؤثر، الجملة الآتية التي تشكّل كلمة "القذائف" موضوعها ومحورها, لكن المتحدث يقدم الضحية وصورتها, يقول:

هؤلاء أطفال من عائلة الداية, دمرت القذائف أحد منازلهم فقتلت 13 منهم, وأبقت آخرين في عداد المفقودين.

والجملة حسب الأصول النحوية في التركيب المعياري على النحو الآتي:

دمرت القذائف أحد منازل الأطفال من عائلة الداية, فقتلت 13 منهم, وأبقت عددا مجهولي المصير.

فالقذائف هي العنصر النحوي "الفاعل" في الجملة لأنها (دمّرت) و (قتلت) و (أبقت), و لكن المتحدث بدأ بـ(هؤلاءِ أطفالٌ)[1], ليقدم "المفعول" في الواقع, ويعطف

(1) ولعل استخدام اسم الإشارة (هؤلاء)، وابتداء الكلام بها يعدّ عاملا مساعدا بل أساسيا في التأثير، فهو مقرون بالصورة، مشهد أطفال من عائلة الداية في حالتهم التي يقوم التقرير بتوصيفها.

على الكارثة كارثةً أخرى, هي أنّ هؤلاء الضحايا هم من عائلة واحدة, مما يوضّح حجم المصيبة التي نزلت بهذه العائلة: أطفالٌ قتلوا, وأطفالٌ آخرون فُقدوا, ومنزلٌ تمّ تدميره.

في حين لو تخيّلنا أنّ خبيراً عسكرياً إسرائيلياً يعمل في مجال تجريب السلاح المستخدم وأثره التدميري فإنه سيقدّم الجملة حسب الاقتراح المعياري لها, وهي : **دمرت القذائف أحد منازل الأطفال من عائلة الداية, فقتلت 13 منهم, وأبقت عددا مجهولي المصير**[1].

ليدلل على فاعلية السلاح الذي يستخدمه الجيش, و"قوّة الردع" التي ينسبونها إلى أنفسهم, أو لو أنّ المتحدث في التقرير قالها لنعته المستمعون بأنه مبتهج لأثر القذائف التدميري على الإنسان والحجر, فكان للانزياح النحوي هنا أثر عميق في إبلاغ الخبر ملوّناً بالمأساة.

ومما يمكن تسجيله هنا أن **الجملة الفعلية** تأتي ضمن سياق الجملة الاسمية, وقليلاً ما نجد المتحدث يفتتح قوله بجملة فعلية. والمظهر الأكثر وضوحاً هو أنّ الجملة الفعلية تأتي خبراً عن مبتدأ, يوظفها المتحدث لتفتح باباً للحراك الفعلي بعد أن يقدم كلامه

---

(1) يرى عبد السلام المسدي أن السياسة الجديدة قد حولت" وظيفة اللغة القديمة فجعلتها دائرة على المخاتلة: في الأدب ـ في الشعر كما في النثر ـ نأتي بالصورة ونحن راغبون في أن نقول إننا أتينا بالصورة، ولولا حياء اللغة والأدب لتسابق الأدباء والشعراء إلى الإعلان عن مواطن الصورة في كلامهم، ولتوسلوا بألف مسلك كي ينصّوا على سياقات الجمال ومنعرجات الفن ونتوءات الفصاحة في صميم كلامهم، الذي هو أدب وجمال وفن، أما في السياسة فصنّاع الخطاب المهرة ينتجون الصورة الشعرية وكلهم رغبة في أن يتكاسل الوعي عن إدراك أنها صورة، فوظيفة الأداء تزداد إلى كلامهم بقدر ازدياد غيبوبة الإدراك لدى المستقبلين لرسائلهم من عامة الناس وفيالق الجمهور....... ولتكن معه لدينا قناعة راسية دائمة هي كالقانون الجازم: أن تصنيع الواقع يمرّ عبر تصنيع الخطاب. ثم لتكن لدينا أيضا قناعة أخرى: أن السلطة الجديدة في عالم السياسة الكونية هي ـ بعد السلطة الدستورية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية ثم السلطة الإعلامية ـ سلطة صناعة الخطاب المطبوخ بحذق ومهارة داخل ورشات إنتاج الخطاب". عبد السلام المسدي، **السياسة وسلطة اللغة**، ص 35.

بالمبتدأ الذي يشكل الكلمة المفتاح للجملة أو محور الحديث فيها. كذلك يمكن القول في الجملة الفعلية الواقعة خبرا إنها طويلة لكنها مع طولها بسيطة من حيث علاقة ألفاظها ببعضها.

يقول مثلاً :

ما الذي **استجدّ** إذاً **حتى يحث** كل من وزير النقل شاؤول موفاز ووزير البيئة بنيامين بن أليعازر حكومة أولمرت...؟

وفيه الفعل (استجدّ) يؤدي إلى (حتى يحثّ). كلا الفعلين يرتبطان بـ(ما), اسم الاستفهام الذي أبقاه المتحدث مجهولاً.

ويعطف على استفهامه السابق استفهاما آخر ليعمّق حاجة السامع إلى الاستماع ويضاعف الأثر التشويقي الذي يحدثه الاستفهام, فيقول :

وما الذي **جعلهما يبديان**..؟

ويقول أيضاً :

فكلا الوزيرين وَعَدا بوقف صواريخ القسام, وكلاهما تقاسما الفشل في الإيفاء بذلك الوعد لتبقى

فإذا ما نظرنا إلى الأسلوب هنا فسنجد أن المتحدث يعلق معطيات الخبر ببعضها مستخدما الفعل, مع إمكانية استعمال الاسم , فـ(وعدا) أدى إلى أن (تقاسما), وأدى ذلك أيضا إلى (لتبقى..), مع ملاحظة المجانسة بين (القسّام) وقوله الفعلي (تقاسما الفشل), لأن الغرض "المعلن" من الحرب من وجهة النظر الإسرائيلية هي وقف إطلاق الصواريخ التي يسمّى نوعٌ منها "صواريخ القسّام".

ويقول **:**

القذائف الإسرائيلية **لاحقت** هؤلاء المدنيين الفلسطينيين, حتى الذين **لجأوا** إلى مدارس الأنروا **يطلبون** الأمن.

فالخبر **(لاحقت)**, وكي يبقي المشهد متحركاً كما هي حاله فعلا على الأرض, يستخدم الصيغة الفعلية فيستأنف الحديث ويقول**(لجأوا)** مع إمكانية أن يقول: لاجئين إلى

المدارس (مستخدما الحال). ثم يـأتي بالحـال أيضـا لكـن بصـيغتها الفعليـة لا بالاسـمية, فيقـول **(يطلبون)**, وتُلاحظ ـ في هذا الابتداء ـ الجملةُ الاسمية: (القذائف.. لاحقت) الكثيرة الـتردد كـما مرّ سابقاً.

وأمثلة هذا النمط كثيرة, وهي ملمح نراه في لغة عدد من التقارير التي كانت تـأتي مـن أكثر من مراسل, ومن أمثلة ذلك ما أرسل به (تامر المسحال) للقناة قائلا:

مأساة وقعت في غزة. فكل موقع بدا مستهدفا بلا محرمات ولا حدود.

وهو تركيب يتكون من تركيبين جزئيين يندرجان تحت النمط الذي أشرنا إليه, **حيـث الجملة اسمية وخبرها جملة فعلية**. الأول هو قوله :

ماساةٌ وقعت في غزة.

فكل موقع بدا مستهدفا بلا محرّمات ولا حدود.

والثاني قوله:

وكذلك في قوله:

مشاهد الدماء لم تنقطع مع تواصل عشوائية القصف البري والجوي

وفي الجمل السابقة الأخبار على التوالي : (وقعت)، و(بدا), و(لم تنقطع) كلُّها أفعـال والأخير منها منفيّ.

ومن المنافع التي يجنيها المتحدث من هـذه التقنيـة هـو أن يسـتثمر الإمكانيـة الكبـيرة التي تتيحها الأفعال في تعالق الجمل وربطها بما يتصـل بهـا مـن ضـمائر أو يسـتتر فيهـا, أو بمـا تتعلق به من معهودات ذهنية قَبْلِيّة, وهو ما يؤدي إلى تطويل الجملة التي تقدم ـ مـن خـلال جمل صلات الموصول ـ بيانات ومعلومات متعلقـة بـالخبر تسـاهم في توضـيح حـدود الصـورة, وهذه الجمل يمكن وصفها بالبساطة من حيث استيعاب المضمون الذي ترمي إليه.

التقنيات الدّلالية :

يشكل المستوى الدلالي بعدا أساسياً في النظر إلى الخطاب وقراءة ملامحه، بل لعلّه يغدو الغاية النهائية له إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ما يرمي إليه الخطاب من إيصال للرسالة مشفوعة بغاية تنضاف إليها وتتضافر معها ألا وهي التأثير في المتلقي[1].

الدلالة = رسالة + مؤثّر

وإذا ما تعاملنا مع الخطاب الإعلامي (التقرير على سبيل المثال) بوصفه مجاوزا غاية الإبلاغ فإننا نحمّله بشكل ما ملامح أدبية، حيث يغدو مشابها للنص الأدبي الذي يتجاوز غاية الإبلاغ إلى غاية التأثير؛ ولا يكتفي بتقديم المعلومة والعدد (الإحصاء) بحياد وتجريد ليحمّل فضلا عن ذلك بموقف، وببعد وجداني، وبإديولوجيا معينة. وفي هذا إشارة واضحة إلى تفكير الخطاب الإعلامي بالمتلقي (بالمشاهد/ بالمستمع) بوصفه وسيلة إعلام عامة تهدف إلى تحقيق الإقناع والتأثير، ولذلك نجد أن ثمة انشغالا ـ لدى صاحب الخطاب ـ في كيفية صوغ اللغة لتغدو قادرة على حمل معطيات الرسالة وأبعادها وغايات كاتبها، لكسب ودّ هذا المتلقي وجذبه ومن ثم ضمان استكمال تلقيه للرسالة واستتباع ذلك بالتأثُّر والتعاطف[2].

---

(1) " يهتم فلاسفة اللغة من جهتهم ـ واللسانيون الشكلانيون كذلك ـ بالعلاقات الدلالية القائمة بين أزواج من الجمل وخصائصها النظمية، كما يهتمون أيضا بالعلاقات بين الجمل و (الواقع)، وذلك لمعرفة ما إذا كانت الجمل أداة لتقرير أحكام يمكن تقييمها بناء على سلّم من معايير الصدق أو الكذب. وهم يدرسون تلك العلاقات بين مجموعات من الجمل التي يستعملها متكلمون نموذجيون لمخاطبة متلقين نموذجيين في سياقات نموذجية قليلة التحديد". ج. ب. براون، وج. يول، **تحليل الخطاب**، ص (ط).

(2) " إن تحليل الخطاب بالضرورة تحليل للغة في الاستعمال. لذلك، لا يمكن أن ينحصر في الوصف المجرد للأشكال اللغوية بعيدا عن الأغراض أو الوظائف التي وضعت هذه الأشكال لتحقيقها بين الناس. وإذا كان بعض اللسانيين مهتمين بتحديد الخصائص الشكلية للغة، فإن تحليل الخطاب ملزم بالبحث في ما تستعمل تلك اللغة من أجله". ج. ب. براون، وج. يول، **تحليل الخطاب**، ص 1. فمستعمل اللغة، أي المتكلم الذي يوظف الأدوات بطرق تحقق مبتغاه، هو مالك المعنى وصاحبه فالمعنى لديه وليس في الأدوات اللغوية المستعملة.

ويبدو من الضروري هنا ضمان استكمال عناصر الاتصال، وعدم انتقاص أي منها، لتحقيق عملية التواصل([1]):

المرسل	الرسالة	المستقبل
الوسيلة/	القناة (مرئي/ مسموع)	
الشيفرة/	اللغة	
السّياق /	المرجع	

ويمكن التوقّف عند التقنيات الدلالية الآتية والتي تتمثّل في:

أ ـ أسلوب الاستدراك

ب ـ استعمال ألفاظ ذات أبعاد دلالية متدرجة في العمق (ذوات معان قريبة وبعيدة)

ج ـ استعمال ألفاظ ذات إيحاء شعبي أو رمزي أو مثلي أو أسطوري أو من الموروث الديني.

د ـ الكلمة المركزية/ الكلمة المفتاح (غزة/ الأطفال)

---

(1) يشير فيلي ساندريس إلى: " تباين أهداف كل من (النظرية الأسلوبية) و (اللسانيات النفعية)؛ لأن النفعية اللغوية تتناول كل ما يخص الأداء اللغوي من منظور وظيفته الاتصالية، على حين لا تشتمل النظرية الأسلوبية من هذا الأداء إلا على الجزء الذي يميز الصيغ والتعابير اللغوية المنتقاة بشكل شخصي ذاتي تمييزا أسلوبيا.

ونظرا لأهمية الجانب الاتصالي للأسلوب وتميزه فمن المناسب جدا عدّه .. أساسا تابعا للسانيات النفعية ذات الصلة الوثيقة باللسانيات النفسية والاجتماعية، وهذا الشيء هو المعتمد أساسا في التحليلات الأسلوبية العملية (التي أجريت فيما بعد)، كما أنه الأساس المعتمد في الأسلوبية النفعية، وتتجلى مصداقية هذه العلاقة الوثيقة بين النفعية والأسلوبية في اعتبار كلتيهما البلاغة سلفا لهما". فيلي ساندريس، **نحو نظرية أسلوبية**، ص 211.

أ ـ أسلوب الاستدراك :

يبدو الاستدراك أحد الأساليب التي يلجأ إليها كتّاب التقارير؛ ذلك لما تحققه من نقل السامع من حالة انفعالية إلى حالة أخرى، ومن وضع نفسي للمتلقي إلى آخر حيث يقدم هذا الأسلوب شكلا من أشكال التأثير، ويغلب أن يكون هذا الانتقال من شكل إلى آخر يقابله أو يوازيه أو يعاكسه، وليس إلى آخر يعاضده ويؤكده ويسانده بإحدى الروابط اللغوية مثل (لكن) المعروفة بـ(الاستدراك) بوصفها معنى وظيفيّا، و(غير أنّ) بوصفها معنى سياقيّا، مما يطيل الجملة القصيرة أيضا لأن الإطالة هنا مقصودة, فالجملة التامة القصيرة تفيد السامع خبراً تامّاً من الناحية النحوية, لكنه ليس تاما من الناحية السياسية, فيقول مثلاً :

تراجعت فكرة الاجتياح لدى القرار العسكري الإسرائيلي المعلن، غير أن حركتي حماس والجهاد اعتبرتا الهجمات ترجمة عملية لمقررات مؤتمري أنابوليس وباريس الداعية من وجهة نظرهما لإلغائهما من المعادلة الفلسطينية.

ففي قوله :

تراجعت فكرة الاجتياح لدى القرار العسكري الإسرائيلي المعلن.

يجد المتلقي خبرا جيدا يبعث الأمل في **إحداث هدنة** توقف سفك الدماء، لكن المراسل يستدرك فيقول مباشرة :

غير أن حركتي حماس والجهاد اعتبرتا الهجمات ترجمة عملية لمقررات مؤتمري أنابوليس وباريس الداعية من وجهة نظرهما لإلغائهما من المعادلة الفلسطينية.

حيث تتركز الصورة هنا على ألفاظ محددة تبدو كالنواة للصورة الأدبية التي توقع أثرا حزينا في نفس السامع، وتنقله من انفعال إلى آخر.

وبناء على ذلك فقد كانت الحركتان تتوقعان حدوث هذا الاجتياح المدمر, وقد كان فعلا كذلك, مما أدى إلى فظائع عانى منها أهل غزة.

ويستخدم التقرير كذلك الاستدراك للانتقال من فضاء التشاؤم إلى فضاء التفاؤل من وجهة نظر الفلسطيني المتعاطف مع المقاومة وذلك باستخدام الحرف (لكن) فيقول :

بالتأكيد هذا ليس نصرا حاسما لحماس لكنه ورقة بيدها دفعت الإسرائيلين فيما يبدو للتفكير في الخيارات الصعبة.

أي إن صمود الحركة في حد ذاته وعدم تمكّن آلة الحرب الإسرائيلية من إلغاء الحركة من المعادلة السياسية الفلسطينية, هذا في حد ذاته وإن لم يكن نصرا حقيقيا إلا أنه إيجابي من ناحية أخرى وهو أنه ورقة ضغط على الحكومة الإسرائيلية في تنفيذ مطالب الحركة ولو جزئيا. ثم يقول :

حان وقت الحوار المر لكن من حاور اعترف والاعتراف قد يكون بداية الوهن أمام حركة ما تزال تتمسك بفلسطين التاريخية دون أن يمنعها ذلك من التلويح بورقة الهدنة ما دام الهدف الأساس بعيد المنال.

ويعني ذلك أن مجرد الحوار مع الحركة هو اعتراف بمشروعية هذه الحركة، وإن كانت تعدّ حركة إرهابية يُتَعامل معها بوصفها عصبة خارجة على القانون الدولي وذات أهداف غير إنسانية.

ثمة أمثلة متعددة على الاستدراك في مختلف التقارير، ففي تقرير آخر نجد أنّ مَنْ يهرب لاجئا من الموت الذي تحمله القذائف، تلاحقه القذائف وتصيبه, هكذا نفهم من قوله :

القذائف الإسرائلية لاحقت هؤلاء المدنيين الفلسطينيين حتى الذين لجأوا إلى مدارس الأنروا يطلبون الأمن لكن القذائف الإسرائيلية قتلت العشرات منهم ومن سكان المخيم.

فقوله : (لاحقت), قد يفهم منها أن القذائف توجهت إلى الناس لكنهم هربوا منها, لكنه يستدرك ويقول:

لكن القذائف الإسرائيلية قتلت العشرات منهم ومن سكان المخيم.

ويقول في موضع آخر :

شكلت صور ومشاهد الشهداء من الأطفال الفلسطينيين العلامة البارزة في التصعيد العسكري الإسرائيلي الأخير على قطاع غزة لكن التساؤل هنا يبقى كيف يترك التصعيد هنا ذكرياته المؤلمة على الأطفال الفلسطينيين.

يتلقى السامع الخبر بالحزن والبؤس بطبيعة الحال, لأنه يتحدث عن مشاهد مأساوية, لكنه لم يترك الأمر على ما هو عليه في الوقت الراهن الحزين ليعاني السامع حزن الراهن فقط, فهو بالاستدراك ينبّه إلى ديمومة هذه المأساة, فيطرح تساؤله عن كيفية بقاء المأساة في الذاكرة, بشكل خاص على الأطفال الذين لا شك في أنهم سيعانون من آثار ما جرى.

ب ـ من التقنيات الدلالية الأخرى **استعمال ألفاظ ذات أبعاد دلالية متدرجة في العمق (ذوات معان قريبة وبعيدة)**

وفيه بعدان :

الأول : ما يسمى بالمعنى القريب, وهو استعمال ألفاظ ذات أبعاد دلالية مألوفة, تنحو إلى البساطة على اعتبار أن التقرير موجّه إلى قاعدة عريضة من المستمعين/ المشاهدين/ المتلقّين.

والثاني: بعدٌ عميق يحتاج إلى فضل تأمّل لالتماس أبعاده, فكلمة (المُعلَن) في قوله :

تراجعت فكرة الاجتياح لدى القرار العسكري الإسرائيلي المعلن.

تتضمن معنى بعيدا؛ ذلك أن هذا الهدف المعلن قد لا يكون صادقا، وقد يضمر وراءه هدفا غير معلن لا تحتاج الإدارة الإسرائيلية لإظهاره؛ إذ قد يكون مخالفا للقوانين الدولية المتعارف عليها بوصفها جريمة إنسانية؛ مثل التطهير العرقي أو استهداف المدنيين أو البنى التحتية الخَدَميّة لمدينة غزة وما حولها من الأحياء السكنية (التي قد تكون هدفا للنيران وهو مخالف للقانون الدولي).

ومثل ذلك يحيلنا إلى ضرورة وعي البنية واستبطانها وتأمّلها من وجهين:

الوجه الأول ـ التفكير بالموجود/ الظاهر/ المعلن/ المنوي إبرازه وإظهاره (أي المسموح معرفته).

الوجه الثاني ـ التفكير بالمضمر / المسكوت عنه/ الذي نحتاج أن نستشفّه ونستنتجه من خلال المعلن (أي الممنوع معرفته).

ج ـ من التقنيات الدلالية الأخرى **استخدام ألفاظ ذات إيحاء شعبي أو رمـزي أو مَـثَلي أو أسطوري أو من الموروث الديني.**

تتناثر في التقارير والتغطيات ألفاظ وتعابير أو تراكيـب يغلـب أن تكـون مسـتمدة مـن اللغة الشعبية أو المحكية أو التي تحمل في إيحاءاتها وإحالاتها ملمحا للمحلي أو اليومي.

– (مثال) فمن الألفاظ ذات الإيحاء الشعبي قوله: " حصدت" في عبارة :

غارات متتالية للطيران الإسرائيلي حصدت عددا من الفلسـطينيين مـن مقـاتلي حـماس والجهاد وغيرهم.

ومعنى "حصدت غالبا ما يستخدم في مواسم الخير الفلسطيني, وهو جنايـة المحصـول الذي يتحصل للمزارع نتيجة لكد سنة كاملة, فالنتيجة الآن عكسـية, فالحاصـد هـو الإسرائـيلي. والمحصود ليست ثماراً يانعة, إنها أغلى ما يملك الإنسان البريء وهـي روحـه. والمفارقـة أن أرض فلسطين هي أرض الحصاد المثمر الذي يعود على المزارع بالغلال التي يكـرس حياتـه مـن أجـل الحصول عليها, إلا أنه كان هو المحصود, والآلة الحاصدة هي الطائرة المدمرة التي تقذف النـار على الأرض ومن عليها.

ـ (مثال) ومن استعمال الكلمات القريبة للمستوى الشعبي في اللغة العامية كذلك قوله:

كلاهما لديه تصوّر عن تقدم **الحمساويين** في العتاد والخبرات القتالية

وفيه جمع للأشخاص المنتمين إلى حركة حماس, وهو جمع مشهور في اللغة التداولية في فلسطين, وذلك في مقابل الند الفلسـطيني المشـهور بــ(الفتحـاويين) وهـم المنتمـون إلى حركـة "فتح" التي تنازع حركة حماس السلطة في فلسطين.

كذلك يقال بالنسبة إلى (الصاروخ) في قوله :

الرعب الصاروخي

ـ (مثال) ومن استعمال الكلمات القريبة للموروث الديني وأدبياته قوله في جملة مرت من قبل:

فكل موقع بدا مستهدفا بلا محرّمات ولا حدود.

وفي الجملة استعمال لكلمة "**المُحرّمات**", و"**الحُدود**", اللتين تنتميان إلى أدبيات الفقه الديني الإسلامي المُعتبَر لدى الغالبية العظمى من الناس، وتحملان دلالات دينية محددة. وغدت ذات دلالات معينة في السياق السياسي.

الكلمة المركزية/ الكلمة المفتاح[1]

عند تأمّل نصوص التقارير المدروسة، تبرز كلمة (غزة) بوصفها كلمة أساسية تشكل مركزاً في هذه التقارير ومفتاحاً لنصوصها، إذ تغدو باباً عريضاً يمكن من خلاله ولوج متن النصوص/ التقارير، والانطلاق من هذا المركز الداخلي باتجاه الخارج/ أي القراءة الكلية للنص/ التقرير، لتغدو هذه العملية بمثابة رحلة من الداخل باتجاه الخارج ومن الخارج باتجاه الداخل وصولاً إلى رسم الصورة المرجوّة فيما وراء التقرير. ولا شك في ذلك إذ لم تكن غزة في تلك الفترة المريرة محورا للعالم فقط, بل كانت مركزا تدور حوله قضايا السياسة وحقوق الإنسان والعواطف الشعبية, وباتت الشغل والهمّ الشاغلين لكل إنسان, حتى صارت أخبار الأزمة الاقتصادية العالمية في الدرجة الثانية في الأهمية حتى عند أبعد الناس عن غزة جغرافيا.

وأتوقف فيما يلي عند كلمتين أساسيتين شكلتا مفاتيح هامة، فإضافة إلى كلمة غزة، ظهرت كلمة (أطفال) بوصفها أيضا ركيزة هامة في التقارير المختلفة المتعلقة بالحرب على غزة.

(1) "ويُقصد بالكلمات المفاتيح الكلمات التي يكون لها ثقلٌ تكراري وتوزيعي في النص بشكل يفتح مغاليقَه, ويبدد غموضَه " . السيد، شفيع: **الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي,** ط1، دار الفكر العربي القاهرة, 1986, ص 169.

أولا: (غزة)... الكلمة المفتاحية

فإذا تأملنا عددا من الجمل، وجلّها جمل ابتدائية لمجموعة من التقارير والتغطيات، سنجد كلمة (غزة) مُشَكِّلَةً الركيزةَ الأساسيةَ في هذه الجمل، ليس فقط من ناحية إحصائية([1])، وإنما بالكيفية التركيبية التي جاءت عليها (غزة) في الجملة ومن ثم الأثر الدلالي التي تودّ الإيحاء به من خلال ذلك التركيب الخاص، ويبدو أن ثمة مفارقة يمكن التماسها تتصل بكلمة (غزة) بين التركيب والدلالة.

والمتأمِّل في الجمل التالية يلاحظ أن غزة جاءت فيها جميعها مبتدأ مرفوعا، والمبتدأ يتصدّر الجملة، لكنها بأرضها وأهلها في الواقع تتصدر المأساة, وأرضُها ظرفٌ لمكانها وزمانها, وأهلُها مفعولُها , يقول :

غزة تحت النار لليوم السادس.

تحضر كلمة غزة في هذه الجملة نحويا بوصفها مبتدأ، والمبتدأ له الصدارة في الجملة، غير أنّ الخبر الذي تلا هذا المبتدأ، وهو شبه الجملة الظرفية (تحت النار) يترك في بعده الدلالي أثرا سلبيا في المتلقي؛ ذلك أن غزة التي جاءت في الصدارة في الوجه الشكلي/ الظاهري للجملة، هي مضرب للنار وموئل للحريق في البعد الدلالي، وهي (تحت) وليست (فوق).

ومثل ذلك قوله في الجملة :

غزة قصة كارثة سببها الحصار

فغزة – وهي مبتدأ هنا- تغدو حكاية للموت والدمار والمصائب بسبب من الحصار التي منيت به... وهي قصّة لكنها تقص على مستمعيها كارثة, صارت غزة في حد ذاتها هي الكارثة لأن الحصار طوق من حديد خانق مضروب حول عنقها, وهي تقص أمله ومهالكه.

(1) التكرار: " هو الذي يعاد فيه اللفظ بنفس المعنى، أي أن بينها اتحادا لفظا ومعنى"، خطابي، محمد: **لسانيات النص**، المركز الثقافي العربي، د.ت، ص 134.

ويقول أيضاً :

غزة.. مجزرة ضحاياها أطفال ومقاومون.

وغزة/ المبتدأ هنا، تغدو مجزرة للفئة التي لا طول لها/ الأطفال، وللمدافعين عنها/ المقاومون.. ولا شك هنا في أن دور التنغيم والكلمة المنطوقة يحمّل الجملة بإيحاء غني, فالمراسل الذي يقرأ التقرير ينطق بكلمة (غزة) ثم يتوقف لحظة (السّكتة). كأنه ينتظر من المستمع أن يقول: وماذا بعد؟. ثم يأتيه الخبر : مجزرة. ويزداد الصورة إيلاماً, عندما يبدأ بجملة اسمية جديدة مبتدؤها (ضحايا), ويخبر عنه بـ(أطفال), ثم يعطف عليه (مقاومون) لا متمردون ولا أفراد عصابة خارجة عن القانون إنما الضحايا هم أناس في غاية البراءة(الأطفال), ثم آخرون لهم حق مشروع في الدفاع عن أنفسهم وأطفالهم.

غزة.. المجزرةُ ليلَ نهار.

وغزة/ المبتدأ هنا، تغدو مجزرة مستمرة لا حدّ لها لا في الليل ولا في النهار. وهي في المعنى ظرف مكان للمجزرة وليست هي المجزرة.

غزة تستقبل العام الجديد بمزيد من الدمار جرّاء القصف الإسرائيلي

وغزة المبتدأ هنا ـ والتي يفترض بها أن تستقبل ما هو خير، كون الاستقبال عادة يكون لما فيه بهجة وراحة وترحاب ـ يغدو استقبالها لما لا يرحّب به عادة وهو الموت والقتل والدمار, وهي التي تستقبل لأن ضمير الفاعل المستتر في (تستقبل) يعود على المبتدأ (غزة). ولأنّ اقتران الدلالات المؤلمة والحزينة على أرضها يفارق المعاني النحوية الاصطلاحية, فإننا نقول إن غزة جاءت مفعولاً فيه أحيانا ومفعولاً به أحيانا أخرى، خلافاً لكونها مبتدأ أو فاعلاً في المعنى, فإن كانت غزة أرضاً فهي ظرف مكان للمحرقة, وإن كانت بشراً فهي مفعول به, وذلك بسعي دؤوب بطبيعة الحال من عدوّها ففيها: (ضحايا محرقة/ استمرار حصار/ تزايد شهداء/ استمرار الغارات/ مواكب الشهداء/ العدوان/ معاناة الأسر/ غارات).

وهناك كمّ هائل من الجمل ذات الأبعاد الدلالية المشابهة لما مر. مثل ذلك العبارات الآتية المقتبسة من تقارير متعددة موزعة زمانيا على فترة الحرب:

الأطفال ضحايا محرقة **غزة** ـ ضحايا محرقة ــ غزة

استمرار حصار **غزة** يزيد الوضع قتامة ــ استمرار حصار ــ غزة

تزايد شهداء **غزة** مع استمرار القصف الإسرائيلي ـ تزايد شهداء ـ غزة

استمرار الغارات الإسرائيلية على قطاع **غزة** ـ الغارات.. على قطاع ـ غزة

مواكب الشهداء في **غزة** لم تتوقف ــ مواكب الشهداء في ــ غزة

مظاهرات في سوريا تندد بالعدوان الإسرائيلي على **غزة**ـ العدوان علــ غزة

معاناة الأسر في **غزة** من الحرب والحصار ــ معاناة الأسر في ـ غزة

غارات على **غزة** ونابلس ومزيد من الشهداء والجرحى ـ غارات على ـ غزة

مواكب الشهداء في غزة لم تتوقف

غزة تستقبل العام الجديد بمزيد من الدمار جراء القصف

غزة تحت النار لليوم السادس

غزة في دائرة الخطر

ـ... تتجلى اليوم صورة غزة الجريحة التي ترزح تحت النيران الإسرائيلية يتساقط فيها الأطفال كالزنابق ويتشرد أهلها ويرتجف بردا وخوفا وجوعا، لتمثل أجمل لوحة في الصمود والمقاومة".

ثانيا: الأطفال... والكلمة المفتاحية

تقترن (غزة) في تقارير أخرى بـ(الأطفال), لتصبحا معاً الكلمة المفتاح, وتغدو غزة أيضاً طفلة أو واحداً من هؤلاء الأطفال, حيث كلمة(الطفل) تعني الضعف والبراءة مما يجري, وقد تكررت لفظة (الطفل/ الأطفال) بحيث غدت سمة أسلوبية قصد منها التوكيد والإلحاح على المفردة؛ ذلك أنه كان يمكن للمراسل في كثير من المواقع في هذه التقارير أن يستبدل بها ضميرا. وعلى العموم فإن تكرار اللفظ أو الكلمة في التقرير الإعلامي أكثر من الإحالة على اللفظ بالضمائر يغدو من الضرورات القصوى؛ ذلك أن التقرير الإعلامي يتوقع البدء بمتابعته والتواصل معه في أي لحظة، بمعنى أن ثمة متلق

جديد محتمل في كل لحظة من لحظات البثّ أو قراءة التقرير، فلابد من ذكر الركن الأساسي/ الكلمة المفتاح الذي يدور حوله التقرير، وتكراره.

من هذه التقارير الكثيرة, نمثل بتقرير واحد وهذا نصه:

شكلت صور ومشاهد الشهداء من الأطفال الفلسطينيين العلامة البارزة في التصعيد العسكري الإسرائيلي الأخير على قطاع غزة, لكن التساؤل هنا يبقى: كيف يترك التصعيد هنا ذكرياته المؤلمة على الأطفال الفلسطينيين؟

هنا في داخل هذا المنزل الواقع في عزبة عبد ربه في شمالي قطاع غزة , لكل واحد من هؤلاء الأطفال قصة مع المعاناة. ويواجه المرشدون النفسيون صعوبة في التعامل مع هؤلاء الأطفال لا سيما أن الأجواء على الأرض لا تبعث كثيراً على التفاؤل, وربما وجد هؤلاء الأطفال متنفساً ولو قليلاً من واقع معاناتهم المستمرة, لكنهم تركوا أصدقاء لهم تجمعت عليهم معاناة الجراح فوق ألم الذكريات, هذه كانت أجواء المنطقة قبل أيام فقط سقوط صاروخ إسرائيلي على تجمع للأطفال الأمر الذي أدى إلى استشهاد أربعة منهم واصابة عدد آخر بجروح مختلفة, ومن بين الناجين من هذا القصف الطفل يحيى دردونة, الذي لا يزال طريح فراشه بعد أن أصابته الشظايا.

ويبقى الأطفال الفلسطينيون هنا في القطاع والذي يشكلون نصف عدد سكانه ضحية القبضة الحديدية الإسرائيلية, وكأن قدرهم أن يرثوا المعاناة عن آبائهم وقد تغيب عن وجوههم الابتسامة في ظل القتل والتشريد والتجويع.

الأطفال كلمة مفتاحية لهذا التقرير الطويل الذي يدور حول حجم الجريمة التي وقعت في حق من ليس لهم ضلع فيها, وهنا تتبدّى الجريمة في أوضح صورها, وتستعين التقارير (على مستوى الصورة) غالبا بشهود عيان من أطفال أو أمهات فقدن أطفالهن, هذا إضافة إلى تعرضه التقارير من صور للموتى منهم. ويمكن ملاحظة ذلك من خلال التراكيب الآتية التي تصرِّح باللفظ أحياناً, وتحيل إليه بالضمائر والأسماء الموصولة أحياناً أخرى:

شكلت صور ومشاهد الشهداء من الأطفال الفلسطينيين العلامة البارزة...

لكـن التسـاؤل هنـا يبقـى كيـف يـترك التصـعيد هنـا ذكرياتـه المؤلمـة عـلى الأطفـال الفلسطينيين

ولكل واحد من هؤلاء الأطفال قصة مع المعاناة

ويواجه المرشدون النفسيون صعوبة في التعامل مع هؤلاء الأطفال

وربما وجد هؤلاء الأطفال متنفسا ولو قليلا من واقع معاناتهم المستمرة

ويبقى الأطفال الفلسطينيون هنا في القطاع والذي يشكلون نصف عـدد سـكانه ضـحية القبضة الحديدية الإسرائيلية.

ومن بين الناجين من هذا القصف الطفل يحيى دردونة الذي لا يزال طريح فراشه...

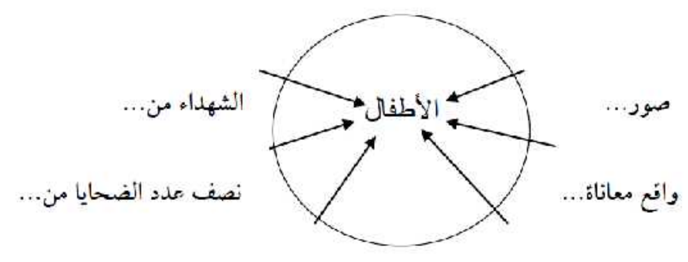
ومن الإحالة إلى الكلمة المفتاح بالضمائر يمكن تأمّل الجمل الآتية في التقرير نفسه :

لكنهم تركوا أصدقاء لهم تجمعت عليهم معاناة الجراح فوق ألم الذكريات.

قبل أيام فقط سقط صاروخ إسرائيلي على تجمع للأطفال الأمر الـذي أدى إلى استشـهاد أربعة منهم.

وكأن قدرهم أن يرثوا المعاناة عن آبائهم وقـد تغيـب عـن وجـوههم الابتسـامة في ظـل القتل والتشريد والتجويع.

فإذا تأملنا الجمل وجدنا أن الأطفال مركز لدائرة تدور حوله الجمل بمضامينها التـي تزدحم بمعجم من الألفاظ التي تعد من لوازم نتائج الحروب, ويمكن تصوير هذه العلاقة للعين بالشكل الآتي :



الذكريات المؤلمة لل...لكل واحد قصة من...

هذا الكم كله من الكلمات والضمائر في تقرير واحد, يشير إلى الأطفال الذين وقعوا ضحايا بريئة لما لم تقترفه أيديهم, وجَعْلُ الكلمة المفتاح هي (الأطفال) في حد ذاتها يلعب دوراً مهما في كسب التعاطف العالمي مع الضحية؛ لأنّ الموقف من أي طرف من الأطراف الداخلة في الحرب لا يؤثر في العاطفة تجاه الطفولة, ومما يثير تلك العاطفة أيضا ويدفع إلى الاستماع إلى التقرير أن تكون معاناة الطفولة هي المحور والطفولة مفتاح النص, فإن التعاطف لأي جهة لن يمنع أي مستمع أو مشاهد من أن يتخيل أن الطفل الضحية قد يكون طفله, ويستطيع بذلك لمس معاناة الآباء والأمهات تجاه الطفولة المسحوقة, وذلك لمروره بتجربة محبة الأطفال, ومدى علمه بحجم براءتهم التي تسحقها الآلة العسكرية.

وكما أسلفنا سابقاً فإن هذا الكلام ينطبق على كمٍّ غير قليل من التقارير التي استمع إليها أو شاهدها عدد هائل من الناس, وبدا أثرها واضحاً في أرجاء العالم كله, حتى صرنا نسمع عن ردود أفعال حيال ما جرى في غزة من أبعد المناطق جغرافيا عن منطقتنا. وهو ما يؤكد بصورة من الصور دور الكلمة بجانب الصورة في إثارة المشاعر وإيقاع الأثر في نفس المتلقي, وهذا يبرهن بصورة عملية لا نظرية على أن الكلمة بإمكانها أن تصبح ريشة ترسم صورة بجانب صورة الكاميرا التي يبقى عملها منقوصاً بلا كلمات, فهل تستطيع الكاميرا مثلاً أن تطرح سؤال السائل : **هل قدر هؤلاء الأطفال أن يرثوا المعاناة عن آبائهم, وقد تغيب عن وجوههم الابتسامة في ظل القتل والتشريد والتجويع؟؟؟**

المـــراجع

1. معجم المفردات الإسبانية والبرتغالية المشـتقة مـن العربيـة، المسـتشرقان انجلـمان ودوزي، تعريب نهاد الموسى، (دار الفكر، عمان، 1980م).
2. الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، (دار الفرقان، 1990م).
3. الكلمات العربية في اللغة الإنجليزية، نادر سراج، (ط 2،القاهرة، 2003).
4. التعريب ومستقبل اللغة العربية، عبد العزيز بن عبد اللـه، (الرباط،، 1975م).
5. محاضرة للدكتور محمد جعفر.
6. اللغة العربية لغة عالمية، مراد كامل، (دار المعارف، مصر، 1976م).
7. اللغة العربية أساس نهضة أمتنا ووحدتها، عبد الكريم خليفة، مجلة مجمع اللغة العربيـة الأردني، العدد المزدوج 25-26، السنة الثامنـة، (شـوال، 1404هـــ ربيـع الثـاني، 1405هـــ- تموز- كانون الأول، 1984م).
8. ملامح من تاريخ اللغة العربيـة، أحمـد نصـيف الجنـابي، (وزارة الثقافـة والإعـلام، بغـداد، 1981م).
9. من حاضر اللغة العربية، سعيد الأفغاني، (ط 2، دار الفكر، 1971هـ).
10. قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، نهاد الموسى, (ط 1، دار الفكر، عمان، 1987م).
11. اللغة العربية بين الفهم وسوء الفهم, كمال بشر، (دار غريب، القاهرة، 1999م).
12. العربية الصحيحة، أحمد مختار عمر، (ط 4، عالم الكتب، القاهرة، 1998م).
13. الوحدة العربية ووحدة اللغة، يوسف كمال حتاتة، مجلة الرسالة، (السـنة التاسـعة، عـدد 421، 1360هـ-1941م).
14. نحو عربية أفضل، الجنيدي خليفة، (مكتبة الحياة، بيروت، بلات).
15. دلالة الألفاظ العربية وتطورها، مراد كامل، (القاهرة، 1963م).

16. دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، أحمد مختار عمر, (ط 2، عالم الكتب، 2006م).
17. لغة القرآن، أحمد مختار عمر، (مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 1993م).
18. اللغة العربية والعصر، مصطفى جواد، مجلة الأقلام، (السنة الأولى، أيلول، 1964م).
19. اللغة الأدبية واختلاف اللهجات قبل الإسلام، صادق إبراهيم عرجون، مجلة الأزهر، (مج 7، ج3، 1355هـ).
20. اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، عبد الكريم خليفة، (ط4، دار الفرقان، 1992م).
21. كلام العرب/ من قضايا العربية، حسن ضاضا، (القاهرة، 1971م).
22. اللغة بين الثابت والمتغير دراسات نصية، أحمد عفيفي، (دار غريب، 2009م).
23. اللسان العربي وقضايا العصر، عمار ساسي، (عالم الكتب الحديث، اربد، 2009م).
24. القياس في اللغة العربية، محمد الخضر حسين, (القاهرة، 1353هـ).
25. لغات البشر أصولها وطبيعتها وتطورها، ماريو باي، ترجمة صلاح العربي، (الجامعة الأمريكية في القاهرة، 1970م).
26. مفهوم حياة اللغة وأسس تطوير اللغة، محمد الهادي الطرابلسي، مجلة اللسان العربي، مج 14، ج1.
27. اللغة والمجتمع رأي ونهج، محمود السعران، (القاهرة، 1963م).
28. الدكتورة مريم عبد الحسين التميمي رئيس قسم القرآن والتربية الإسلامية.
29. آبادي، ابو الطيب محمد شمس الحق العظيم، عون المعبود شرح سنن أبي داوود، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، هـ1389هـ-1969م.
30. ابن العربي،محمد بن عبد الله العواصم من القواصم، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1.

31. ابـن العـربي، أحكـام القـرآن، تحقيـق عبـد الـرزاق المهـدي، دار الكتـاب العـربي، لبنـان، ط1،1421-2000

32. ابن حنبل،أحمد بن محمد المسند، بيت الأفكار الدولية، الرياض، 1419-1998.

33. ابن عاشور، محمد بن طاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر 1984.

34. ابن كثير،عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير السيرة النبويـة، تحقيـق، مصـطفى عبـد الواحد، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1393هـ-1976.

35. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة.

36. ابن منظور، جال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، 1970

37. أبوزهرة، محمـد، الخطابـة أصـولها وتاريخهـا في أزهـى عصـورها عنـد العـرب، دار الفكـر العربي، القاهرة، ط2، 1980.

38. الأصفهاني، الراغب، مفردات غريب القرآن، دار الكتب العلمية، لبنان.

39. الألوسي، شهاب الدين السـيد محمـود البغـدادي، روح المعـاني في تفسـير القـرآن العظـيم والسبع المثاني، تحقيـق مجموعـة مـن المحققـين، دار إحيـاء الـتراث العـربي، لبنـان، ط1، 1421-2000.

40. الأندلسي، عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد اللـه الأنصاري، قطر، ط1، 1398-1977.

41. البخاري، محمد اسماعيل، صحيح البخاري، دار السلام، الرياض، ط2، 1419-1999.

42. البدراوي، عبد المنعم، المدخل إلى العلوم القانونية، دار النهضة، بيروت، 1966.

43. ألـبرت ل، هسـتر، واي لان ج، تـو، دليـل الصـحفي في العـالم الثالـث، ترجمـة كـمال عبـد الرؤوف، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990م.

44. البغدادي، علاء الدين علي بن محمد الشهير بالخازن، لباب التأويل في معـالم التنزيـل، دار الكتب العربية، لبنان، ط1، 1415-1995.

45. البغوي، محمد بـن الحسـن الفـراء، معـالم التنزيـل، دار طيبـة للـنشر والتوزيـع، الريـاض، ط4، 1417-1997.

46. الترمانيني،عبد السلام، حقوق الإنسان في نظـر الشريعـة الإسـلامية، دار الكتـاب الجديـد، بيروت، 1976.

47. الجوزي، أبو الفرج جـمال الـدين عبـد الـرحمن بـن عـلي بـن محمـد، زاد المسـير في علـم التفسير، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2.

48. الحارثي، راشد، الحريات في القرآن، رسالة ماجستير جامعة آل البيت2000م.

49. الحسني، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، البحـر المديـد في تفسـير القـرآن المجيـد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1420-2002.

50. الحسيني، محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق حمد الجاسر، وزارة الإرشاد والأنباء الكويت.

51. الحقيل، سليمان بن عبد الرحمن، حقوق الإنسان في الإسلام، ص107، ط3، 2000م.

52. الحنبلي، عمرابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، دار الكتـب العلميـة، لبنـان، ط1، 1419-1998.

53. الخالدي، صـلاح، مخـتصر تفسـير الطـبري، دار القلـم، دمشـق، الـدار الشـامية، بـيروت، ط1، 1418-1997.

54. الداقوقي، إبراهيم، قانون الإعلام، نظرية جديدة في الدراسات الإعلامية الحديثة، مطبعـة وزارة الأوقاف، بغداد، ص209، 1986م

55. الرازي،فخرالدين التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط2، 1417-199.

56. الرازي، محمد بن أبي بكـر بـن أبي طالـب، مختـار الصـحاح، دار الكتـاب العـربي، بـيروت، ص129، ط1، 1967م.

57. الركابي، زين العابدين، الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية بين النظرية والتطبيق، الندوة، ط1، 1399هـ -1979.

58. الزحيلي، وهبة، حق الحرية في العالم، دار الفكر، دمشق، ط1، 1421-2000.

59. الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة المنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق،ط1،1411-1991

60. الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط1، 1417-1997.

61. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عالم الكتب، ط2.

62. السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1419-1999.

63. الشنقيطي، سيد محمد ساداتي، دراسات في الإعلام الإسلامي والرأي العام، الرياض، دار عالم الكتب، ط1، 1406هـ، 1986.

64. الشنقيطي، سيد محمد ساداتي، أصول الإعلام الإسلامي وأسسه، بدون تاريخ نشر.

65. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، مكتبة الرشد، الرياض، ط1.

66. الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، دار الكتب العلمية، لبنان، ط3،1420-199.

67. الطماوي، عثمان خليل سليمان، موجز القانون الدستوري دار الفكر العربي، لبنان، 1952.

68. العطيفي، جمال الدين، حرية الصحافة مطابع الأهرام، القاهرة، 1971.

69. العيلى، عبد الحكيم حسن، الحريات العامة في الفكر والنظام السياسي في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1974.

70. الغازي، سجاد، حرية الرأي والصحافة في الوطن العربي، مجلة الدراسات الإعلامية، العدد 53، ص12، 1990م.

71. الغرناطي، أبو اسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبد الله دراز، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ج2، ص8.
72. الغرناطي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت، 1412-1992.
73. الغلايني، محمد موفق، وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، دار المنار، جدة، ط1، 1985م.
74. الفارابي، إسحاق بن إبراهيم، ديوان الأدب، تحقيق أحمد مختار عمر، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1974
75. الفارسي، الحسن بن عبد الغفار، الحجة للقراء السبعة، دار الكتب العلمية لبنان، ط1، 1419.
76. الفتياني، تيسير محجوب، مقومات رجل الإعلام الإسلامي، دار عمار، عمان، 1987.
77. الفتياني، خالد إبراهيم، التفسير الإعلامي لسورة النور، دار طوباس للنشر والتوزيع، 1993.
78. الفنجري، احمد شوقي، الحرية السياسية في الإسلام، دار القلم، الكويت ط1، 1973.
79. القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط1،1378-1959.
80. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة،1387-1367.
81. القنوجي، أبو الطيب صديق بن حسن، فتح البيان في مقاصد القرآن،دار إحياء التراث الإسلامي، قطر، 1410-1989.
82. الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، النكت والعيون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420.

83. المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1418-1998.

84. المصمودي، مصطفى، النظام الإعلامي في العالم الجديد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد رقم 94، ص125، 1406هـ

85. المكـاوي، جيهـان، حريـة الفـرد وحريـة الصـحافة الهيئـة، المصريـة العامـة للكتـاب، القاهرة،1981.

86. المنصوري، مصطفى الخيري، المقتطف من عبون التفاسير، دار القلـم، دمشـق، ط1،1419-1996.

87. المودودي، أبو الأعلى، تفسير سورة النور، مؤسسة الرسالة.بدون

88. النسفي، عبد اللـه بـن أحمـد بـن محمـود، مـدارك التنزيـل وحقـائق التأويـل، تحقيـق يوسف علي بدوي، دار الكلم الطيب، لبنان، ط1،1419-1998.

89. النعيمي، حازم، حرية الصحافة، لبنان، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1989م.

90. النيسابوري، على بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، المكتبة المصرية، لبنان، ط1.

91. النيسابوري، محمد بن عبد اللـه الحاكم، المسـتدرك عـلى الصـحيحين، تحقيـق مصـطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411-1990

92. النيسابوري، نظام الدين، غرائب القرآن ورغائب الفرقان.بدون

93. الهواري، هود محكم، تفسير كتاب اللـه العزيز، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1990.

94. اليوبي، محمد سعد بن أحمد، مقاصد الشريعـة الإسـلامية وعلاقتهـا بالأدلـة الشرعيـة، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ص187- 188،ط1، 1998م.

95. إمام، محمد علي، محاضرات في نظرية القانون بدون تاريخ نشر.

96. إمام، إبراهيم، الإعلام والاتصال الجماهيري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1975

97. إمام، إبراهيم، فن العلاقات العامة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1986.

98. بدر، أحمد، الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية، دار القلم، الكويت، ص325، 1394هـ
99. ترو، فرنان، الإعلام، ترجمة محمود الغندور، المنشورات العربية، بيروت.
100. ثابت، سعيد بن علي، الحرية الإعلامية في ضوء الإسلام، دار عالم الكتب، الرياض، ط2، 1993م.
101. حاتم، محمد عبد القادر، الإعلام والدعاية نظريات وتجارب، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ط1، 1972.
102. حاتم،محمد عبد القادر، الرأي العام وتأثيره في الإعلام والدعاية، لبنان، 1989.
103. حماد، محمود أحمد، الإعلام والدعوة بين التكامل والتضاد القاهرة، 1415هـ-1994م.
104. حمزة، عبد اللطيف، الإعلام له تاريخه ومذاهبه، دار الفكر العربي، القاهرة، 1965.
105. حوى، سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، ط1،1405-1985.
106. داود، سنن أبي داود، دار السلام للنشر، الرياض، ط1، 1420-1999.
107. رشتي، جيهان احمد، الإعلام ونظرياته في العصر الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1971.
108. رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1 1420هـ-1999.
109. عرقوب، إبراهيم، الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، دارمجدلاوي للنشر، عمان، الأردن، ط 1، 1413-1993.
110. رويه، ريمون، السبرنتيك، أصل الإعلام، ترجمة عادل العوا، دمشق وزارة الثقافة، 1971.
111. شاهين، محمد، تفسير البيضاوي مع حاشية محي الدين شيخ زاده، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1419-1999.
112. شحاته، عبد الله، تفسير القرآن الكريم، دار غريب، القاهرة،2000

113. صيني، سعيد، شروط القائم بالإتصال عن المسيحين والمسلمين رسالة دكتوراه، جامعه الإمام، 1408.
114. صيني سعيد، الإعلام الإسلامي النظري في الميزان، الرياض، 1417-1997
115. صيني، سعيد، مدخل إلى الإعلام الإسلامي، دار الحقيقة الإعلامية، 141هـ.
116. طنطاوي، محمد سيد، الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام، دار الشروق، عمان، ط1، 1421-2001.
117. عباس، فيصل، موسوعة الفلاسفة، دار الفكر العربي، لبنان، ط1، 1996.
118. عبد الباقي، زيدان، وسائل وأساليب الإتصال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1979.
119. عبد الحليم، محي الدين، إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، قطر، ط1، 1419-1998.
120. عبد الحليم، محي الدين، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1984.
121. عبد المجيد، ليلي، الصحافة في الوطن العربي، العربي للنشر، القاهرة، 1990.
122. عزت، محمد فريد، بحوث في الإعلام الإسلامي، دار الشروق، جدة،1983.
123. عسكر، إحسان، الخبر ومصادره، عالم الكتب، ط1.
124. علوش، أحمد أحمد، الإعلام في القرأن، شركة سعيد رأفت، القاهرة، ط1، 1406-1986.
125. عودة، عبد القادر، التشريع الجنائي الإسلامي، مكتبة دار العروبة، القاهرة 1960.
126. غريب، غريب عبد السميع، الاتصال والعلاقات العامة في المجتمع المعاصر، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1996.
127. فهمي، محمود، الفن الصحفي في العالم، دار المعارف المصرية، القاهرة، 1964.
128. قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط3.

129. كشاكش، كريم، الحريات العامة في الأنظمة السياسية المعاصرة، منشأة المعارف، الأسكندرية، 1978.

130. كيره، حسن، المدخل إلى دراسة القانون، 1954.

131. لاوند، رمضان، من قضا الإعلام في القرآن، مطابع الهدف، بيروت،بدون تاريخ النشر.

132. لاوند، محمد رمضان، الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، بدون تاريخ ومكان النشر.

133. لجنة من الباحثين، مقالات في قضية الحرية، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980.

134. متولي، عبد الحميد، الحريات العامة نظريات في تطورها وضماناتها ومستقبلها، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1975.

135. مجذوب، محمد سعيد، الحريات العامة وحقوق الإنسان، مطبعة جروس برس، طرابلس.

136. محمد، إبراهيم، أصول الإعلام الإسلامي وتطبيقاته الإسلامية، بحوث المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة والدعاة، المنعقد عام 1397.

137. محمد، محمد حسن، سورة النور، مشكلاتنا الاجتماعية، دار الأمين.

138. محمد، محمد سيد، المسؤولية الإعلامية في الإسلام، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1403-1983.

139. محمد، يسرى السيد، بدائع التفسير (الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية)، دار ابن الجوزي، الرياض، ط1، 1414-1993.

140. مسلم، صحيح مسلم، دار السلام، الرياض،ط2،1419-1999.

141. مكاوي، حسن عماد، أخلاقيات العمل الإعلامي، الدار المصرية اللبنانية. لبنان،1994.

142. منصور، هالة، الاتصال الفعال، مفاهيمه وأساليبه ومهاراته، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1998م.
143. موسيه، روز رماري، الحرية، ترجمة عادل العوا، دار طلاس، دمشق، 1990.
144. نجيب، عمارة، الإعلام في ضوء الإسلام، مكتبة المعارف، الرياض، ط1.
145. وضع لجنة من علماء السوفييت، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، لبنان، ط7، 1997.
146. ياسين، حكمت بشير، التفسير الصحيح، دار المآثر، المدينة المنورة، ط1، 0142هـ-1999م.
147. د. فيروز عثمان صالح و حسن ناجع محمد العجمي فى كتاب أحكام الحرية الإعلامية في القرآن.
148. د/خالد الكركي، دراسة بعنوان (الثقافة القومية والدينية :صراع أم حوار)، جريدة الرأي الأردنية،طبعة2007.
149. د /خالد عربيدات، دراسة بعنوان (دراسة في الفكر العربي)، جريدة الرأي الأردنية،2007طبعة.
150. د/عبد الرحمن حمادي،دراسة بعنوان(صورة المسلمين في السينما العالمية)، مجلة البيان، العدد171، الكويت،طبعة 1997.
151. د/عبد الرشيد عبد الحافظ، دراسة بعنوان(الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها)، مكتبه مد بولي،طبعة 2005.
152. د/عبد العزيز التو يجري، دراسة بعنوان(العالم الإسلامي في عصر العولمة)،دار الشروق،طبعة2000.
153. د/عبد الرشيد عبد الحافظ، دراسة بعنوان (الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها)، مكتبه مد بولي،طبعة 2005.
154. د/عبد الصبور شاهين،محاضرة له بعنوان(التحديات التي تواجه لغتنا الجميلة)،الخميس2006/9/9.

155. د/عبـد العزيـز التـو يجـري، دراسـة بعنـوان (العـالم الإسـلامي في عصر العولمـة)،دار الشروق،طبعة2004.

156. سليم علي جواد؛مقال بعنوان (نحن والآخر)، مجلة الراية، العدد 203، بيروت،طبعة1988

157. د/نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، سلسله عالم المعرفة، الكويت، طبعة2001

158. ها يل عبد المولى طشـطوش، دراسـة بعنـوان (العولمـة تـأثيرات وتحـديات)، دار الكنـدي، طبعة2007.

159. د/صوفي حسن أبو طالب-رئيس مجلس الشعب الأسـبق-كتـاب بعنـوان(تطبيـق الشريعـة الإسلامية في البلاد العربية)،الطبعة الرابعة عام1993م/1413ه،صفحة13:11.

160. البوهي، فاروق شوقي، (2000) : مناهج وتقنيات البحث العلمي في التربية وعلم الـنفس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية .

161. زيتون,عدنان.(1987). الوسائل التعليمية أهميتها مفهومها أسسها.مجلة التربية.العـدد83. 27-29.

162. السليطي، ظبية سعيد، تقديم، شـحاتة، حسـن، (2002) : تـدريس النحـو العـربي في ضـوء الاتجاهات الحديثة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

163. اللقاني، أحمد حسـين، والجمـل، عـلي، (1996) : معجـم المصـطلحات التربويـة المعرفـة في المناهج وطرق التدريس)، عالم الكتب، ط1، القاهرة

164. لافي,سعيد عبدالـلـه.(2006). التكامل بين التقنية واللغة. عالم الكتب.القاهرة.مصر.

165. هلال,محمـد عبـدالغني.(1999). مهـارات الاتصـال.ط3. مركـز تطـوير الأداء والتنميـة. القاهرة,مصر.

166. د. عائشة عهد حوري - جامعة حلب – كلية التربية – سورية.

167. ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق عصام الدين الصبابطي، ط 1، دار الحديث، القاهرة، 1424هـ - 2003م.

168. ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد على النجار، ط 2، المكتبة العلمية، القاهرة، 1371هـ - 1952م.

169. أحمد بن الأمين الشنقيطي، شرح المعلقات العشر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت.

170. أحمد درويش، إنقاذ اللغة العربية إنقاذ الهوية، ط1، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 2006م.

171. أسامة الألفي، اللغة العربية وكيف ننهض بها نطقاً وكتابة الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت.

172. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط 1، دار الفكر، 1367هـ - 1948م.

173. الزبيدي الأندلسي، طبقاتت النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

174. السيد أحمد فرج السويدي، تعريب التعليم الجامعي، ط 2، رابطة الجامعات الإسلامية، 1413هـ - 1993م.

175. السيوطي، المزهر في علووم اللغة وأنواعها، شرح محمد جاد المولى بك وآخرون، ط 1، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت 1987م.

176. العقاد عباس محمود، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، ط 4، دار المعارف القاهرة، د. ت.

177. القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفي، تحقيق محمد عبد السلام أمين، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ - 2002م.

178. حسني عبد الباري عصر، تشويه العقل العربي وهموم التربية، ط 1، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، 1999م.

179. رمضان عبد التواب، دراسات وتعليقات في اللغة، ط 1، مكتبة الخانجي، القاهرة 1414هـ - 1994م.

180. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ط 1، دار العلم للملايين بيروت، 1388م.

181. عبد الرحمن بن خلدون،المقدمة، ط 1،دار الجيل بيروت،د. ت.

182. عبد الرحمن بودرع وآخرون، اللغة وبناء الذات، من سلسلة كتاب الأمة، ط 1، وزارة الأوقاف القطرية، الدوحة، 1425هـ

183. عبد السلام المسدي وآخرون، كتاب العربي، ج 1، ط1، وزارة الإعلام الكويتية، مجلة العربي، الكويت، أبريل 2008م.

184. عبد العال سالم مكرم، ظواهر لغوية، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1409هـ - 1988م.

185. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، لغتنا والحياة، ط 2، دار المعارف، القاهرة، 1391هـ - 1971م.

186. محمد بن إبراهيم الحمد، أخطاء في أدب المحادثة، ط 1، دار ابن خزيمة، الرياض، 1417هـ - 1996م.

187. محمد عبد الواحد حجازي، الثقافة العربية ومستقبل الحضارة، ط 1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، د. ت.

188. محمد محمد أبو موسى، مراجعات في أصول الدرس البلاغي، ط 1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1426هـ - 2005م.

189. ماجد الصائغ، الأخطاء الشائعة وأثرها في تطور اللغة، ط 1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990م.

190. مازن المبارك، اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي، ط 3، دار النفائس، بيروت، 1405هـ

191. إعداد: الدكتور مبارك حسين نجم الدين

192. ابن رشد، أبو الوليد، تلخيص الخطابة، تحقيق: محمد سالم، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1967.

193. أبو عرجه، تيسير، الإعلام والثقافة العربية، دار مجدلاوي للنشر، عمان، ط1، 2003.

194. أبو منصور عبد الملك الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق إميلي نسيب، ط2، دار الجيل، بيروت، 1998.

195. أبو هيف، عبدالله، اللغة العربية وتحديات العولمة، المجلة العربية للثقافة، ع43 س21، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ديسمبر2002.

196. بن الشيخ، عبد القادر، التلفزيون الهوية الثقافية، منشورات اتحاد الدول العربية، سلسلة بحوث ودراسات عدد 43، 999.

197. بن مراد، إبراهيم، في مسألة الاستعمال اللغوي في البرامج الإذاعية والتلفزيون، مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية. عدد 2-2000.

198. التلاوي، محمد نجيب، وسائل حضور الفصحى في وسائل الإعلام، مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية، عدد 2، 2000.

199. خوري، نسيم، الإعلام العربي وانهيار السلطات اللغوية

200. الدليمي، عبد الرزاق، عولمة التلفزيون، ط1، 2005، دار جرير، عمان الأردن.

201. الراعي، نبيل، الثقافة العربية وعصر المعلومات.

202. روكيتش وآخرون، نظريات وسائل الإعلام، ترجمة كمال عبد الرؤوف، ط5، 2004، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية.

203. شرف وخفاجي، النحو لرجال الإعلام، الطبعة الأولى، القاهرة 1982.

204. شرف، عبد العزيز، الإعلام الإسلامي وتكنولوجيا الاتصال، دار قباء القاهرة،1998.

205. عامر، عبد الحليم محمد، الإعداد اللغوي للإعلاميين، مؤتمر علم اللغة الأول، 2002، اللغة في وسائل الإعلام، القاهرة.

206. عواطف عبد الرحمن، قضايا التبعية الإعلامية، الثقافة في العالم الثالث.
207. عيد، محمد إبراهيم،الهوية والقلق والإبداع، دار القاهرة، القاهرة، ط1 2002.
208. كرم، جان جبران، التلفزيون والأطفال، دار الجيل بيروت، ط1، 1988.
209. لبيب، سعيد، برامج التلفزيون والتكنولوجيا الحديثة للاتصال في الوطن العربي، المجلة العربية للثقافة، عدد 11 آذار 199.
210. ليلة، علي، الثقافة العربية والشباب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1 2003.
211. مهنا، فريال، لغة الإعلام العربي بين الفصحى والعامية، مجلة اتحاد الإذاعات العربية، عدد2، 2000.
212. ميهوبي، عز الدين،القاموس الإعلامي،صحافتنا وتعويم اللغة، يوم دراسي حول دور وسائل الإعلام في نشر اللغة العربية وترقيتها، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر،15يوليو2002.
213. الأستاذ محمود أبو فروة الرجبي مدير برامج حياة FM
214. د. أماني سليمان داود
215. محمد عبد الحميد، الاتصال في مجالات الإبداع الفني الجماهيري، القاهرة، عالم الكتب، 1993، ص22.
216. محي الدين عبد الحليم، الاتصال بالجماهير والرأي العام، القاهرة، الأنجلو المصرية، 1993،ص104-105.
217. جيهان رشي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، القاهرة، دار الفكر العربي، 1978،ص366.
218. أديب خضور، مدخل إلى الصحافة - نظرية وممارسة، ط2، دمشق،2000، ص61.
219. تيسير أبو عرجه،الثقافة العربية وتقانة الإعلام الجديد، في كتاب مستقبل الثقافة العربية في ظل ثورة المعلومات، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، دار الينابيع للنشر والتوزيع، 2000، ص157-159.

220. عبد العزيز شرف، المدخل إلى وسائل الإعلام، القاهرة وبيروت، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، 1980، ص 156.
221. محمد سيد محمد، الصحافة بين التاريخ والأدب، القاهرة، دار الفكر العربي، 1985، ص50.
222. عبد اللطيف حمزة، المدخل إلى فن التحرير الصحفي، ط2، القاهرة، دار الفكر العربي، 1965، ص216.
223. عبد اللطيف حمزة، المرجع السابق، ص170،217.
224. عبد العزيز شرف، لغة الحضارة وتحديات المستقبل، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1999، ص56.
225. محمود علم الدين، أساسيات الصحافة في القرن الحادي والعشرين، القاهرة،دار النهضة العربية، 2008، ص 100-101.
226. عبد العزيز شرف، المدخل إلى وسائل الإعلام، المرجع السابق، ص55.
227. عبد العزيز شرف، لغة الحضارة، مرجع سابق، ص170-171.
228. وديع فلسطين، قضايا الفكر في الأدب المعاصر، ط2، بيروت، دار الجديد،ص18-19.
229. عبد العزيز شرف، لغة الحضارة، مرجع سابق، ص105.
230. عبد السّتار جواد، فن كتابة الأخبار، عمان، دار مجدلاوي، 1999، ص243.
231. عبد العزيز شرف، لغة الحضارة، مرجع سابق،ص185-186.
232. نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث، عمّان، دار الشروق، 2007، ص29.
233. نهاد الموسى، المرجع السابق،ص180.
234. تيسير أبو عرجه، تقويم لغة الصحافة العربية اليوم، كتاب ندوة اللغة العربية ووسائل الإعلام، جامعة البترا، 2000،ص30.
235. تيسير أبو عرجه، المرجع السابق، ص40-41

236. نهاد الموسى، المرجع السابق، ص109.
237. صالح أبو أصبع ومحمد عبيد اللـه، فن المقالة، عمان، دار مجدلاوي، 2002،ص21-22
238. محمود علم الدين وليلى عبد المجيد، فن التحرير الصحفي للجرائد والمجلات، القاهرة، دار السحاب للنشر والتوزيع، 2004، ص10.
239. زكي نجيب محمود، في تحديث الثقافة العربية، ط2، القاهرة، دار الشروق، 1993،ص261.
240. فاروق خورشيد، هموم كاتب العصر، القاهرة، دار الشروق، 1981، ص61.
241. فاروق خورشيد، المرجع السابق،ص126-128.
242. أحمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، رقم212،1996، ص92.
243. رجاء النقاش، أدباء معاصرون، بغداد، وزارة الإعلام العراقية، سلسلة الكتب الحديثة، 1972،ص87.
244. مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 193،1995 ،ص126.
245. مصطفى ناصف، المرجع السابق، ص338-340.
246. كامل جميل ولويس، اللغة العربية في وسائل الإعلام، الكويت، ط2، وكالة الأنباء الكويتية، 2005،ص32-33.
247. صحيفة الاتحاد الإماراتية، تقرير صحفي بعنوان: وسائل الإعلام تساهم في تشكيل الذائقة الإنسانية وجريان لغة الضاد على الألسنة، مداخلة فاروق شوشة، 12/ يوليو/2013.
248. محمد الأمين، اللغة العربية في وسائل الإعلام، موقع مقالات إسلام ويب،بتاريخ 2010/12/20.

249. أحمد بن نعمان، واقع اللغة العربية في أجهزة الإعلام (عرض تقويمي)، ورقة علمية مقدمة إلى ندوة اللغة العربية إلى أين، جامعة أم القرى، ومنشورة على الرابط:

http://www.isesco.org.ma/pub/arabic/langue-arab/p6.htm

250. عبد الرحمن هاشم، أثر وسائل الإعلام في اللغة العربية- قراءة في كتاب الدكتور جابر قميحة، موقع رابطة أدباء الشام، على الرابط

www.odabasham.net/show.php?sid=34467